دانيال ستيل

DANIELLE STEEL

بدينة... ولكن

Big Girl

www.mlazna.com
^RAYAHEEN^

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

يمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة تصويرية أو الكترونية أو ميكانيكية بما فيه التسجيل الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو أقراص مقروءة أو بأية وسيلة نشر أخرى بما فيها حفظ المعلومات، واسترجاعها من دون إذن خطي من الناشر.

يضم هذا الكتاب ترجمة الأصل الإنكليزي

Big Girl

حقوق الترجمة العربية مرخص بها قانونياً من المؤلفة

بمقتضى الاتفاق الخطي الموقّع بينها وبين الدار العربية للعلوم ناشرون، ش.م.ل.

Copyright © 2010 by Danielle Steel
All rights reserved including
the right of reproduction in whole
or in part in any form.

Arabic Copyright © 2011 by Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L

ردمك 978-614-01-0365-8

الطبعة الأولى

1432 هـ - 2011 م

جميع الحقوق محفوظة للناشر

الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل
Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L

عين التينة، شارع المفتي توفيق خالد، بناية الريم
هاتف: 786233 - 785108 - 785107 (1-961+)
ص.ب: 13-5574 شوران - بيروت 2050-1102 - لبنان
فاكس: 786230 (1-961+) - البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb
الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.asp.com.lb

التنضيد وفرز الألوان: أبجد غرافيكس، بيروت - هاتف 785107 (9611+)
الطباعة: مطابع الدار العربية للعلوم، بيروت - هاتف 786233 (9611+)

الفصل 1

جيم داوسون وسيم منذ اليوم الذي ولد فيه. كان ولداً وحيداً، طويلاً بالنسبة إلى عمره، ذا مظهر خارجي مثالي، وكان بطلاً رياضياً استثنائياً في فترة المراهقة، ومحور عالم والديه اللذين كانا في العقد الرابع حين ولد، وكان نعمة ومفاجأة لهما بعد سنوات من محاولات الإنجاب. فبعد أن فقدا الأمل، ظهر طفلهما المثالي. نظرت إليه أمه بحب كبير حين حملته بين ذراعيها، وأحب والده لعب الكرة معه. كان نجم فريق *ليتل ليغ*، وحين أصبح أكبر سناً، تحلقت حوله الفتيات في المدرسة. بشعره الأسود، وعينيه البنيتين، وذلك الشق البارز في ذقنه، بدا كنجم سينمائي. كان قائد فريق كرة القدم في الكلية، ولم يتفاجأ أحد حين واعد ملكة جمال؛ وهي فتاة جميلة انتقلت عائلتها من أتلانتا إلى جنوب كاليفورنيا عندما كانت في سنتها الجامعية الأولى. كانت قصيرة القامة ونحيلة، ذات شعر داكن وعينين داكنتين مثل عينيه، وبشرتها بيضاء كبياض الثلج. كانت رقيقة ودمثة وتهابه كثيراً. عقدا خطوبتهما ليلة التخرج، وتزوجا ليلة الميلاد في السنة نفسها.

وقتها كان جيم يعمل في وكالة إعلانات، وأمضت كريستين الأشهر الستة بعد التخرج وهي تحضّر لزفافهما. نالت شهادة بكالوريوس، لكن اهتمامها الحقيقي الوحيد خلال سنواتها الأربع في الجامعة كان العثور على زوج. كانا ثنائياً مذهلاً بمظهريهما الأميركيين الخاليين من العيوب. كانا يكملان بعضهما بصورة مثالية، ويذكران كل من يراهما بالشخصيات التي تظهر على أغلفة المجلات.

www.mlazna.com-RAYAHEEN

أرادت كريستين امتهان عرض الأزياء بعد زواجهما، لكن جيم لم يوافق على ذلك. فوظيفته جيدة، وكذلك راتبه، ولم يشأ أن تعمل زوجته. فماذا سيقول الناس عنه إذا عملت؟ هل سيقولون إنه غير قادر على إعالتها؟ أرادها أن تبقى في المنزل في انتظاره كل ليلة، وهذا ما كان. والأشخاص الذين عرفوهما قالوا إنهما أجمل ثنائي رأوه على الإطلاق.

لم يكن هناك أي تساؤل بشأن صاحب السلطة في المنزل. فقد كان جيم يصدر الأوامر، وشعرت كريستين بالارتياح لسلطته تلك. توفيت أمها حين كانت صغيرة جداً، وكانت والدة جيم الأم دواسون، تمدح فضائل ابنها باستمرار. احترمته كريستين مثلما فعل والداه. كان معيلاً جيداً، وزوجاً حنوناً، وشخصاً ممتعاً، ورياضياً مثالياً، وترقى في عمله باطراد. كان ودوداً وفاتناً في تعامله مع الآخرين؛ طالما أنهم معجبون به ولا ينتقدونه. لكن معظم الأشخاص لا يملكون سبباً لذلك. جيم شاب جذاب، يعقد الصداقات بسهولة، ويهتم بزوجته ويعتني بها. كل ما توقعه منها هو أن تفعل ما يقوله، وتعشقه، وتتركه يدير كل ما تبقى. امتلك والدها أفكاراً مماثلة، وترعرعت بصورة مثالية لتكون الزوجة المخلصة لرجل مثله. كانت حياتهما كل ما أملت به وأكثر. إذ لا توجد مفاجآت كريهة مع جيم، ولا سلوك غريب، ولا خيبات أمل. حماها واهتم بها، وتعامل معها كما يجب، وكانت علاقتهما مثالية. عرف كل منهما دوره في العلاقة والتزم بالقواعد. كان هو المحبوب، وهي الولهى.

لم يستعجلا إنجاب الأولاد خلال الأعوام القليلة الأولى، وأرادا الانتظار لوقت أطول ربما؛ لو لم يبدأ الأشخاص بالتعليق على سبب عدم إنجابهما. بدا الأمر مثل انتقاد بالنسبة إلى جيم، أو مثل القول إنهما عاجزان ربما عن الإنجاب، بالرغم من أنهما استمتعا باستقلاليتهما من دون أولاد يقيّدونهما. اصطحبها جيم غالباً في رحلات ممتعة في عطلات نهاية الأسبوع، وكان يصطحبها لتناول العشاء خارجاً مرة أو مرتين في الأسبوع، بالرغم من أن كريستين طاهية جيدة، وتعلمت إعداد وجباته

المفضلة. لم يعانِ أي منهما من غياب الأولاد، بالرغم من إجماعهما على أنهما يريدان الأولاد في النهاية. لكن، بعد خمسة أعوام من الزواج، بدأ والدا جيم يشعران بالقلق عليهما أيضاً، ويخافان من أن يواجها المصاعب نفسها التي منعتهما من تأسيس عائلة طوال عشرين عاماً تقريباً. فأكّد لهما جيم أنه لا توجد أي مشاكل، وأنهما يستمتعان فقط وليسا مستعجلين لإنجاب الأولاد. فهما في السابعة والعشرين، ويحبان الإحساس بالحرية الخالية من القيود.

إلا أن الأسئلة المستمرة نالت منه أخيراً، وأخبر كريستين أن الوقت قد حان لتأسيس عائلة. وكعادتها وافقت كريستين؛ فكلّ ما يعتبره جيم مثالياً يبدو مثالياً لها أيضاً. حملت كريستين على الفور، أسرع مما توقعا. كان الأمر أسهل مما خططا له، إذ افترضا أنهما قد يحتاجان إلى ستة أشهر أو سنة. وبالرغم من مخاوف حماتها، كان الحمل سهلاً بالنسبة إلى كريستين.

عندما بدأ المخاض، أقلها جيم إلى المستشفى، وقرر عدم التواجد في غرفة الولادة عند ولادة الطفل، الأمر الذي بدا ملائماً بالنسبة إلى كريستين أيضاً. فهي لا تريده أن يفعل أيّ شيء يجعله يشعر بعدم الارتياح. أمل إنجاب صبي، وكانت هذه أمنيتها أيضاً بهدف إرضائه. لم يخطر لأي منهما أن المولود قد يكون فتاة، وقررا واثقين عدم معرفة جنس المولود مسبقاً. فنظراً إلى رجولته، توقع جيم أن يكون مولوده الأول صبياً، وزينت كريستين غرفة المولود الجديد باللون الأزرق. كانا واثقين تماماً بأنه صبي.

أوجبت وضعيّة الجنين إخضاع الأم لعملية قيصرية، فكانت كريستين لا تزال نائمة في غرفة الإنعاش عندما سمع جيم الخبر. وعندما رأى المولود الذي حملته الممرضة أمام نافذة الحضانة، ظن للحظات أن المولود الذي يراه ليس طفله. فقد امتلك المولود وجهاً دائرياً مع وجنتين ممتلئتين من دون أن يشبهه أو يشبه كريستين، ومع خصلة من الشعر الأشقر. ما صدمه أكثر من القسمات أو اللون هو أن المولود فتاة. لم تكن هذه الطفلة

www.mlazna.com-RAYAHEEN

ما توقّعه، وفيما حدقت إليه عبر نافذة الحضانة، فإنّ كل ما استطاع التفكير فيه هو أن الطفلة تبدو مثل الملكة فيكتوريا العجوز. قال ذلك لإحدى الممرضات، فوبخته وقالت له إن ابنته جميلة. لم يوافقها الرأي، خصوصاً أنه غير معتاد على تكشيرات المواليد الجدد. بدت له مثل طفلة شخص آخر، ولا تشبهه أبداً أو تشبه أمها، وشعر بخيبة أمل كبيرة، فجلس كئيباً في غرفة الانتظار إلى أن تم استدعاؤه لرؤية كريستين. ما إن رأت وجهه حتى عرفت أنها أنجبت فتاة، وأنها خيّبت آمال زوجها.

"هل هي فتاة؟". همست وهي لا تزال مشوشة الذهن بسبب المخدر، فيما أومأ لها برأسه من دون أن ينبس ببنت شفة. كيف سيخبر أصدقاءه أن مولوده فتاة؟ إنها صفعة كبيرة لأنانيته وصورته، وشيء لا يستطيع التحكم به؛ الأمر الذي لا يلائمه أبداً. أحب جيم السيطرة على كل شيء، ولطالما رغبت كريستين في مجاراته.

تمتم أخيراً: "نعم، إنها فتاة". فيما انهمرت دمعة من زاوية عين كريستين. "تبدو مثل الملكة فيكتوريا". ثم مازح كريستين قليلاً وقال: "لا أعرف من هو الوالد، لكن يبدو أنها تملك عينين زرقاوين، كما أنها شقراء". ما من أحد أشقر في عائلتيهما، باستثناء جدته، الاحتمال الذي بدا بعيداً بالنسبة إليه. لكنه لا يشك في كريستين. تملك هذه الطفلة بشكل جليّ نوعاً من العودة إلى صفات الأسلاف في جيناتهما المشتركة، لكنها لا تبدو حتماً وكأنها طفلتهما. قالت الممرضات إنها ظريفة جداً، لكنه لم يقتنع. ومضت ساعات عدة قبل إحضار الطفلة إلى كريستين التي حدقت إليها بذهول وهي تحملها، ولمست يديها الصغيرتين. كانت ملفوفة بإحكام ببطانية وردية. تلقت كريستين للتو حقنة لمنع درّ الحليب من ثدييها، لأنها قررت عدم الإرضاع. إذ لا يريدها جيم أن تفعل ذلك، وهي أيضاً لا ترغب في ذلك. أرادت استعادة رشاقتها بأسرع ما يمكن، لأن جيم أحبها دوماً رشيقة القوام، ولم يجدها جذابة خلال حملها. انتبهت إلى وزنها خلال الحمل. وتماماً مثل جيم، وجدت صعوبة في التصديق أن هذه الطفلة

البيضاء والشقراء الريانة هي طفلتهما. كانت تملك ساقين طويلتين ومستقيمتين مثل جيم، لكن قسماتها لا تبدو مألوفة أبداً بالنسبة إلى أي منهما. أسرعت الأم داوسون إلى موافقة جيم الرأي حين رأتها، وقالت إنها تبدو مثل جدة جيم لأبيه، وأملت ألا تشبهها لاحقاً. فقد كانت امرأة ممتلئة وبدينة طوال حياتها، واشتهرت بطهوها ومهاراتها في الخياطة؛ ولكن ليس بمظهرها.

في اليوم الذي تلا الولادة، خفّت قليلاً صدمة كونها فتاة، بالرغم من أن أصدقاء جيم في المكتب مازحوه بالقول إنّ عليه التجربة مجدداً لإنجاب صبي. خشيت كريستين أن يغضب منها لأنها لم تنجب له الصبي الموعود، لكنه طمأنها بحنان وقال إنّه مسرور لكونها والطفلة بصحة جيدة، وإنهما سيبتهجان بالرغم من كل شيء. الطريقة التي قال بها ذلك جعلت كريستين تشعر وكأنها أخفقت في مهمتها، ودعمت الأم داوسون هذه الفكرة. فليس سراً أن جيم أراد ابناً وليس ابنة، كما لو أن هذا توكيد على رجولته وقدرته على إنجاب صبي. وبما أنه لم يخطر قطّ لأي منهما أنهما قد ينجبان فتاة، فهما لم يحضرا أسماء فتيات للفتاة الشقراء الممتلئة النائمة بين ذراعي كريستين.

كان يمزح عندما قال إنها تشبه الملكة فيكتوريا، لكنهما وافقا على أنهما أحبا الاسم، وأخذ جيم مبادرة إضافية واقترح اسم ريجينا اسماً وسطياً. فيكتوريا ريجينا داوسون، نسبة إلى الملكة فيكتوريا، فيكتوريا الملكة. بدا الاسم ملائماً جداً فيما نظرا إليها، ووافقته كريستين الرأي. أرادت أن يكون زوجها سعيداً باختيار الاسم على الأقل، إن لم يكن سعيداً بجنس المولود. وكانت لا تزال تشعر وكأنها أخفقت في إنجابها فتاة. لكن، عندما غادرا المستشفى بعد خمسة أيام، بدا وكأنه سامحها.

كانت فيكتوريا طفلة سعيدة، بهيجة وغير متطلبة. مشت وتحدثت باكراً، وعلّق الناس دوماً على روعتها كطفلة صغيرة. بقيت بشرتها فاتحة جداً، وتحول الوبر الأشقر المائل إلى الأبيض الذي كان لديها

عندما ولدت إلى مجموعة من الحلقات الشقراء. امتلكت عينين زرقاوين كبيرتين، وشعراً أشقر فاتحاً، وبشرة لؤلؤية تناغمت مع طلتها. قال بعض الأشخاص إنها تبدو إنكليزية جداً، ولطالما قال جيم إنه تمت تسميتها تيمناً بالملكة فيكتوريا التي تشبهها، ليضحك بعدها من صميم قلبه. أصبحت هذه نكتته المفضلة بشأن الطفلة، ورغب دوماً في إخبارها، فيما ضحكت كريستين باحتشام. أحبت ابنتها، لكن حب حياتها كان زوجها دوماً، ولم يتغير ذلك. فعلى عكس بعض النساء اللواتي يركزن تماماً على أولادهن، بقي جيم المحور الأساسي لعالمها، وبعده الطفلة. كانت كريستين الشريك المثالي لشخص نرجسي مثل جيم، فهي لم ترَ سواه. وبالرغم من أنه بقي راغباً في ابن يكمّله، ويلعب معه بالكرة، إلاّ أنهما لم يستعجلا إنجاب ولد ثانٍ. تناغمت فيكتوريا بسهولة مع حياتهما، ولم تكن مصدر ازعاج، وخشيا كلاهما أن يصعب عليهما تدبر أمر ولدين، خصوصاً إذا كانا قريبين من عمر بعضهما، ولذلك اكتفيا بفيكتوريا في الوقت الحاضر. حرصت الأم داوسون دوماً على ذرّ الرماد في عيني جيم بالقول إنه من المؤسف جداً أنهما لم يرزقا بصبي، لأنه سيتوجب عليهما التفكير في ولد ثانٍ، فيما الأولاد الوحيدون أذكى دوماً. وكان ابنها طبعاً ولداً وحيداً.

بدت فيكتوريا ذكية جداً مع تقدمها في العمر. فقد كانت عذبة الحديث ودمثة، وأجرت محادثات مثل الكبار عندما أصبحت في الثالثة من عمرها. قالت أشياء مضحكة، وكانت يقظة ومهتمة بكلّ شيء حولها. علّمتها كريستين القراءة عندما أصبحت في الرابعة. وعندما بلغت الخامسة، أخبرها والدها أنه جرت تسميتها تيمناً بملكة. كانت فيكتوريا تبتسم بسرور كلما قال لها ذلك. فهي تعرف كيف تبدو الملكات. إنهن جميلات، ويرتدين فساتين جميلة في كل القصص الخيالية التي قرأتها، ويملكن أحياناً قوى خارقة. عرفت أنّها سُمّيت تيمناً بالملكة فيكتوريا، لكنها لم تكن تعرف شكل تلك الملكة مطلقاً. كما

عرفت أنها تشبه مبدئياً جدة والدها، لكنها لم ترَ صورة لها قطّ، وتساءلت ما إذا كانت هي الأخرى ملكة.

بقيت فيكتوريا موفورة الصحة عندما أصبحت في السادسة، وامتلكت ساقين قويتين، وقيل لها غالباً إنها تبدو كبيرة بالنسبة إلى عمرها. عندما أصبحت في الصف الأول الابتدائي، بدت أطول من العديد من الأولاد. وكانت أثقل وزناً من بعضهم أيضاً. أسماها الناس فتاة بدينة، الأمر الذي اعتبرته إطراء على الدوام. كانت لا تزال في الصف الأول الابتدائي عندما تصفّحت مع أمها كتاباً ذات يوم، ورأت صورة الملكة التي تحمل اسمها. كان اسمها مكتوباً بوضوح تحت صورتها. فيكتوريا ريجينا، تماماً مثل اسم فيكتوريا.

كانت الملكة تحمل كلباً صغيراً، بدا أنه يشبهها إلى حدٍّ كبير، وتم التقاط الصورة في مرحلة متقدمة من حياتها. جلست فيكتوريا وهي تحدق إلى الصفحة لوقت طويل ولم تتفوه بكلمة.

أخيراً، سألت أمها وهي تدير عينيها الكبيرتين الزرقاوين نحوها وتنظر إلى وجهها: "هل هذه هي الملكة؟". أومأت كريستين برأسها مبتسمة. في النهاية، كانت هذه مجرد مزحة. إنها تشبه جدة جيم ولا أحد آخر.

شرحت كريستين: "كانت ملكة مهمة جداً في إنكلترا قبل وقت طويل".

"إنها لا ترتدي حتى فستاناً جميلاً، ولا تملك تاجاً، وكلبها بشع أيضاً". بدت فيكتوريا محطمة عندما قالت ذلك.

قالت والدة فيكتوريا وهي تحاول تخفيف وطأة الصدمة: "كانت عجوزاً جداً آنذاك". لاحظت أن ابنتها منزعجة، مما آلمها في الصميم. عرفت أنه لم يكن بقصد الأذى، لكن نكتة جيم أعطت عكس النتائج المرجوة، وبدت فيكتوريا مصدومة. حدقت إلى الصورة لوقت طويل، وانهمرت دمعتان ببطء على وجنتيها. لم تتفوه كريستين بأي كلمة فيما

www.mlazna.com-RAYAHEEN

قلبتا الصفحة، وأملت أن تنسى فيكتوريا الصورة التي رأتها. إلا أنها لم تفعل ذلك قطّ. ولم يعد مفهومها لرأي والدها فيها، مثل ملكة، هو نفسه مجدداً.

www.mlazna.com
^RAYAHEEN^

الفصل 2

بعد مرور سنة على رؤية فيكتوريا صورة الملكة فيكتوريا، التي بدّلت نظرتها إلى ذاتها إلى الأبد، أبلغها والداها أنها سترزق قريباً بأخ أو أخت. تحمست فيكتوريا. فالعديد من أصدقائها في المدرسة لديهم إخوة وأخوات، وهي واحدة من القلائل الذين لا يملكون إخوة أو أخوات، أحبت فكرة وجود طفل تلعب معه، مثل دمية حية حقيقية. كانت في الصف الثاني الابتدائي عندما أبلغها والداها الخبر. وعندما سمعتهما يتحدثان عن الأمر في وقت متأخر ذات ليلة، وهما يظنّان أنها نائمة، سمعت الكلمات المخيفة؛ وهي أن الطفل الجديد نتيجة خطأ، ولم تفهم تماماً ما يعنيه ذلك. خافت أن يكون الطفل متضرراً جسدياً نوعاً ما، وخافت أن يولد من دون ذراعين أو ساقين، أو ألا يتمكن حتى من المشي عندما يكبر. لم تعرف بالضبط مدى فداحة الخطأ، ولا تريد أن تسأل. بكت أمها بسبب ذلك، وبدا والدها قلقاً أيضاً. قالا إن الأمور جيدة كما هي الحال الآن، مع فيكتوريا فقط. كانت فتاة هنيئة لا تزعجهما أبداً، وتفعل كل ما يقال لها. في عمر السابعة، لم تسبب لهما أي مشاكل، وقال والدها طوال فترة الحمل إنه يأمل أن يكون الطفل صبياً. بدا أن أمها تريد ذلك أيضاً، لكنها زينت غرفة الطفل هذه المرة بالأبيض الحيادي بدلاً من اللون الأزرق. لقد تعلمت الدرس عندما فاجأتهما فيكتوريا وتبين أنها فتاة. توقعت الأم داوسون أن تلد زوجة ابنها فتاة هذه المرة أيضاً، وأملت فيكتوريا ذلك أيضاً. قررا مرة جديدة عدم معرفة جنس الطفل مسبقاً. خشيت والدة فيكتوريا حصول مفاجأة سيئة، فتشبثت بالأمل، لأطول وقت ممكن؛ أن يكون الجنين صبياً هذه المرة.

لم تعرف فيكتوريا السبب، لكن والديها لم يكونا متحمسين للطفل مثلها. تذمرت أمها كثيراً من ضخامة جسمها، أمّا والدها فقد مازحها وقال إنه يأمل ألا يشبهها الطفل الجديد. ولم يخفق قطّ في تذكيرها بأنها تبدو مثل جدته. ثمة صور قليلة جداً لها، لكن تلك التي رأتها فيكتوريا مؤخّراً أظهرت امرأة بدينة ترتدي مئزراً، ردفاها ضخمان وأنفها منتفخ. لم تعرف ما هو الأسوأ، أن تبدو مثل جدة أبيها أو مثل الملكة البشعة التي رأت صورتها الفوتوغرافية وهي واقفة مع كلبها. فبعد رؤية الصور الفوتوغرافية لجدة والدها، أصبحت مهووسة بحجم أنفها. كان أنفها صغيراً ودائرياً، ورأت أنه يشبه البصلة المزروعة وسط وجهها. أملت ألا يرث الطفل الجديد الأنف نفسه. لكن، بما أن الطفل خطأ، بدا أن هناك أشياء أخرى أكثر جدية من أنفه يجب القلق بشأنها. لم يشرح لها أهلها مطلقاً ماهيّة الخطأ، لكنها لم تنسَ قطّ الحديث الذي سمعته صدفة. كل ذلك جعل فيكتوريا مصممة على تكريس نفسها للطفل الجديد، وفعل أي شيء ممكن لمساعدته. أملت ألاّ يكون الضرر الناجم عن الخطأ فادحاً. قد يكون مجرد ذراع مكسورة أو ضربة على الرأس.

تم التخطيط لولادة كريستين القيصرية هذه المرة، وشرح والدا فيكتوريا لها أن أمها ستبقى في المستشفى لمدة أسبوع، وأنها لن تتمكن من رؤية أمها أو المولود قبل عودتهما من المستشفى إلى المنزل. قالا إن هذه هي القوانين، وتساءلت ما إذا كان هذا الأمر ربما لمنحهما الوقت لإصلاح الضرر اللاحق بالمولود نتيجة الخطأ الغامض الذي لا يرغب والداها أبداً على ما يبدو في مناقشته أو شرحه.

يوم ولد الطفل، جاء والدها إلى المنزل عند الساعة السادسة بينما كانت جدّتها تحضر لها العشاء. نظرتا إليه بترقب، وكانت خيبة الأمل جلية عندما أخبرهما أنها فتاة. ثم ابتسم وقال إن الطفلة جميلة، وتبدو مثله ومثل كريستين هذه المرة. بدا مرتاحاً جداً، بالرغم من أن الطفل ليس صبياً. وقال إنهما سيطلقان عليها اسم غرايسي لأنها جميلة جداً. ابتسمت الجدة

داوسون حينها، فخورة بقدرتها على تخمين جنس الطفل، فقد كانت واثقة بأنها فتاة. قال جيم إنها تملك شعراً داكناً، وعينين بنيتين كبيرتين مثلهما، وبشرة بيضاء مثل أمها، وشفتين ورديتين صغيرتين. قال إنها جميلة جداً لدرجة أنّه يمكن استخدامها في إعلانات الأطفال. جمالها عوّض عن عدم كونها صبياً. لم يذكر وجود أي إصابة في المولود، نتيجة الخطأ الذي قلقت فيكتوريا بشأنه طوال الأشهر الثمانية الماضية، وارتاحت لذلك أيضاً. أملت أن تكون الطفلة بخير، وأن تبدو ظريفة جداً.

اتصلوا بأمها في المستشفى في اليوم التالي، فبدت متعبة جداً. جعل ذلك فيكتوريا أكثر تصميماً على فعل أي شيء ممكن للمساعدة عند عودتهما إلى المنزل.

عندما رأت فيكتوريا أختها للمرة الأولى بدت لها أكثر جمالاً ممّا وُصِفَتْ به. كانت رائعة تماماً، ومثالية التكوين. بدت مثل طفلة في كتاب مصوّر، أو إعلان؛ مثلما قال والدها. أحبتها الجدة داوسون على الفور، وأخذت الطفلة من ذراعي كريستين بينما ساعدها جيم على الجلوس على كرسي، وحاولت فيكتوريا النظر إليها عن كثب. كانت تتوق إلى حملها، وتقبيل وجنتيها، ومداعبتها، ولمس أصابعها الصغيرة. لم تشعر بالغيرة منها ولو هنيهة واحدة، وإنما كانت فقط سعيدة وفخورة بها.

قال جيم لأمه بفخر: "إنها رائعة، أليس كذلك؟". فما كان منها إلا أن وافقته الرأي على الفور. لم يذكر قطّ جدته لأبيه هذه المرة، ولا حاجة إلى ذلك. إذ تبدو الطفلة غرايسي مثل دمية من البورسلين، وأجمعوا كلهم على أنها أجمل طفلة رأوها في حياتهم. فهي لا تشبه أبداً أختها الكبرى التي تملك عينين زرقاوين كبيرتين وشعراً بلون القمح. ويصعب التخيل أن الفتاتين شقيقتان، أو أن فيكتوريا تنتمي إلى هذه العائلة؛ إذ يملكون جميعاً شعراً داكناً بينما شعرها هي فاتح جداً. كما أن جسمها الممتلئ لا يشبه أبداً جسم أي منهم. لم يقارن أحد هذه الطفلة بالملكة فيكتوريا، أو يذكر أنفها الدائري. فهي تملك أنف قزم، أو يبدو أنفها كحجر كريم؛ تماماً مثل أنف

كريستين. بدا جلياً من اللحظة التي ولدت فيها أن غرايسي واحدة منهم، فيما بدا وكأنه تم وضع فيكتوريا أمام بابهم من قبل شخص غريب. كانت غرايسي مثالية، ولم تشعر فيكتوريا إلا بالحب عندما نظرت إليها بحنان وهي بين ذراعي جدتها. لم تكن تستطيع الانتظار حتى يضعوها جانباً لتتمكن من حملها بنفسها. فهذه هي الأخت التي طال انتظارها. وقد بدأت تحبها قبل وقت طويل من ولادتها. وأخيراً، ها قد وصلت الآن.

لم يستطع جيم منع نفسه من ممازحة ابنته الكبرى، مثلما يفعل دوماً. إنه من هذا النوع من الرجال، ويحب إطلاق النكات على حساب الأشخاص الآخرين. رأى أصدقاؤه أنه مضحك جداً، ولا يهتم أبداً بمن يكون ضحية نكاته. استدار نحو فيكتوريا مع ابتسامة عريضة، بينما كانت تحدق بحنان إلى الطفلة.

وقال وهو يداعب شعرها بحنان: "أظن أنك كنت *كيك* الاختبار. ولقد نجحنا هذه المرة في إعداد الوصفة الصحيحة". فيما شرحت الأم داوسون أن *كيك* الاختبار هو ما يتم صنعه للتأكد من تمازج المكونات مع بعضها، ومن حرارة الفرن. قالت إن الخلطة لا تنجح أبداً في المرة الأولى، ولذلك يجب رمي كيك الاختبار، ومعاودة التجربة مجدداً. شعرت فيكتوريا فجأة بالذعر لأن غرايسي مثالية جداً، ولذلك قد يتخلصون منها الآن. إلا أن أحداً لم يتحدث عن الموضوع، فيما صعدت أمها وجدتها وأختها الصغيرة إلى الأعلى، فلحقت بهن فيكتوريا بحذر. وقفت على مسافة بعيدة وراقبت كل شيء. أرادت أن تتعلم كيفية فعل كل شيء بنفسها. إنها واثقة بأن أمها ستسمح لها بذلك، حين تعود جدتها إلى المنزل. فقد سألتها قبل أن تأتي غرايسي، ووافقت أمها.

بدلتا ملابس الطفلة، وألبستاها رداء نوم ورديًّا صغيراً، ولفتاها ببطانية، وأعطتها كريستين زجاجة الحليب الذي وصفوه لها في المستشفى. ثم ساعدتها على التجشؤ ووضعتها في المهد. إنها الفرصة الأولى التي حظيت بها فيكتوريا لإلقاء نظرة مطولة على المولودة الجديدة. إنها فعلاً

أجمل طفلة رأتها فيكتوريا. لكن، حتى لو لم تكن جميلة، وحتى لو امتلكت أنف جدة والدها، أو بدت مثل الملكة فيكتوريا أيضاً، لكانت أحبتها أيضاً. إنها تحبها أصلاً. جمالها لا يهم على الإطلاق بالنسبة إلى فيكتوريا، وإنما يهم فقط أفراد عائلتها.

بينما كانت أمها وجدتها تتحدثان، مدت فيكتوريا إصبعها بحذر في المهد، ووضعتها مباشرة في يد الطفلة، فنظرت إليها الطفلة، ولفت أصابعها الصغيرة جداً حول إصبع فيكتوريا. إنها اللحظة الأكثر إثارة في حياة فيكتوريا لغاية الآن، وشعرت فوراً بالرابط بينهما، وعرفت أن هذا الرابط سيصبح أقوى وسيدوم إلى الأبد. أقسمت بصمت على أن تهتم بها طوال حياتها، وأنها لن تسمح لأحد بإيذائها أو بجعلها تبكي. أرادت أن تكون حياة الطفلة غرايسي مثالية، وهي مستعدة لفعل أي شيء لضمان ذلك. أغمضت غرايسي عينيها حينها وخلدت إلى النوم، فيما وقفت فيكتوريا تراقبها. إنها مسرورة جداً لعدم وجود أي ضرر نتيجة الخطأ، وحمداً لله ها هي غرايسي هنا أخيراً.

فكرت في ما قاله والدها عن كونها *كيك* الاختبار، وتساءلت إذا كان هذا صحيحاً. لقد أنجباها ربما فقط للتأكد من نجاح الأمر مع غرايسي. وإذا كان هذا صحيحاً، فقد نجحا فعلاً. إنها أجمل شيء رأته فيكتوريا، وقد قال والداها وجدتها ذلك أيضاً. للحظة وجيزة، تمنت فيكتوريا لو أن أحداً آخر كان *كيك* الاختبار، ولو أنهم شعروا تجاهها مثلما يشعرون بوضوح تجاه غرايسي. تمنت لو أن الوصفة أو حرارة الفرن نجحت ولم تفشل. ومهما كانت نواياهما من إنجابها أولاً، أملت فقط ألا يقرروا التخلص منها. كل ما تريده الآن هو مشاركة بقية حياتها مع غرايسي، وأن تكون أفضل أخت لها في العالم. وهي مسرورة لأن الطفلة لم ترث أنف جدة والدها أيضاً.

نزلت إلى الأسفل لتناول الطعام مع والديها وجدتها، فيما نامت الطفلة بسلام في الأعلى، بعد أن تناولت الحليب وتم تغيير حفاضها. أخبرتها أمها أنها ستنام كثيراً خلال الأسابيع القليلة الأولى. عند الغداء، تحدثت أمها عن

استعادتها رشاقتها بأسرع ما يمكن، وسكب جيم الشراب للكبار، وابتسم لفيكتوريا. هناك دوماً شيء من السخرية في طريقة نظره إليها، كما لو أنهما يتشاركان نكتة أو كما لو أنها هي النكتة. لم تتأكد فيكتوريا قطّ من حقيقة الأمر، لكنها كانت تحب أن يبتسم لها والدها. وهي الآن سعيدة بوجود غرايسي. إنها الأخت الصغيرة التي حلمت بها طوال حياتها؛ الإنسانة التي تحبها، والتي ستحبها بقدر ما تحبها هي.

www.mlazna.com
^RAYAHEEN^

الفصل 3

علمتها والدتها كيفيّة فعل كل شيء للطفلة. وعندما أصبح عمر غرايسي ثلاثة أشهر، كانت فيكتوريا قادرة على تغيير حفاضها، وغسلها، وإلباسها، واللعب معها لساعات، وإطعامها أيضاً. لم تفترق الاثنتان قطّ. ومنح ذلك كريستين استراحة ضرورية في الأيام المزدحمة. فمساعدة فيكتوريا لأمها منحت كريستين الوقت الكافي لتلقي دروس في الغولف، ورؤية مدربها الرياضي أربع مرات أسبوعياً. نسيت كم يحتاج الأطفال إلى الوقت. وأحبت فيكتوريا تقديم يد العون لها. فما إن تعود من المدرسة إلى المنزل، حتى تغسل يديها، وتحمل أختها، وتقدم لها كل ما تحتاج إليه. وكانت فيكتوريا من حظي بأول ابتسامة من غرايسي، وبدا جلياً أن الطفلة تهيم بها؛ تماماً مثلما كانت فيكتوريا تهيم بغرايسي.

بقيت غرايسي طفلة مثالية الجمال. وعندما أصبح عمرها سنة، بدأ الناس يستوقفون كريستين وابنتيها كلما اصطحبت الفتاتين معها إلى السوبرماركت. ونظراً إلى أنهم يعيشون في لوس أنجلوس، فقد كان هناك دوماً باحثون عن وجوه جديدة للسينما في الأماكن العادية. لذا، ألحوا على كريستين للسماح بمشاركة غرايسي في أفلام سينمائية، وبرامج تلفزيونية، وإعلانات تجارية، وإعلانات مطبوعة، والعمل في الإعلانات. وحظي جيم أيضاً بحصته من هذه الفرص كلما عرض صورتها. كانت فيكتوريا تراقب ما يحصل بإعجاب فيما يقترب الناس منهم، ويحاولون إقناع أمها بالسماح لهم بالاستعانة بغرايسي في كل أنواع الإعلانات والبرامج التلفزيونية والأفلام السينمائية، وكانت كريستين ترفض بلباقة. فهي لم ترغب في

استغلال طفلتهما، وكذلك الأمر بالنسبة إلى جيم. لكنهما شعرا دوماً بالإطراء من العروض، وأخبرا أصدقاءهما عنها لاحقاً. إلا أن فيكتوريا شعرت بأنها غير منظورة عند مراقبتها ما يحصل والسماع عنه لاحقاً. فقد بدا الأمر وكأنها غير موجودة عندما يتحدث الناس إلى أمها. الطفلة الوحيدة التي رأوها كانت غرايسي. لم تمانع فيكتوريا ذلك، لكنها تساءلت أحياناً عمّا يعنيه الظهور على التلفزيون أو في فيلم سينمائي. من الممتع أن تكون غرايسي جميلة جداً، وأحبت فيكتوريا تزيينها مثل الدمية، ووضع شرائط على شعرها الداكن المجعد. كانت طفلة جميلة، وأصبحت فتاة صغيرة رائعة المظهر أيضاً. وكادت فيكتوريا تطير فرحاً عندما لفظت أختها اسمها للمرة الأولى. كانت غرايسي تضحك بسعادة كلما رأتها، وكانت متعلقة جداً بأختها الكبرى.

عندما أصبحت غرايسي في الثانية من عمرها وفيكتوريا في التاسعة، توفيت الجدة داوسون بعدما مرضت لفترة وجيزة، ممّا ترك كريستين وحيدة من دون أن يكون هناك من يساعدها على تربية الطفلة؛ باستثناء ما تفعله فيكتوريا لمساعدتها. المربية الوحيدة التي استخدموها كانت والدة جيم، ولذلك بعد وفاة حماتها، توجب على كريستين العثور على مربية يستطيعون الوثوق بها عند الخروج إلى السهرات. بعد ذلك، جاء سيل من الفتيات المراهقات اللواتي جئن لاستعمال الهاتف، ومشاهدة التلفزيون، وترك فيكتوريا تهتم بالطفلة؛ الأمر الذي فضلته الأختان على كل حال. أصبحت فيكتوريا مسؤولة أكثر فأكثر فيما هي تتقدّم في العمر، وأصبحت غرايسي أكثر جمالاً سنة بعد أخرى. كانت دائمة الإشراق، والابتسامة لا تفارق محياها، وذلك بتحفيز من أختها الكبرى التي كانت الشخص الوحيد في العائلة القادر على جعلها تضحك عبر دموعها، أو على إيقاف نوبة بكاء. كانت كريستين أقل تكيفاً معها من ابنتها الكبرى. سعدت فيكتوريا كثيراً بالسماح لها بالاهتمام بغرايسي. وفي ذلك الوقت، كان والدها لا يزال يمازحها دوماً بشأن كونها *كيك الاختبار*. عرفت فيكتوريا ما يعنيه ذلك

بالضبط؛ أي أن غرايسي جميلة وهي غير جميلة، وأنهما نجحا في الجولة الثانية. شرحت ذلك لصديقة لها ذات مرة فبدت مذعورة من الشرح؛ أكثر بكثير من فيكتوريا التي باتت الآن معتادة على العبارة. لم يتردد والدها في استخدامها. عارضته كريستين مرة أو مرتين، وطمأنها جيم قائلاً إنّ فيكتوريا تعرف أنه يمازحها. لكن، في الحقيقة، كانت فيكتوريا تصدقه. وأصبحت مقتنعة حينها بأنها الخطأ، فيما غرايسي هي الإنجاز المثالي. وتعزز ذلك الانطباع من قبل كل شخص أبدى إعجابه بغرايسي. وترسخ إحساس فيكتوريا بأنها غير منظورة. فكلما علّق الناس على مدى جمال غرايسي وروعتها، لم يعرفوا ماذا يقولون لفيكتوريا، ولذلك لم يقولوا أي شيء وتجاهلوها ببساطة.

لم تكن فيكتوريا بشعة، وإنما عادية. فقد امتلكت مظهراً حلواً، وشعراً أشقر أملس كانت أمّها ترتبه لها في ضفائر، مقارنة مع الخصل الداكنة المتموجة في شعر غرايسي. أصبح شعر فيكتوريا أملس عندما تقدمت في العمر. كانت عيناها زرقاوين كبيرتين بلون سماء الصيف، لكن عيون غرايسي ووالديها الداكنة بدت دوماً أكثر غرابة وجمالاً بالنسبة إليها. فقد امتلكوا جميعاً لون العيون نفسه، ولون الشعر نفسه. أما هي فكانت مختلفة. كما أنّ أجسام والديها وغرايسي نحيلة، بحيث كان والدها طويلاً، فيما كانت أمها وأختها صغيرتين وناعمتين. كانت غرايسي ووالداها انعكاساً لبعضهم، أما فيكتوريا فمختلفة. فبنيتها أكبر حجماً، وكتفاها عريضتان بالنسبة إلى طفلة. بدت بصحة سليمة، مع وجنتين ورديتين وذاتي عظمتين ناتئتين. الميزة الوحيدة فيها كانت امتلاكها ساقين طويلتين، مثل مُهرة شابة. بدت ساقاها دوماً طويلتين ورفيعتين جداً بالنسبة إلى جسمها المربع؛ مثلما كانت جدتها تقول دائماً. كان القسم العلوي من جسمها قصيراً، ممّا جعل ساقيها تبدوان أكثر طولاً. وبالرغم من بنيتها العريضة، كانت سريعة ورشيقة. حتى كطفلة، كانت كبيرة الحجم بالنسبة إلى عمرها، غير أنّها لم تكن ضخمة جدًّا بحيث يمكن أن يقال عنها إنها بدينة، ولكن ما من شيء

نحيل فيها. قال والدها دوماً إنها ثقيلة جداً بالنسبة إليه ولا يستطيع حملها، فيما كان يرمي غرايسي في الهواء مثل الريشة. كان وزن كريستين أقل من الوزن الطبيعي حتى بعد إنجابها الطفلتين، ولها جسم رائع بفضل مدربها وصفوف الرياضة التي تشارك فيها. وكان جيم طويلاً ونحيلاً، ولم تكن غرايسي قطّ طفلة بدينة.

اللافت أكثر من أي شيء آخر هو أن فيكتوريا كانت مختلفة عن الباقين؛ بدرجة كافية يلاحظها الجميع. وفي أكثر من مرة، سأل الناس أهلها على مسمع منها إذا كانت فتاة بالتبني. شعرت وكأنها واحدة من تلك البطاقات التي يرفعونها في المدرسة وتظهر تفاحة، وبرتقالة، وموزة، وحذاء، فيما تسأل المعلمة أي بطاقة هي المختلفة. في عائلتها، كانت فيكتوريا الحذاء على الدوام. إنه شعور غريب رافقها كل حياتها؛ الشعور بأنها مختلفة وغير منتمية إلى المجموعة. لو كان أحد والديها يشبهها على الأقل، لشعرت بأنها تنتمي إلى هذه العائلة. لكن، حسب واقع الحال، لم تكن كذلك، وكانت الشخص الوحيد المختلف، ولم يقل عنها أحد يوماً إنها جميلة، مثلما كانوا يفعلون مع غرايسي. فقد امتلكت غرايسي طلة مثالية فيما كانت فيكتوريا الأخت الكبرى غير الجذابة التي لا تتطابق مع البقية.

امتلكت فيكتوريا شهية جيدة، الأمر الذي أبقى جسمها أعرض مما يفترض به أن يكون عليه. إذ إنها تتناول حصصاً كبيرة في كل وجبة طعام، وتنهي طبقها دوماً حتى آخر لقمة. أحبت الكيك والسكاكر والآيس كريم والخبز، خصوصاً إذا كان طازجاً وقد خرج من الفرن مباشرة. كانت تتناول وجبة غداء كبيرة في المدرسة. لم تستطع قطّ مقاومة طبق البطاطا المقلية، أو الهوت دوغ، أو المثلجات بالكريما. أحب جيم الأكل أيضاً، لكنه كان رجلاً كبيراً، ولا يزداد وزنه أبداً. أمّا كريستين فاكتفت بتناول السمك المشوي، والخضار المسلوقة، والسلطات، وكلها وجبات تكرهها فيكتوريا التي كانت تفضل التشيزبرغر، والمعكرونة، وكرات اللحم. وبالرغم من كونها طفلة إلاّ أنها كانت تسكب لنفسها غالباً طبقاً ثانياً، بالرغم من تحذير

والدها لها، أو حتى الضحك عليها والسخرية منها. بدا أن لا أحد في عائلتها يكتسب الوزن باستثنائها. ولم تفوت قطّ أي وجبة طعام. وقد منحها الشعور بالامتلاء إحساساً بالراحة.

لطالما حذرها والدها قائلاً: "ستندمين يوماً ما على هذه الشهية. لا تريدين أن يكون وزنك زائداً عندما تذهبين إلى الجامعة". بدت الجامعة بعيدة دهراً كاملاً، فيما البطاطا المهروسة أمامها، قرب طبق الدجاج المقلي. إلا أن كريستين كانت تنتبه دوماً إلى طعام الطفلة. شرحت أن غرايسي تملك بنية مختلفة وهي تشبهها، لكن فيكتوريا كانت تمرر لها خلسة السكاكر والحلويات، وأحبت غرايسي ذلك. وكانت تصرخ فرحة كلما رأت قطعة سكاكر تخرج من جيب فيكتوريا. وحتى عندما كانت فيكتوريا تملك قطعة واحدة فقط، كانت تعطيها لأختها.

لم تكن فيكتوريا تتمتّع بالشعبيّة في المدرسة مطلقاً، ونادراً ما سمح لها والداها بدعوة أصدقائها، ولذلك كانت حياتها الاجتماعية محدودة جداً. قالت أمها إنه يكفيها التعاطي مع الفوضى التي تحدثها فتاتان في المنزل. ولم تحب قطّ أياً من أصدقاء فيكتوريا عندما التقتهم. وقد وجدت دوماً عيباً فيهم لسبب أو لآخر، ولذلك توقفت فيكتوريا عن دعوتهم. نتيجة ذلك، لم يعد أحد يدعو فيكتوريا إلى منزله بعد المدرسة، لأنها لا تبادل بالمثل أبداً. وكانت دائماً ترغب في العودة إلى المنزل للمساعدة على تربية الطفلة. فهي تملك أصدقاء في المدرسة، لكنها صداقات لم تمتد أبعد من ساعات المدرسة. دراما سنواتها الدراسية الأولى تمثلت في كونها الفتاة الوحيدة في الصف الرابع التي لم تحصل على هدية بمناسبة الفالنتاين. عادت حينها إلى المنزل وهي تبكي، وطلبت منها أمها ألا تكون سخيفة. غرايسي هي حبها، وفي السنة التالية قالت فيكتوريا لنفسها إنها لا تبالي، وحضرت نفسها لخيبة الأمل. غير أنها حصلت في تلك السنة على هدية من فتاة طويلة بقدرها. كان كل الصبيان أقصر منها، أمّا الفتاة الأخرى فكانت طويلة ونحيلة، وفي الواقع أطول من فيكتوريا التي كانت أعرض بنية.

المأساة التالية التي واجهتها كانت نمو ثدييها فيما لا يزال عمرها أحد عشر عاماً. فعلت كل ما في وسعها لإخفائهما، وارتدت قمصاناً فضفاضة فوق أي شيء تملكه، ثم ارتدت قمصاناً واسعة جداً، واختارت كل شيء أكبر بمقاسين. إلا أن ثدييها استمرا بالنّمو، مما زاد من حزنها. وفي الصف السابع، أصبح لديها جسم امرأة. فكرت غالباً في جدة جدتها، صاحبة الوركين العريضتين والخصر الكبير والثديين الضخمين والبنية الممتلئة. دعت فيكتوريا دائماً ألا تصبح أبداً بدينة بقدر ما كانت جدة والدها. الشيء الوحيد المختلف فيها هو ساقاها الطويلتان والنحيلتان اللتان لم تتوقفا قطّ عن النمو على ما يبدو. لم تعرف فيكتوريا ذلك لكنهما كانتا أجمل ما فيها. لطالما قال أصدقاء والديها عنها إنها فتاة بدينة، ولم تعرف قطّ عن أي شيء يتحدثون بالضبط؛ عن ساقيها الطويلتين، أو ثدييها الكبيرين، أو جسمها الضخم. وقبل أن تتمكن من معرفة الجزء الذي ينظرون إليه في جسمها، كانوا يحولون انتباههم إلى الجميلة غرايسي. شعرت فيكتوريا كأنها وحش قربها، أو عملاقة. وبسبب طولها، وجسمها الشبيه بجسم المرأة، بدت أكبر من عمرها بسنوات. أطلق عليها أستاذ الفنون في الصف الثامن اسم *روبنسك*، ولم تجرؤ على سؤاله عمّا يعنيه ذلك، ولم تكن تريد أن تعرف. إنها واثقة بأنها طريقة فنية للقول عنها إنها بدينة وكبيرة، وهذا ما باتت تكرهه. لا تريد أن تكون كبيرة. تريد أن تكون صغيرة؛ مثل أمها وأختها. كان طولها خمس أقدام وسبعة إنشات عندما توقفت عن النمو في الصف الثامن، وليس هذا هائلاً، لكنها كانت أطول من معظم رفيقاتها البنات، ومن كل الصبيان في ذلك العمر. وشعرت بأنها غريبة المظهر.

كانت في الصف السابع عندما دخلت غرايسي الحضانة، ورافقتها إلى صفها. أوصلتهما أمهما إلى المدرسة، وسرّت فيكتوريا باصطحاب غرايسي للقاء معلمتها، وراقبتها وهي تدخل الغرفة بحذر وتستدير لإرسال قبلة في الهواء لأختها الكبرى. انتبهت إليها طوال السنة خلال الاستراحة،

واصطحبتها إلى المنزل بعد انتهاء رعاية بعد الظهر. وصح الشيء نفسه في الصف الثامن، عندما كانت غرايسي في الصف الأول. لكن، في الخريف ستذهب فيكتوريا إلى مدرسة مختلفة لمتابعة دراستها الثانوية في موقع آخر، ولن تعود موجودة من أجل غرايسي، ولن تراها إذا مرّت أمام صفها خلال النهار. ستشتاق إليها. وكذلك هي حال غرايسي التي تعتمد على أختها الكبرى، وتحب رؤيتها وهي تلقي نظرة سريعة على صفها خلال النهار. بكت الفتاتان في آخر يوم لفيكتوريا في الصف الثامن، وقالت غرايسي إنها لا تريد العودة إلى المدرسة من دون فيكتوريا في الخريف. لكن فيكتوريا قالت إنها مجبرة على ذلك. الصف الثامن هو نهاية حقبة بالنسبة إلى فيكتوريا؛ وهي حقبة أحبتها. شعرت دوماً بالسعادة لمعرفتها أن غرايسي قريبة منها.

في الصيف الذي سبق دخولها الثانوية، باشرت فيكتوريا أول حمية غذائية لها. فقد رأت إعلاناً عن شاي عشبي في مجلة، وأرسلت في طلبه، ودفعت ثمنه من مصروفها الخاص. أشار الإعلان إلى أن الشاي يضمن خسارتها عشرة باوندات، وأرادت دخول الثانوية وهي تبدو أكثر نحافة مما كانت عليه في المدرسة المتوسطة. فمع وصولها إلى سن البلوغ، ازداد وزنها عشرة باوندات أكثر مما يفترض به أن يكون حسبما قال الطبيب. أجدى الشاي العشبي نفعاً أكثر مما هو متوقع، وجعلها مريضة جداً لأسابيع عدة. قالت غرايسي إنها صفراء وتبدو مريضة فعلاً، وسألت عن سبب شربها شاياً ذا رائحة كريهة جداً. لم يعرف والداها مشكلتها لأنها لم تخبرهما بما فعلته. لقد سبب لها الشاي اللعين إسهالاً حاداً، ولم تغادر المنزل لأسابيع عدة، وقالت إنها تعاني الانفلونزا. فقالت أمها لوالدها إن هذا توتر أعصاب عادي قبل دخول الثانوية. لكن، في النهاية، بالرغم من أنّ الشاي جعلها مريضة جدًّا إلاّ أنّه جعلها تخسر ثمانية باوندات في الوقت نفسه، ولقد أحبت فيكتوريا مظهرها نتيجة ذلك.

www.mlazna.com-RAYAHEEN

عاش آل داوسون في ضواحي بيفرلي هيلز في منطقة سكنية جميلة. لقد امتلكوا المنزل الذي يعيشون فيه قبل أن تولد فيكتوريا، وكان جيم رئيس وكالة الإعلانات في ذلك الحين. كانت مهنته جيدة، وبقيت كريستين مشغولة بابنتيها. بدوا عائلة مثالية، ولم يرغب الزوجان في المزيد من الأولاد. أصبحا في الثانية والأربعين، ومضت عشرون عاماً على زواجهما، وعاشا حياة جيدة. كانا مسرورين بعدم وجود المزيد من الأولاد، وفرحا بابنتيهما. أحب جيم القول إن غرايسي جميلتهما، فيما تملك فيكتوريا الذكاء. هناك مجال لكلتيهما في العالم. أراد أن تذهب فيكتوريا إلى جامعة جيدة وتتطلق في مهنة مهمة. "عليك الاعتماد على ذكائك". طمأنها كما لو أنها لا تملك شيئاً آخر لتقدّمه للعالم.

قالت كريستين: "ستحتاجين إلى أكثر من ذلك". أقلقها أحياناً أن تكون فيكتوريا ذكية جداً. قالت وهي تبدو قلقة: "لا يحب الرجال دوماً الفتيات الذكيات. عليك أن تكوني جذابة أيضاً". كانت تضايقها بشأن وزنها خلال العام الماضي، وفرحت بالباوندات الثمانية التي خسرتها، من دون أن تعرف ما فعلته فيكتوريا بنفسها خلال الشهر الماضي للتخلص من هذا الوزن. أرادت أن تكون فيكتوريا نحيلة أيضاً، وليست ذكية فقط. كانا أقل قلقاً بشأن غرايسي التي بدت أنها قادرة على غزو العالم بفتنتها وجمالها، حتى وهي في السابعة من عمرها. كان جيم رهن إشارة بنانها.

ذهب أفراد العائلة إلى سانتا باربارا لتمضية أسبوعين في نهاية الصيف، قبل أن تبدأ فيكتوريا المرحلة الثانوية، وأمضوا وقتاً جيداً. استأجر جيم منزلاً في مونتيسيتو، مثلما فعل قبلاً، وذهبوا إلى الشاطئ كل يوم. وهناك، علّق جيم على شكل فيكتوريا، فراحت بعد ذلك ترتدي قميصاً فوق ثوب السباحة ورفضت خلعه. قال إنها تملك صدراً ضخماً جداً، ثم لطّف الانتقاد بالقول إنها تملك ساقين رائعتين. تحدث غالباً عن جسمها أكثر مما تحدث عن علاماتها الممتازة. توقع ذلك منها، لكنه أوضح لها دوماً أن أمله قد خاب بسبب مظهرها، كما لو أنها أخفقت نوعاً ما، وكان هذا انعكاساً له.

سمعت كل ذلك قبلاً، مرات عدة. ذهبت مع أمها في نزهات طويلة على الشاطئ كل يوم، فيما ساعدت غرايسي على تشييد قصور من الرمل وتزيينها بالأزهار والحصى وعيدان السكاكر. أحبت غرايسي فعل ذلك معها، ممّا جعل فيكتوريا سعيدة. إلا أن تعليقات والدها بشأن مظهرها جعلتها دوماً حزينة. وزعمت أمها عدم سماع أي شيء، فلم تطمئنها قطّ، ولم تدافع عنها مطلقاً. عرفت فيكتوريا في قرارة نفسها أن أمها خائبة الأمل من مظهرها أيضاً.

ثمة شاب استلطفته فيكتوريا في مونتيسيتو في ذلك الصيف، يقيم في منزل في الشارع نفسه. كان جاك في مثل سنها، وسيذهب إلى كايت في جنوب كاليفورنيا في الخريف. سألها إذا كان يستطيع مراسلتها من الثانوية، فأجابته بالإيجاب، وأعطته عنوانها في لوس أنجلوس. تحدثا حتى وقت متأخر من الليل عن مدى توترهما بسبب الذهاب إلى الثانوية. واعترفت له فيكتوريا في الظلمة، فيما تشاركا قنينة مسروقة من شراب الشعير، وسيجارة – حصل عليهما من منزل والديه – أنها لم تكن فتاة ذات شعبية سابقاً. لم يفهم السبب. فقد رأى أنها فتاة ذكية وممتعة فعلاً. أحب التحدث إليها، ورأى أنها إنسانة لطيفة. لم تشرب شراب الشعير من قبل قطّ، ولم تدخن مطلقاً، وتقيأت عندما عادت إلى المنزل. لكن، لم يلاحظ أحد ذلك، فقد كان والداها في السرير، وغرايسي نائمة في الغرفة المجاورة. غادر جاك في اليوم التالي لأنهم سيزورون بيت جده في تاهو قبل أن يبدأ دراسته الثانوية. لم تعد فيكتوريا تملك بيت جد، الأمر الذي اعتبرته نعمة أحياناً، لأنه لم يعد هناك من ينتقدها بشأن مظهرها. رأت أمها أنها تستطيع قص شعرها والبدء ببرنامج للتمارين الرياضية في الخريف. أرادتها أن تتعلم الجمباز أو الباليه، من دون أن تدرك مدى انزعاج فيكتوريا من ظهورها أمام فتيات أخريات في ملابس ضيقة؛ إذ تفضل فيكتوريا الموت أولاً، وتفضل الحفاظ على الصورة التي لديها بدلاً من خسارتها بهذه الطريقة. فمن الأسهل بالنسبة إليها أن تجعل نفسها مريضة بذلك الشاي العشبي المقرف.

شعرت بالضجر في مونتسيتو بعدما غادر جاك. وتساءلت إذا كانت ستسمع أخباره بعد أن يبدأ المرحلة الثانوية. في بقية الوقت في مونتسيتو، لعبت مع غرايسي. لم تبال فيكتوريا بأن تكون أختها أصغر منها بسبع سنوات، لأنها تستمتع دوماً معها. ولطالما أخبر والداها أصدقاءهما أن فارق العمر بين الأختين البالغ سبع سنوات مجدٍ فعلاً. لم تشعر فيكتوريا بالغيرة من أختها الصغيرة مطلقاً، وأصبحت الآن مربية موثوقة تماماً بعد أن صار عمرها أربعة عشر عاماً. فقد كان جيم وكريستين يتركان غرايسي مع أختها الكبرى كلما خرجا، وهذا ما باتا يفعلانه بوتيرة أكبر بعدما كبرت الفتاتان.

تعرضوا لحادثة واحدة مخيفة في أثناء الإجازة، وذلك عندما غامرت غرايسي بالتوغل عميقاً في الماء بعد ظهر أحد الأيام، فيما كان المد منخفضاً. كانت فيكتوريا معها، وعادت إلى الشاطئ لدقيقة لإحضار المزيد من الواقي الشمسي لبسطه على جسد أختها. ثم جاء المدّ وأصبح التيار في الماء قوياً، فانقلبت غرايسي نتيجة موجة قوية، واختفت تحت الموجة قليلاً كما لو أن المحيط قد ابتلعها. شاهدت فيكتوريا ذلك، وصرخت وهي تركض مسرعة إلى الماء، وغاصت في الموجة، ثم خرجت منها وهي تحكم قبضتها على ذراع غرايسي فيما ضربتهما موجة أخرى. في ذلك الوقت، رأى والداها ما حدث أيضاً، وراح جيم يركض نحو الماء فيما كريستين خلفه مباشرة. دخل الموجة، وأمسك بكلتا الفتاتين بذراعيه القويتين وأخرجهما، فيما وقفت كريستين تراقبهم برعب صامت، وهي متجمدة في مكانها. التفت جيم نحو غرايسي أولاً.

"لا تفعلي ذلك أبداً مجدداً! لا تلعبي في الماء بمفردك!".

ثم استدار نحو فيكتوريا مع نظرة غاضبة في عينيه وقال لها: "كيف تركتها بمفردها؟". كانت فيكتوريا تبكي، مذعورة مما حصل، وقميصها الرطب ملتصق بجسمها فوق ثوب السباحة.

قالت وهي تبكي: "ذهبت لإحضار واق شمسي لها كي لا تحترق بشرتها". لم تتفوه كريستين بأي كلمة، ووضعت منشفة حول غرايسي التي أصبحت شفتاها زرقاوين. فقد مضى وقت طويل على وجودها في الماء قبل أن يبدأ المدّ ويصبح التيار قوياً.

صرخ والدها وهو يرتجف من الخوف والغضب: "كادت تغرق". نادراً ما كان جيم يغضب من ابنتيه، لكنه كان مذعوراً مما حصل، تماماً مثلهنّ جميعاً. لم يتحدث قطّ عن كيفية إسراع فيكتوريا نحو أختها، وإخراجها إيّاها من الموجة قبل وصوله. كان غاضباً جداً مما كاد أن يحصل، وكذلك فيكتوريا. التجأت غرايسي إلى ذراعي أمها التي حضنتها بقوة في المنشفة. كانت حلقات شعرها الداكن مبللة وملتصقة برأسها.

قالت فيكتوريا بهدوء: "أنا آسفة بابا".

أدار ظهره، ومشى بعيداً فيما واست أمها أختها الصغرى، ومسحت فيكتوريا الدموع عن عينيها بمتن يدها. "أنا آسفة ماما". قالت بهدوء، فأومأت كريستين برأسها، وأعطتها منشفة لتلف بها نفسها. كانت الرسالة في حركتها واضحة.

كانت المرحلة الثانوية أسهل مما توقعت فيكتوريا في بعض النواحي. فالصفوف منظمة جيداً، وأحبت معظم الأساتذة، وكانت المواد ممتعة أكثر مما هي في المرحلة المتوسطة. من الناحية الأكاديمية، أحبت المدرسة وتحمست للعمل. لكن، من الناحية الاجتماعية، شعرت أنها مثل السمكة خارج الماء، وصدمت بالفتيات الأخريات عندما رأتهن في اليوم الأول. فقد بدون أكثر تحرراً من أي فتاة أخرى صادفتها قبلاً في المدرسة. ارتدت بعضهن ملابس مغرية، وبدون أكبر من أعمارهن. ووضعت كل الفتيات مستحضرات التجميل، فيما بدت الكثيرات منهن نحيلات جداً. بدا جلياً أن الأنوركسيا والشراهة المرضية دخلتا حيواتهن. شعرت فيكتوريا أنها مثل

حيوان الموظ في اليوم الأول، وكل ما أرادته هو أن تبدو *على الموضة* مثل الأخريات. راقبت بعناية الملابس التي يفضلنها، علماً أن العديد منها تبدو مريعة عليها، بالرغم من أن التنانير القصيرة التي ارتدينها بدت رائعة. لذا، فضلت فيكتوريا ارتداء الجينز مع قميص فضفاض لإخفاء جسمها. كان شعرها الأشقر الطويل منسدلاً على ظهرها، وانتعلت حذاء رياضياً جديداً اشترته مع أمها في اليوم السابق. مرة جديدة، كانت مختلفة عن الأخريات. لقد ارتدت الشيء الخطأ، وبدت مختلفة عن الفتيات الأخريات؛ فالفتيات اللواتي رأتهن يحتشدن خارج المدرسة عندما وصلت بدون وكأنهن يشاركن في نوع من مباراة في الأزياء. فقد بدون في الثامنة عشرة، وبدا جلياً أن بعضهن كنّ في هذا العمر فعلاً. لكن، حتى الفتيات اللواتي كنّ بمثل سنها ظهرن أكبر من أعمارهن الفعلية. وكل ما استطاعت رؤيته في البداية هو مجموعة من الفتيات النحيلات الجذابات، فأرادت البكاء.

"بالتوفيق. استمتعي بيومك الأول". قالت لها أمها ذلك عندما أوصلتها، وابتسمت لها. أرادت فيكتوريا الاختباء في السيارة. أمسكت بجدول مواعيد الحصص في يدها المرتعشة مع خريطة للمدرسة. أملت أن تتمكن من العثور على طريقها من دون طلب المساعدة. فقد خشيت أن تنفجر في البكاء، فيما انقبض قلبها ذعراً. قالت كريستين فيما خرجت فيكتوريا من السيارة: "ستكونين بخير". حاولت فيكتوريا أن تبدو عفوية وهي تسرع في صعود السلالم متجاوزة الفتيات الأخريات، من دون النظر إلى عيونهن أو التوقف لإلقاء التحية عليهن. بدون مثل جيش من الفتيات *الظريفات*، وشعرت أنها غير *ظريفة* على الإطلاق.

رأت بعضهن في المقهى خلال الغداء في ذلك اليوم، وجلست بعيداً عنهن. اشترت كيساً من رقاقات البطاطا المقلية، وشطيرة ضخمة، وكوباً من اللبن، وعلبة من البسكويت بالشوكولاته لتتناولها لاحقاً، وجلست بمفردها إلى طاولة، إلى أن جلست معها فتاة أخرى. كانت أطول من

فيكتوريا ونحيلة جداً. بدت وكأنها تلعب كرة السلة ضد معظم الشباب، وطلبت الإذن من فيكتوريا بالجلوس.

"هل تمانعين إذا جلست هنا؟".

قالت فيكتوريا وهي تفتح كيس رقاقات البطاطا المقلية: "لا، ما من مشكلة". وضعت الفتاة الأخرى شطيرتين على صينيتها، لكن بدا وكأنها لا تسمن أبداً نتيجة ما تأكله. ولولا شعرها البني الطويل، لبدت مثل صبي تقريباً. لم تكن تضع مستحضرات التجميل أيضاً، وكانت ترتدي سروال جينز وتنتعل حذاء كونفرس أيضاً.

سألتها الفتاة الأخرى وهي تفتح شطيرتها الأولى: "سنة أولى؟". فأومأت فيكتوريا برأسها وهي تشعر بأنها مشلولة من الخجل. "أنا كوني. أنا كابتن فريق الفتيات في كرة السلة، مثلما لاحظت ربما. طولي ست أقدام وإنشان. أنا في السنة الثانية. أهلاً بك في الثانوية. كيف جرت الأمور معك لغاية الآن؟".

قالت فيكتوريا وهي تحاول أن تبدو غير متأثرة: "لا بأس". لم تكن تريد أن تخبرها أنها خائفة جداً، وتشعر بأنها غريبة. تساءلت إذا كانت كوني في الرابعة عشرة أيضاً. بدت كوني مسترخية جداً ومرتاحة جداً لما هي عليه الآن، لكنها تجلس أيضاً مع فتاة في السنة الأولى، ممّا جعل فيكتوريا تتساءل إذا كان لديها أصدقاء. وإذا كان لديها أصدقاء فعلاً، فأين هم؟ بدت أطول من أي شاب آخر في الصالة.

قالت: "بلغت طولي الكامل حين كنت في الثانية عشرة. أخي طوله ست أقدام وستة إنشات، ويلعب مع فريق لوس أنجلوس لكرة السلة. هل تلعبين أي رياضة؟".

"القليل من كرة اليد، ولكن ليس دائماً". لطالما كانت أكاديمية أكثر مما هي رياضية.

"لدينا بعض الفرق الرائعة هنا. قد ترغبين في تجربة كرة السلة أيضاً. هناك العديد من الفتيات اللواتي يماثلنك طولاً". وكادت فيكتوريا

www.mlazna.com-RAYAHEEN

تضيف "ولكن، ليست أوزانهن مماثلة لوزني". كانت مدركة تماماً مظهر كل شخص، وعندما نظرت إليهم في أثناء دخولهم، شعرت بأنها بضعف حجمهم. شعرت بإحراج أقل مع هذه الفتاة، التي بدت على الأقل أنها لا تعاني من الأنوركسيا، ولا ترتدي الثياب كما لو أنها ذاهبة إلى موعد غرامي. بدت ودودة ولطيفة. طمأنتها كوني: "تحتاجين إلى بعض الوقت للتأقلم في الثانوية. شعرت فعلاً بالغرابة في اليوم الأول لي هنا. كل الصبيان الذين رأيتهم كانوا بنصف حجمي. وكانت الفتيات أكثر جمالاً مني. لكن، ثمة شيء لكل شخص هنا؛ لمحبّي الموضة، وملكات الجمال، وهناك نادٍ... ستعرفين كل شيء بعد فترة، وستتعرّفين إلى أصدقاء".

فرحت فيكتوريا فجأة لأن كوني جلست معها. شعرت أنها تملك الآن على الأقل صديقة جديدة. أنهت كوني كلتا الشطيرتين، وشعرت فيكتوريا بالإحراج لإدراكها أنها متوترة جداً، وأنّ كل ما تناولته هو رقاقات البطاطا المقلية والبسكويت بالشوكولاته. قررت تناول اللبن وترك الباقي. سألتها كوني باهتمام: "أين تعيشين؟".

"في لوس أنجلوس".

"أنا آتي من منطقة أورانج كل يوم. أعيش مع أبي. توفيت أمي في العام الماضي".

قالت فيكتوريا وهي تبدو متعاطفة على الفور: "أنا آسفة". وقفت كوني، وشعرت فيكتوريا أنها مثل القزم قربها. أعطت كوني فيكتوريا ورقة صغيرة عليها رقم هاتفها، فشكرتها فيكتوريا، ووضعت الورقة في جيبها.

"اتصلي بي إذا كان في وسعي مساعدتك في أي شيء. تكون الأيام الأولى صعبة دوماً. بعد ذلك تتحسن الأمور. ولا تنسي تجربة حظك مع الفريق". لم تتخيل فيكتوريا نفسها وهي تفعل ذلك، لكنها شعرت بالامتنان للاستقبال الودود الذي لقيته من هذه الفتاة التي جاءت إليها لجعلها تشعر بالارتياح. لم تعد فيكتوريا تعتقد أنها جلست صدفة إلى طاولتها. وفيما كانتا تتحدثان، مرّ شاب وسيم وابتسم لكوني.

قال وهو يمسك كتبه بكلتا يديه: "مرحبا كوني. هل تسجلين أسماء المنضمين إلى الفريق؟".

ضحكت له، وقالت بعد أن ذهب: "صحيح. إنه كابتن فريق السباحة، قد تحبين ذلك أيضاً. لمَ لا تجربين؟".

قالت فيكتوريا وهي تبدو خجولة: "قد أغرق. لست سباحة ماهرة".

"لا حاجة إلى أن تكوني كذلك منذ البداية. ستتعلمين. لهذا السبب يوجد المدربون. سبحت مع الفريق في السنة الأولى، لكنني لا أحب النهوض باكراً. التمارين عند الساعة السادسة صباحاً، وأحياناً عند الساعة الخامسة قبل الاجتماع".

قالت فيكتوريا مبتسمة: "أظن أنني أستغني عن ذلك". لكنها أحبت فكرة وجود خيارات أمامها. إنه عالم جديد تماماً. بدا أن الجميع يحبون هذا المكان، وعثر كل منهم على مكانه. أملت فقط أن تعثر على مكانها، أياً يكن. أخبرتها كوني أنه توجد استمارات تسجيل على لوحة الإعلانات الرئيسة خارج المقهى، لكل النوادي. أشارت إلى لوحة الإعلانات في أثناء خروجهما، وتوقفت فيكتوريا لإلقاء نظرة. نادٍ للشطرنج، نادٍ للسينما، نوادٍ للغات الأجنبية، نادٍ قومي، نادٍ لأفلام الرعب، نادٍ للأدب، نادٍ لاتيني، نادٍ للروايات الرومنسية، نادٍ لعلم الآثار، نادٍ للتزلج، نادٍ للتنس، نادٍ للسفر. هناك عشرات النوادي المذكورة. الاثنان اللذان يهمان فيكتوريا هما نادي السينما والنادي اللاتيني. لكنها كانت خجولة جداً لتدوّن اسمها على أي من اللائحتين. فقد تعلمت اللغة اللاتينية في المدرسة المتوسطة في العام الماضي وأحبتها. ورأت أن نادي السينما قد يكون ممتعاً. ولا يستلزم أي منهما أن تخلع ملابسها أو ترتدي بذلة تجعلها تبدو بدينة جداً. لهذا السبب لم تنضم إلى نادي السباحة، بالرغم من أنها في الواقع سباحة محترمة، وأفضل مما اعترفت به أمام كوني، ولم تحب أيضاً فكرة ارتداء الشورت في نادي كرة السلة. رأت أن نادي التزلج قد يكون ممتعاً أيضاً. فهي تذهب

للتزلج كل سنة مع عائلتها. كان والدها بطلاً في التزلج في شبابه، وكانت أمها بارعة أيضاً. دخلت غرايسي مدرسة التزلج عندما كانت في الثالثة، وهكذا فعلت فيكتوريا قبلها.

قالت كوني: "أراك لاحقاً". فيما مشت بسرعة بساقيها الطويلتين مثل الزرافة.

أجابتها فيكتوريا: "شكراً!". ثم أسرعت إلى الصف التالي.

كانت معنوياتها جيدة عندما جاءت أمها لاصطحابها عند الساعة الثالثة.

سألتها أمها بسرور: "كيف كان يومك؟". وشعرت بالارتياح لدى رؤيتها فيكتوريا سعيدة. بدا جلياً أن الثانوية لم تكن مخيفة مثلما كانت تخشى.

قالت فيكتوريا وهي تبدو مسرورة: "جيدة جداً. أحببت صفوفي. إنها أفضل بكثير من المرحلة المتوسطة. درست علوم الأحياء والكيمياء هذا الصباح، والأدب الإنكليزي واللغة الإسبانية بعد الظهر. أستاذ الإسبانية غريب قليلاً، بحيث لا يسمح لك بالتحدث بأي لغة غير الإسبانية في صفه، لكن بقية الأساتذة كانوا جميعاً لطفاء. وتحققت من النوادي المتوافرة. قد أشارك في نادي التزلج ونادي السينما، وربما النادي اللاتيني".

قالت كريستين: "يبدو هذا منطقياً في اليوم الأول". فيما توجهتا نحو مدرستها القديمة لإحضار غرايسي بعد انتهاء الحضانة النهارية. فيما ركنت كريستين السيارة أمام المدرسة، شعرت فيكتوريا فجأة وكأنها نضجت ألف سنة منذ شهر يونيو الماضي. شعرت الآن أنها ناضجة جداً لكونها في الثانوية، وليس هذا سيئاً على الإطلاق. كانت غرايسي تبكي عندما دخلت فيكتوريا لإحضارها.

سألتها فيكتوريا: "ماذا حصل؟". فيما حملتها بين ذراعيها. كانت صغيرة جداً بحيث تستطيع فيكتوريا حملها بسهولة.

قالت بغضب شديد: "كان يوماً مريعاً. رمى ديفد عظاءة عليّ، وأخذت ليزي شطيرة زبدة الفول السوداني الخاصة بي، وضربتني جايني! بكيت طوال اليوم". أضافت بحدّة.

طمأنتها فيكتوريا: "كنت سأفعل الشيء نفسه لو حصلت كل هذه الأمور معي". ورافقتها إلى السيارة.

قالت لأختها الكبرى: "أريد منك أن تعودي. ليس الجو ممتعاً هنا من دونك".

قالت فيكتوريا: "ليتني أستطيع". لكنها فجأة لم تكن واثقة. بدت لها المدرسة الثانوية جيدة هذا اليوم، أفضل مما اعتقدتها. ثمة احتمالات واضحة، وتريد أن تكتشفها الآن. ثمة أمل بأن تجد مكاناً لها هناك في النهاية. "أنا أيضاً اشتقت إليك". من المحزن الإدراك أنهما لن تكونا أبداً في المدرسة نفسها مجدداً. ففارق العمر بينهما كبير جداً.

وضعتها فيكتوريا على المقعد الخلفي، وأخبرت غرايسي أمّها عن مآسيها، فتعاطفت معها على الفور. لاحظت فيكتوريا فوراً، مثلما تفعل دائماً، أن أمها لم تكن يوماً حنوناً معها مثلما هي مع غرايسي. فعلاقتهما مختلفة وأكثر بساطة لأمها. وحقيقة أن غرايسي تشبههما سهّلت على والديها التعاطف معها. غرايسي واحدة منهم، ولطالما كانت فيكتوريا الغريبة بينهم. تساءلت فيكتوريا إن كانت كريستين لم تتعلّم كيف تكون أماً عندما ولدت، وتعلمت ذلك مع غرايسي، أو إن كانت تشعر فقط بارتياح أكبر معها. تستحيل معرفة ذلك، لكن على كل حال، لطالما كانت كريستين عملية معها، وأكثر انتقاداً وبعداً، ومتطلبة جداً؛ تماماً مثل والدها. برأيه، لا يمكن أن ترتكب غرايسي أي خطأ. لقد أصبحا ربما أكثر ليونة مع العمر. لكن كونها انعكاساً لهما بدا جزءاً من ذلك. كانا في العقد الثاني عندما ولدت فيكتوريا، وأصبحا الآن في العقد الرابع. ربما أحدث ذلك فرقاً، أو ربما هما لا يستلطفانها كثيراً. إذ لم تتم تسمية غرايسي تيمناً بملكة بشعة، حتى لو كان الأمر نكتة.

سألها والدها عن المدرسة تلك الليلة، وأخبرته عن صفوفها، وذكرت النوادي مجدداً. رأى أن خياراتها كلها جيدة، خصوصاً النادي اللاتيني، بالرغم من أنه يعتقد أن نادي التزلج سيكون ممتعاً وطريقة جيدة للتعرف إلى الشباب. رأت أمها أن النادي اللاتيني ثقافي جداً وعليها الانضمام إلى شيء اجتماعي أكثر للتعرف إلى أصدقاء. كانا مدركين تماماً أن فيكتوريا امتلكت القليل من الأصدقاء في المدرسة المتوسطة. لكنها تستطيع التعرف إلى أشخاص جدد في الثانوية، وفي السنة الثانية ستقود السيارة، ولن تحتاج إليهما أبداً لإيصالها. بالكاد يستطيعان الانتظار، لقد أحبت فيكتوريا تلك الفكرة أيضاً. فهي لا تريد أن يوجه إليها والدها ملاحظات ساخرة أمام أصدقائها، مثلما يفعل كلما أوصلها إلى مكان ما. حتى لو ظن أن تعليقاته مضحكة، فهي لا ترى ذلك أبداً.

في اليوم التالي، تسجلت في النوادي الثلاثة التي تهمها، ولكنها لم تتسجل في أي فريق رياضي. قررت إتمام مستلزماتها الرياضية في مادة التربية البدنية، بالرغم من أنه كان في وسعها التسجل في صف الباليه أيضاً، ما يجعل أسوأ كابوس لها حقيقة، وهي تقفز في النادي الرياضي مرتدية زوجاً من الجوارب الضيقة وفستاناً قصيراً جداً. ارتعدت عندما اقترح مساعد أستاذ التربية البدنية ذلك.

احتاجت إلى بعض الوقت، لكنها تمكّنت من عقد صداقات في النهاية. انسحبت من نادي السينما لأنها لم تحب الأفلام المعروضة. وذهبت في إحدى رحلات نادي التزلج إلى بير فالي، لكن الطلاب الذين ذهبوا معها كانوا مزعجين ولم يتحدثوا إليها مطلقاً. تسجلت في نادي السفر عوضاً عن ذلك. وأحبت النادي اللاتيني، بالرغم من أنه اقتصر على الفتيات، وتعلمت اللغة اللاتينية طوال السنة الأولى. تعرفت إلى أشخاص، لكن لم يكن عقد الصداقات في الثانوية سهلاً أيضاً. فقد كانت فتيات كثيرات يحتشدن في مجموعات صغيرة، ويبدون مثل ملكات

الجمال، وليس هذا أسلوبها. كانت الفتيات الأكاديميات خجولات مثلها ويصعب لقاؤهن. تبين أن كوني صديقة جيدة طوال سنتين إلى أن ذهبت في منحة جامعية إلى ديوك، وغادرت بعد التخرج. لكن، في ذلك الوقت، أصبحت فيكتوريا مرتاحة في المدرسة. سمعت أخبار جاك من ثانوية كايت بين الحين والآخر أيضاً، لكنهما لم يلتقيا مجدداً قطّ. قالا دوماً إنهما سيلتقيان لكنهما لم يفعلا ذلك مطلقاً.

عرفت أول موعد غرامي لها خلال السنة الأخيرة عندما دعاها شاب من الصف الإسباني إلى حفل تخرج السنة الثانية، وكان هذا إنجازاً كبيراً. قالت كوني إنه شاب رائع، وكان كذلك إلى أن ثمل في الحمام مع بعض الشبان الآخرين وتم طرده من الحفلة، فاضطرت إلى الاتصال بوالدها لإعادتها إلى المنزل.

حصلت على أول سيارة لها في الصيف الذي سبق سنتها الثانية، علماً أنها حصلت على رخصة القيادة في العام السابق، وصارت تملك الإذن بالقيادة. منذ ذلك الحين، باتت تذهب إلى المدرسة بمفردها. إنها سيارة هوندا قديمة اشتراها لها والدها، وتحمست لها.

لم يكن جسمها شيئاً تتحدث عنه أمام أحد، لكن في السنة الثانية أصبح جسمها أكبر مما كان عليه سابقاً. فقد ازداد وزنها عشرة باوندات خلال الصيف. إذ حصلت على وظيفة صيفية في محل للآيس كريم، وتناولت الآيس كريم في كل استراحاتها. غضبت أمها من ذلك، وقالت إن هذه الوظيفة غير مناسبة لها. فقد كان الإغراء كبيراً بالنسبة إلى فيكتوريا، حسبما تبين من الوزن الذي اكتسبته.

قال لها والدها: "تبدين أكثر فأكثر مثل جدتي يوماً بعد يوم". وكان محقاً. كانت تحضر معها إلى المنزل الآيس كريم على شكل مهرجين لغرايسي كل يوم. أحبت غرايسي طعمها، ولم يزدد وزنها قطّ مهما أكلت منها. أصبحت الآن في التاسعة، وفيكتوريا في السادسة عشرة.

إلا أن الفائدة الأساسية من وظيفتها الصيفية كانت اكتسابها ما يكفي من المال للقيام برحلة إلى نيويورك مع نادي السفر خلال إجازة الميلاد، وتبدلت حياتها. فهي لم تذهب إلى مدينة مثيرة كهذه من قبل قطّ، وأحبتها أكثر من لوس أنجلوس. نزلوا في فندق الماريوت قرب تايمز سكوير، ومشوا أميالاً كثيرة. ذهبوا إلى المسرح، والأوبرا، والباليه، وركبوا في القطار الكهربائي النفقي، وذهبوا إلى أعلى مبنى إمباير ستايت، وزاروا متحف المتروبوليتان، ومتحف الفن المعاصر، ومبنى الأمم المتحدة، ولم تستمتع فيكتوريا بهذا القدر مطلقاً في حياتها. حصلت أيضاً عاصفة ثلجية في أثناء وجودها هناك، وعندما عادت إلى لوس أنجلوس، كانت تشعر بالذهول. نيويورك أفضل مكان ذهبت إليه، وأرادت العيش هناك في يوم ما. قالت إنها قد تذهب إلى الجامعة هناك إذا استطاعت الحصول على قبول من جامعة نيويورك أو بارنار، وهذا أمر مستبعد بالرغم من علاماتها. إلا أنها بقيت متأثرة بالتجربة طوال أشهر عدة.

التقت أول صديق جدي لها في الثانوية بعد رأس السنة. كان مايك في نادي السفر أيضاً، لكنه فوّت الرحلة. وكان يخطط للذهاب إلى لندن وأثينا وروما مع النادي خلال الصيف. لم يسمح لها والداها بالذهاب، وقالا إنها لا تزال صغيرة جداً بالرغم من أنها أصبحت في السابعة عشرة من عمرها. كان مايك في السنة الثانوية الأخيرة، وكان والداه مطلقين، فوقّع والده على استمارة الموافقة. رأت فيكتوريا أنه ناضج جداً وواقعي وأغرمت به بجنون. للمرة الأولى في حياتها، جعلها تشعر بأنها جميلة، فقد قال إنه يحب مظهرها. سيذهب إلى جامعة ميثوديست الجنوبية في الخريف، وأمضيا الكثير من الوقت معاً، بالرغم من أن والديها لم يوافقا. قالا إنه غير ذكي كفاية بالنسبة إليها، ولم تهتم فيكتوريا بذلك. فقد أحبها، وجعلها سعيدة. أمضيا الكثير من الوقت وهما يكتشفان بعضهما في سيارته، ولكنها لم تذهب معه بعيداً. كانت خائفة جداً من القيام بتلك

الخطوة، وقالت إنها غير مستعدة. وفي شهر أبريل، تخلى عنها من أجل فتاة مستعدة. اصطحب الفتاة الجديدة إلى حفلة تخرج السنة الأخيرة، وجلست فيكتوريا في المنزل محطمة الفؤاد. فهو الشاب الوحيد الذي خرج معها طوال السنة.

لم تخرج في مواعيد غرامية كثيرة، ولم تعقد صداقات كثيرة مطلقاً. وأمضت الصيف وهي تعتمد حمية الشاطئ الجنوبي المنحفة. التزمت بها بحذافيرها، وخسرت سبعة باوندات. لكن، ما إن أوقفت الحمية الغذائية حتى استعادت وزنها السابق بالإضافة إلى ثلاثة باوندات جديدة. أرادت أن تخسر الوزن الزائد في السنة الثانوية الأخيرة، وأخبرها أستاذها في التربية البدنية أن وزنها زائد بمعدل خمسة عشر باوناً. خسرت خمسة باوندات في بداية السنة الأخيرة، بتناول حصص أصغر من الطعام وعدد أقل من الوحدات الحرارية، ووعدت نفسها بأن تخسر المزيد قبل التخرج. كانت ستفعل ذلك لو لم تمرض في شهر نوفمبر، ويتوجب عليها البقاء في المنزل لثلاثة أسابيع، وتناول الآيس كريم لأنه جعل حنجرتها أفضل. لقد تآمر القدر ضدها. كانت الفتاة الوحيدة في صفها التي ازداد وزنها ثمانية باوندات خلال مرضها. كان حجمها مثل معركة لا تستطيع الفوز بها. إلا أنها مصممة على الفوز هذه المرة، وراحت تسبح كل يوم خلال عطلة الميلاد وطوال شهر كامل بعد ذلك. وركضت حول الملعب الرياضي كل صباح قبل المدرسة. كانت أمها فخورة بها عندما خسرت عشرة باوندات.

كانت مصممة على خسارة الباوندات الثمانية الأخرى، إلى أن نظر إليها والدها ذات صباح وسألها إذا كانت ستبدأ بممارسة التمارين لخسارة بعض الوزن. لم يلاحظ حتى الباوندات العشرة التي خسرتها. بعد ذلك، توقفت عن السباحة والركض وعادت لتناول الآيس كريم بعد المدرسة ورقاقات البطاطا المقلية عند الغداء، بحصص أكبر، مما أرضاها. ما الفرق في ذلك؟ لم يلاحظ أحد ذلك، ولم يطلب أحد الخروج معها. عرض

www.mlazna.com-RAYAHEEN

عليها والدها اصطحابها إلى ناديه الرياضي، فقالت له إن لديها الكثير من العمل في المدرسة، وهذا صحيح.

كانت تعمل بكدّ لرفع علاماتها، وتقدمت إلى سبع جامعات: جامعة نيويورك، وجامعة بارنار، وجامعة بوسطن، ونورث وسترن، وجورج واشنطن في العاصمة واشنطن، وجامعة نيوهامبشاير، والثالوث المقدس. كل الجامعات التي تقدمت إليها كانت في الوسط الغربي أو الشرق. لم تتقدم إلى أي جامعة في كاليفورنيا، وغضب أهلها من ذلك. لم تكن واثقة من السبب، لكنها عرفت أن عليها المغادرة. شعرت أنها مختلفة لوقت طويل جداً. وبالرغم من معرفتها أنها ستشتاق إليهم، خصوصاً غرايسي، إلاّ أنّها أرادت حياة جديدة. هذه فرصتها، وستتمسك بها عند المستطاع. سئمت من المنافسة والذهاب إلى المدرسة مع فتيات يبدون مثل النجمات والعارضات، ويأملن أن يصبحن هكذا ذات يوم. أرادها والدها أن تتقدم إلى جامعة جنوب كاليفورنيا وجامعة لوس أنجلوس، لكنها رفضت. عرفت أن الأمر سيكون نفسه. أرادت أن تذهب إلى الجامعة مع أشخاص حقيقيين، وليس مع أشخاص مهووسين بأشكالهم. أرادت الذهاب إلى الجامعة مع أشخاص يهتمون بما يفكرون فيه؛ مثلها.

لم يتم قبولها في أي من جامعة نيويورك، وجامعة بوسطن، وجامعة جورج واشنطن. وكانت خياراتها في النهاية بين نورث وسترن، ونيوهامبشاير، والثالوث المقدس. أحبت جامعة الثالوث المقدس كثيراً، لكنها أرادت جامعة أكبر، وهناك تزلج جيد في نيوهامبشاير، لكنها اختارت نورث وسترن التي بدت ملائمة لها. ولعل أعظم شيء في الذهاب إليها هو أنها بعيدة جداً، وهي جامعة رائعة. قال والداها إنهما فخوران بها، بالرغم من حزنهما على مغادرتها إلى كاليفورنيا من دون أن يفهما سبب فعلها ذلك. لم يفهما كيف شعرت لوقت طويل بسبب إحساسها بأنها خارج المكان وغير مرحب بها. كانت غرايسي مثل ابنتهما الوحيدة، وشعرت هي كأنها

كلب العائلة. فهي لا تشبههم حتى، ولم يعد في وسعها تحمل الأمر. قد تعود إلى لوس أنجلوس بعد الجامعة، لكنها عرفت الآن أنّ عليها الذهاب بعيداً.

كانت واحدة من الطلاب الثلاثة الأوائل في صفها، وطُلب منها إلقاء خطاب الوداع في حفلة التخرج، فأذهلت الحاضرين برصانة ما قالته وقيمته. تحدثت عن كيفية شعورها بالاختلاف طوال حياتها، وكم حاولت جاهدة التكيف مع محيطها. قالت إنها لم تكن يوماً بطلة رياضية، ولم تشأ أن تكون كذلك. وهي ليست *جذابة، أو ذات شعبية*، ولم ترتدِ الملابس نفسها التي ارتدتها الفتيات الأخريات في السنة الثانوية الأولى. ولم تضع مستحضرات التجميل إلا في السنة الثانوية الأخيرة، ولا تزال لا تضعها كل يوم. أحبت الصف اللاتيني بالرغم من أنه جعل الجميع يظنون أنها غريبة. ذكرت كل الأمور التي جعلتها مختلفة، من دون أن تقول إنها شعرت بالغربة حتى في منزلها.

ثم شكرت المدرسة على مساعدتها لتصبح ما هي عليه الآن، ولمساعدتها على إيجاد طريقها. وقالت إنهم جميعاً سيذهبون الآن إلى عالم حيث سيكونون مختلفين، وحيث يتوجب عليهم أن يكونوا أنفسهم لكي ينجحوا، وأن يتبعوا مساراتهم الخاصة. تمنت لرفاقها التوفيق في رحلاتهم لاكتشاف أنفسهم، وتمنت التوفيق لنفسها أيضاً، وقالت إنّها تأمل أن يلتقوا مجدّداً في يوم من الأيام بعد أن يعثروا على أنفسهم، ويكتشفوا أنفسهم، ويصبحوا كما يفترض بهم أن يكونوا. قالت، فيما انهمرت الدموع على وجوه رفاقها ووالديها: "حتى ذلك الحين أيها الأصدقاء، فليكن الله معكم". عندئذ، تمنى العديد من أصدقائها لو أنهم عرفوها بصورة أفضل. أثّرت الكلمة التي ألقتها في والديها أيضاً، وجعلتهما يدركان أنها ستغادر قريباً، الأمر الذي جعلهما أكثر ليونة وهما يهنئانها على خطابها. أدركت كريستين أنها ستخسرها، فهي لن تعيش أبداً في المنزل مجدداً. وأصبح والدها فجأة هادئاً جداً أيضاً عندما التقاها بعد الاحتفال – حيث رمى الجميع قبعاتهم في

الهواء بعد الاحتفاظ بالشرابات لوضعها مع الشهادات – وريّت قليلاً على ظهرها.

هنأها قائلاً بصراحة: "إنّه خطاب رائع. وسيجعل كل الفاشلين في صفك يشعرون بالإيجابية". فيما نظرت إليه بعينين واسعتين وهي تتساءل أحياناً إذا كان غبياً، أو حقيراً. فهو لا يفوّت أبداً أي فرصة. لاحظت ذلك الآن.

قالت بهدوء: "نعم مثلي أنا بابا. أنا واحدة من أولئك الفاشلين وغريبي الأطوار. رأيي هو أنه لا بأس في أن يكون المرء مختلفاً. ومنذ الآن فصاعداً من الأفضل أن نكون كذلك إذا أردنا أن نحقق شيئاً لأنفسنا. هذا هو الشيء الذي تعلمته في المدرسة. لا بأس في الاختلاف".

قال وهو يبدو متوتراً: "لكن، ليس الاختلاف كثيراً". كان جيم داوسون منسجماً مع محيطه طوال حياته، واهتم كثيراً برأي الناس فيه. لم يملك يوماً فكرة فريدة في حياته. كان رجلاً نظامياً بكل معنى الكلمة. ولا يوافق على فلسفة فيكتوريا، بالرغم من أنه أعجب بالخطاب وبالطريقة التي ألقته بها. فقد لاحظ أنها ورثت قدراتها الخطابية منه. فقد اشتهر هو الآخر بخطاباته الممتازة. لكن جيم لم يحب قطّ البروز أو أن يكون مختلفاً. كانت فيكتوريا مدركة تماماً لذلك، ولهذا السبب لم تشعر مطلقاً بالارتياح معهما طوال حياتها، وهي الآن تشعر بارتياح أكثر لأنها مختلفة عن والديها في العديد من النواحي. ولهذا السبب، ستبدأ المغامرة الأكثر أهمية في حياتها، وستغادر المنزل لفعل ذلك. إنها راغبة في دفع نفسها إلى مكان راحتها إذا كان ذلك يعني العثور على نفسها في النهاية، والعثور على المكان الذي تنتمي إليه. كل ما تعرفه الآن هو أن مكانها ليس هنا، ليس معهما. مهما حاولت بكدّ، فهي بكل بساطة ليست مثلهما.

أدركت أيضاً أن غرايسي تكبر لتكون مثلهما، وأنها انسجمت معهما تماماً؛ وبطريقة مثالية. فغرايسي ووالداها يبدون وكأنهم مستنسخون عن

بعضهم. أملت فيكتوريا أن تبسط أختها الصغرى يوماً ما جناحيها وتحلق. في الوقت الحاضر، يتوجب على فيكتوريا فعل ذلك. وهي بالكاد تستطيع الانتظار، حتى لو أرعبها الأمر أحياناً. كانت خائفة جداً من ترك المنزل، لكنها متحمسة أيضاً. الفتاة التي قالوا إنها تشبه الملكة فيكتوريا طوال حياتها ستنطلق الآن بعيداً. ابتسمت وهي تغادر المدرسة الثانوية للمرة الأخيرة، وهمست لنفسها: "انتبه أيها العالم! ها أنا قادمة!".

www.mlazna.com
^RAYAHEEN^

الفصل 4

كان صيف فيكتوريا في المنزل قبل أن تبدأ الجامعة مراً وحلواً في العديد من النواحي. فقد كان والداها أكثر لطفاً معها مما كانا طوال أعوام، بالرغم من أن والدها عرّف عنها أمام شريك له في العمل بأنها كيك الاختبار. لكنه قال أيضاً إنه فخور بها أكثر من مرة، مما فاجأ فيكتوريا لأنها لم تظن قطّ أنه فخور بها فعلاً. وبدت أمها حزينة لرؤيتها ترحل، بالرغم من أنها لم تقل ذلك لفيكتوريا بصراحة مطلقاً. شعرت فيكتوريا وكأنهم جميعاً قد فوّتوا القطار. لقد انتهت سنوات طفولتها وأيام الثانوية، وتساءلت لماذا بددا كل هذا الوقت وركزا على كل الأشياء غير الصحيحة: على مظهرها، وأصدقائها، ووزنها الذي كان محط تركيزهما الأساسي، بالإضافة إلى شبهها بجدة والدها التي لم يعرفها أحد أو يهتم بأمرها. لماذا اهتما كثيراً بالأشياء غير المهمة؟ لماذا لم يكونا أقرب إليها، وأكثر حناناً، ولماذا لم يمنحاها المزيد من الدعم؟ لم يعد هناك وقت الآن لتشييد الجسر بينهم؛ هذا الجسر الذي كان يفترض أن يتواجد على الدوام لكنه لم يكن موجوداً قطّ. كانوا غرباء مع بعضهم، وهي لا تتخيل أنه يمكن أن يصبح الأمر مختلفاً في يوم ما. ستغادر المنزل، وقد لا تعيش معهما أبداً مجدداً.

لا تزال تريد الانتقال إلى نيويورك بعد الجامعة. إنه حلمها. ستعود إلى المنزل خلال العطلات، وستراهما في الميلاد ومناسبة الشكر وعندما يزورانها – إذا فعلا – ولم يعد هناك وقت ليضعا في المصرف الحب الذي كان يفترض بهما أن يدّخراه لها منذ زمن بعيد. تعتقد أنهما يحبانها، فهما والداها، ولقد عاشت معهما طوال ثمانية عشر عاماً، لكن والدها سخر منها

طوال حياتها، وخاب أمل أمها لأنها لم تكن أكثر جمالاً، وتذمرت لأنها ذكية جداً، وأخبرتها أن الرجال لا يحبون النساء الذكيات. كل طفولتها معهما كانت لعنة. وبعد أن أوشكت الآن على المغادرة قالا إنهما سيشتاقان إليها. لكن، عندما قالا ذلك، لم تكف عن التساؤل لماذا لم ينتبها إليها أكثر عندما كانت معهما؟ لقد تأخر الوقت كثيراً. هل يحبانها فعلاً؟ ليست واثقة أبداً. إنهما يحبان غرايسي بالتأكيد. لكن، ماذا عنها؟

الشخص الوحيد الذي صعب عليها فراقه هو غرايسي التي أحبتها من دون أي شروط؛ تماماً مثلما أحبتها فيكتوريا. لم تتحمل تركها وعدم رؤيتها كل يوم، لكنها عرفت أنها لا تملك خياراً. أصبح عمر غرايسي الآن أحد عشر عاماً، وبدأت تفهم كم تبدو فيكتوريا مختلفة عنهم جميعاً، وكم يكون والدها حقيراً أحياناً. فهي تكرهه حين يقول أشياء مؤلمة لفيكتوريا، أو حين يسخر منها، أو يشير إلى مدى اختلافها عنهم. برأي غرايسي، فيكتوريا جميلة، وهي لا تبالي ببدانتها أو نحولها. فهي برأيها الفتاة الأكثر جمالاً في العالم، وهي تحبها أكثر من أي شخص آخر.

خشيت فيكتوريا تركها، وأحبت كل يوم أمضتاه معاً. اصطحبتها لتناول الغداء في الخارج، وإلى الشاطئ، وتنزهت معها في أحضان الطبيعة، وأخذتها إلى ديزني لاند، وأمضت أكبر وقت ممكن معها. كانتا تستلقيان على الشاطئ بعد ظهر أحد الأيام في ماليبو، قرب بعضهما، وهما تنظران إلى الشمس، عندما استدارت غرايسي نحوها، وسألتها سؤالاً طرحته فيكتوريا على نفسها عندما كانت صغيرة أيضاً.

"هل تظنين أنه تم تبنّيك ولم يتم إخبارك قطّ؟". سألتها غرايسي ذلك بنظرة بريئة فيما ابتسمت أختها الكبرى. كانت ترتدي قميصاً قطنياً فضفاضاً فوق ثوب السباحة، مثلما تفعل دوماً، لإخفاء ما هو تحته.

اعترفت فيكتوريا: "كنت أظن ذلك عندما كنت صغيرة، لأنني أبدو مختلفة جداً عنهما. لكنني لا أظن ذلك. أظن أن ملامحي وصفاتي الجسدية تعود ببساطة إلى جيل سابق، إلى جدة أبي أو ما شابه. أظن أنني ابنتهما،

www.mlazna.com-RAYAHEEN

بالرغم من أننا لا نملك الكثير من الأشياء المشتركة". لم تكن فيكتوريا تشبه غرايسي أيضاً، لكنهما شريكتان في الروح، وكانتا كذلك طوال حياة غرايسي، وهما تعرفان ذلك. أملت فيكتوريا فقط ألا تصبح غرايسي مثلهما. لم تكن تظن ذلك، لكنهما يملكان تأثيراً قوياً عليها، وبعدما تذهب فيكتوريا، سيتشبثان بها أكثر، ويقولبانها وفق تصوّراتهما.

قالت غرايسي بحزن: "أنا مسرورة لأنك أختي. أتمنى لو أنك لا تذهبين إلى جامعة بعيدة، وتبقين هنا".

"أنا أيضاً، أبغض الفكرة عندما أفكر في تركك. لكنني سأعود إلى المنزل في عطلتي الشكر والميلاد، ويمكنك الذهاب لزيارتي".

"لن يكون الأمر نفسه"، قالت غرايسي ذلك فيما انهمرت دمعة على وجنتها. وعرفت كلتاهما أن هذا صحيح.

بدت العائلة كلها وكأنها في حداد عندما وضّبت فيكتوريا حقائبها استعداداً للذهاب إلى الجامعة. وفي الليلة التي سبقت مغادرتها، اصطحبهم والدها لتناول العشاء في فندق بيفرلي هيلز، وأمضوا وقتاً جيداً مع بعضهم. لم تكن هناك نكات تلك الليلة على حساب أي كان. وفي اليوم التالي، رافقوها هم الثلاثة إلى المطار، ولحظة خرجوا من السيارة، انفجرت غرايسي في البكاء، وطوقت خصر فيكتوريا بذراعيها.

اهتمّ والدها بحقائبها، فيما وقفت الفتاتان وهما تبكيان على الرصيف، ونظرت كريستين إلى ابنتها بحزن، وقالت بهدوء: "أتمنى لو أنك لا تذهبين". أرادت إعادة تجربة ما فات لو تتاح لها الفرصة. أحست أن فيكتوريا تخرج من حياتها إلى الأبد. لم تفكر قطّ كيف سيكون هذا اليوم، ولقد فاجأها الألم الذي تشعر به الآن.

قالت فيكتوريا وهي تعانقها ولا تزال تبكي، ثم عانقت أختها الصغرى مجدداً: "سأعود إلى المنزل قريباً. سأتصل بك الليلة ما إن أصل إلى غرفتي". أومأت غرايسي برأسها ولم تستطع التوقف عن البكاء، حتى إن عيني والدها كانتا دامعتين حين ودعها بصوت مخنوق.

"اهتمي بنفسك. اتصلي بنا إذا احتجت إلى أي شيء. وإذا لم يعجبك المكان، يمكنك دوماً الانتقال إلى جامعة هنا". أمل أن تفعل ذلك. بدا وكأن تركها كاليفورنيا من أجل الجامعة رفض له. أراداها أن تبقى في لوس أنجلوس، أو في مكان قريب، غير أنّ هذا أمر لا تريده فيكتوريا أو تحتاج إليه.

بعد أن قبّلتهم جميعاً، عبرت فيكتوريا مراكز الأمن، ولوّحت لهم بقدر ما تستطيع. لم يغادروا المطار إلا بعد أن اختفت عن أنظارهم. آخر من رأته من أفراد عائلتها كان غرايسي التي غادرت المطار، ماشية بين والديها. بدوا جميعاً شبيهين ببعضهم، بأجسامهم النحيلة وشعرهم الداكن. كانت أمها تمسك بيد غرايسي، ولاحظت فيكتوريا أن أختها لا تزال تبكي.

صعدت على متن الطائرة المسافرة إلى شيكاغو، وهي تفكر فيهم جميعاً، وعندما أقلعت الطائرة، نظرت إلى خارج النافذة؛ إلى المدينة التي تهرب منها للعثور على الأدوات التي تحتاج إليها لبدء حياة جديدة في مكان آخر. لا تعرف أين سيكون ذلك، لكن الشيء الوحيد الذي تعرفه هو أنه لن يكون هنا أو معهم.

كانت سنوات فيكتوريا في الجامعة بالضبط ما تمنته. وكانت الجامعة أفضل مما حلمت به أو توقعته. كانت كبيرة وواسعة، والصفوف التي أخذتها وبرعت فيها كانت جواز عبورها إلى الحرية. أرادت اكتساب المهارات التي تحتاج إليها للحصول على وظيفة وحياة في مكان ما غير لوس أنجلوس. اشتاقت إلى غرايسي، وأحياناً إلى والديها. لكنها عندما تفكر في العيش مع أهلها، يخبرها كل شيء أنها لا تستطيع أبداً العيش معهم مجدداً. أحبت زياراتها المتواترة إلى شيكاغو، واكتشافها كل شيء ممكن في المدينة. إنها مدينة حيوية ومتكلفة، واستمتعت فيها تماماً، بالرغم من طقسها البارد جداً.

عادت إلى المنزل في السنة الأولى في مناسبة الشكر، ولاحظت فوراً أن غرايسي قد أصبحت أطول، وأكثر جمالاً. ووافقت أمها أخيراً على السماح لها بالمشاركة في إعلان تجاري لمحلات غاب للأولاد. فجأة، أصبحت صورة غرايسي في كل مكان، وكان في وسعها الحصول على مهنة في عرض الأزياء، لكن والدها أراد لها حياة أفضل. وأقسم أنه لن يسمح مجدداً بذهاب ابنته إلى جامعة بعيدة عن المنزل بهذا القدر. أخبر غرايسي أنّ عليها الذهاب إلى جامعة لوس أنجلوس، أو بيبردين، أو بومونا، أو سكريبس، أو بيتزر، أو جامعة جنوب كاليفورنيا، لكنه لن يسمح لها بمغادرة لوس أنجلوس. فهو على طريقته الخاصة، اشتاق كثيراً إلى فيكتوريا. لم يكن لديه الكثير ليقوله عندما تتصل، باستثناء أمله أن تعود إلى المنزل سريعاً، ثم كان يمرر الهاتف إلى أمها التي كانت تسألها عن أحوالها، وإن كانت قد خسرت أي وزن. وهذا هو السؤال الذي تكرهه فيكتوريا أكثر من أي شيء آخر لأنها لم تخسر أي شيء. لقد أخضعت نفسها لحمية غذائية قاسية لمدّة أسبوعين قبل أن تعود إلى المنزل.

وعندما عادت إلى لوس أنجلوس في عطلة الميلاد، لاحظت أمها أنها قد خسرت بعض الوزن. فقد كانت تتمرن في النادي الرياضي في الجامعة، لكنها اعترفت أنها لم تخرج في أي موعد غرامي. فهي تعمل بكدّ كبير في الجامعة مما لا يتيح لها أي وقت. أخبرتهم أنها قررت الحصول على إجازة تعليمية، فعارض والدها على الفور. وأعطاهم ذلك موضوعاً جديداً للاختلاف عليه، وألهاهما عن وزنها وقلة مواعيدها الغرامية.

"لن تتمكني أبداً من جني مال كافٍ من خلال التعليم. كان يجدر بك التخصص في الاتصالات، والعمل في الإعلانات أو العلاقات العامة. أستطيع تدبر وظيفة لك". عرفت أن نيته حسنة، لكن ليس هذا ما تريد فعله. أحبت فكرة التعليم، والعمل مع الأولاد. غيّرت الموضوع، وتحدثوا عن برودة الطقس في الغرب الأوسط. لم تستطع تخيل شدة ذلك إلا بعد تواجدها هناك. كانت درجات الحرارة تحت الصفر طوال الأسبوع الذي

سبق عودتها إلى المنزل. كانت تستمتع بالذهاب إلى مباريات الهوكي. لم تكن متحمسة جداً لصديقتها في الغرفة، لكنها مصممة على جعل الأمر أفضل ما يمكن. وتعرفت إلى بعض الأشخاص في المبنى الذي تعيش فيه. لكن، في أغلب الأحيان، كانت تحاول التكيف مع الجامعة، وفكرة الابتعاد عن المنزل. قالت إنها اشتاقت أيضاً إلى الوجبات اللذيذة، ولم يعلّق أحد هذه المرة عندما تناولت ثلاث حصص من يخنة اللحم. وفرحت بأخذها استراحة من الذهاب إلى النادي الرياضي خلال تواجدها في المنزل. استمتعت بالطقس في لوس أنجلوس، مثلما لم تفعل من قبل قطّ.

أعطاها والدها حاسوباً جديداً كهدية بمناسبة الميلاد، وأهدتها أمها معطفاً جديداً. وحضرت لها غرايسي لوحة كبيرة علّقت عليها مجموعة من الصور الخاصة بهما، بدءاً من يوم ولادتها، لتعلقها في غرفة نومها في الجامعة. وعندما غادرت بعد الميلاد، لم تكن فيكتوريا واثقة إن كانت ستعود خلال عطلة الربيع. قالت إنها قد تسافر إلى مكان ما مع أصدقائها. في الواقع، أرادت الذهاب إلى نيويورك ومحاولة العثور على وظيفة صيفية، لكنها لم تذكر الأمر أمامهم. قال والدها إنها إن لم تأتِ إلى المنزل خلال شهر مارس، فسيذهبون لرؤيتها بعد ذلك، وسيصطحبونها إلى شيكاغو لتمضية عطلة نهاية أسبوع. وكان وداع غرايسي أصعب هذه المرة. فالأختان تشتاقان إلى بعضهما فعلاً، وقال والداها إنهما يشتاقان إليها أيضاً.

كان الفصل الثاني من السنة الأولى صعباً على فيكتوريا أيضاً. فالشتاء في الغرب الأوسط كان موحشاً وبارداً، وكانت وحيدة، ولم تتعرف إلى الكثير من الأشخاص، ولا تملك أصدقاء مقربين بعد، وأصيبت بانفلونزا حادة في شهر يناير. وعندما مرضت، لم تعد تذهب إلى النادي الرياضي، وبدأت بتناول الوجبات السريعة. وفي نهاية الفصل الثاني، اكتسبت خمسة عشر باوناً إضافيًا، ولم يعد في وسعها ارتداء أي شيء من الثياب التي أحضرتها معها. شعرت أنها بدينة جداً، ووزنها زائد بنحو

خمسة وعشرين باونداً. ولم يعد أمامها خيار إلا معاودة التمارين مجدداً، وراحت تسبح كل يوم. نجحت في خسارة عشرة باوندات من الوزن الإضافي بسرعة، باتباع حمية قاسية، وبتناول بعض الحبوب التي أعطتها إيّاها إحدى صديقاتها؛ والتي جعلتها مريضة جداً. إلا أنها استطاعت ارتداء ثيابها مجدداً، وكانت تفكر في الذهاب إلى *وايت واتشرز* لخسارة الخمسة عشر باونداً الأخرى، لكنها وجدت دوماً عذراً لعدم فعل ذلك. كانت مشغولة، وكان الطقس بارداً، ولديها الكثير من الامتحانات. إنها معركة مستمرة مع وزنها. وبالرغم من عدم وجود أمها لتوبيخها، ووالدها ليسخر منها، إلاّ أنها لم تكن راضية عن وزنها، ولم تخرج في أي موعد غرامي طوال السنة.

ذهبت إلى نيويورك متلما أملت لتمضية عطلة الربيع، ونجحت في الحصول على وظيفة كعاملة استقبال في شركة محاماة خلال فصل الصيف. كان الراتب محترماً، وبالكاد استطاعت الانتظار. لم تخبر عائلتها عن الأمر إلا في شهر مايو، واتصلت بها غرايسي وهي تبكي عبر الهاتف. لقد أصبح عمرها اثني عشر عاماً، وفيكتوريا تسعة عشر عاماً.

"أريدك أن تعودي إلى المنزل! لا أريدك أن تذهبي إلى نيويورك".

قالت: "سأعود إلى المنزل خلال شهر أغسطس قبل أن أعود إلى الجامعة". لكن غرايسي كانت حزينة لأنها لن تأتي إلى المنزل قبل ذلك. كانت قد شاركت مؤخراً في إعلان جديد لحملة وطنية. وكان والداها يدخران المال لها. أحبت التمثيل ورأت أنه ممتع، لكنها اشتاقت إلى أختها. فالحياة في المنزل غير ممتعة تقريباً من دونها.

التقوا فيكتوريا في شيكاغو متلما وعدوا، وأمضوا عطلة نهاية أسبوع طويلة في شهر أبريل، تساقط الثلج خلالها. كان شتاء طويلاً جداً، وعندما أنهت فيكتوريا امتحاناتها أخيراً، كانت متحمسة للسفر إلى شيكاغو لتمضية العطلة، وبدأت العمل في نيويورك مباشرة.

اشترت بعض التنانير والقمصان والفساتين الصيفية الملائمة لوظيفتها في شركة المحاماة. واستعادت السيطرة على وزنها مجدداً من خلال عدم تناول أي حلوى أو خبز أو معكرونة. كانت حمية غذائية قليلة الكربوهيدرات، وبدا أنها تجدي نفعاً. كانت تسير في الاتجاه الصحيح على الأقل، ولم تتناول الآيس كريم طوال شهر كامل. ستكون أمها فخورة بها. خطر لها أيضاً أنه فيما تتذمر أمها مما تأكله، كانت تحتفظ دوماً بكمية كبيرة من الآيس كريم في الثلاجة. وكانت تقدم كل الأشياء الدسمة التي تحب فيكتوريا تناولها. ولطالما وضعت الإغراءات في طريق فيكتوريا. قالت فيكتوريا لنفسها إنها تستطيع الآن على الأقل لوم نفسها فقط على ما تتناوله. وهي تحاول أن تكون ذكية وحريصة في ذلك، من دون اتباع أي حميات مجنونة أو الاستعانة بأقراص شخص آخر. لم تملك الوقت بعد للذهاب إلى *وايت واتشرز*، لكنها وعدت نفسها بأن تمشي إلى العمل كل يوم في نيويورك. ستعمل في بارك أفنيو والشارع الشرقي 53، وستقيم في فندق سكني صغير في غرامرسي بارك، على مسافة ثلاثين مبنى من العمل، أي على مسافة ميل ونصف الميل. ثلاثة أميال إذا مشت في كلا الاتجاهين.

أحبت فيكتوريا عملها الصيفي. فالأشخاص في مكتب المحاماة لطفاء معها. وهي كفوءة، ومسؤولة وفعالة. أجابت على الاتصالات الهاتفية، وسلمت المغلفات إلى المعنيين، واستقبلت ضيوف المحامين في الشركة. وجهت الزبائن إلى مكاتب المحامين، وتلقت الرسائل، وألقت التحية على الأشخاص في مكتب الاستقبال. إنها وظيفة سهلة وإنما كثيرة الانشغال، وكانت تتأخر في العمل في معظم الأيام. وعندما كانت تغادر، في حرّ الصيف المريع، كانت تشعر بتعب كبير يحول دون ذهابها إلى الفندق سيراً على الأقدام، فتستقلّ القطار إلى غرامرسي بارك. إلا أنها نجحت في السير إلى العمل في الأيام التي لا تكون فيها متأخرة، على الأقل لبعض الوقت. فعندما تحتاج إلى بعض الوقت لاختيار ملابسها أو ترتيب شعرها، كانت

www.mlazna.com-RAYAHEEN

تضطر إلى الذهاب على متن القطار للوصول إلى العمل باكراً كي لا تتأخر.

كانت فيكتوريا أصغر سناً من معظم السكرتيرات في مكتب المحاماة، ولذلك لم تعقد أي صداقات. فالناس مشغولون ولا يملكون الوقت للثرثرة وإقامة العلاقات الاجتماعية. تحدثت إلى عدد قليل من الأشخاص في غرفة طعام الموظفين خلال استراحة الغداء، لكنهم كانوا دوماً على عجلة من أمرهم ولديهم أشياء للقيام بها، ولم تكن تعرف أي شخص في نيويورك. غير أنها لم تبالِ. في عطلات نهاية الأسبوع، كانت تسير في نزهات طويلة في سنترال بارك، أو تستمع إلى الحفلات الموسيقية، وهي مستلقية على بطانية مبسوطة على العشب. ذهبت إلى كل المتاحف، ومشت حول دور العبادة، واستكشفت سوهو، وتشيلسي، والفيلاج، وجالت حول مبنى جامعة نيويورك. كانت لا تزال ترغب في الانتقال إلى هذه الجامعة، لكنها فكرت في أنها ستخسر بعض المواد، ولا تعرف إذا كانت علاماتها تؤهلها للقيام بذلك. إنها تنوي البقاء في نورث ويسترن طوال السنوات الثلاث المقبلة، أو إنهاء دراستها قبل ذلك إذا ذهبت إلى الجامعة في الصيف، لتنتقل بعدها إلى نيويورك وتعثر على وظيفة. بعد العيش في المدينة لمدة شهر عرفت أن هذا هو المكان الذي تريد أن تعمل فيه، من دون أي شك. خلال ساعات الغداء، كانت تبحث أحياناً عن أسماء المدارس في نيويورك. فقد كانت مصممة على التعليم في إحدى المدارس الخاصة، وما من شيء سيردعها عن تنفيذ خطتها.

عندما أنهت عملها في شركة المحاماة، سافرت إلى لوس أنجلوس، لتمضية الأسابيع الثلاثة الأخيرة من عطلتها الصيفية هناك ورمت غرايسي نفسها بين ذراعي أختها لحظة عبرت الباب. تفاجأت فيكتوريا حين لاحظت أن المنزل يبدو أصغر، وأن والديها يبدوان أكبر سنًّا، وغرايسي أكثر نضوجاً مما كانت عليه قبل أربعة أشهر. لكنها لا تشبه أبداً ما كانت عليه فيكتوريا في العمر نفسه، بجسمها الناضج بسرعة، وهيئتها الممتلئة،

وثدييها الكبيرين. كانت غرايسي صغيرة القامة مثل أمهما، فلديهما البنية نفسها والوجه الصغير نفسه. لكن، بالرغم من جسمها شديد النحول، بدت أكثر نضوجاً. وفي أول ليلة من عودة فيكتوريا إلى المنزل، اعترفت لها غرايسي بأنها مغرمة بصبي. التقته في نادي السباحة والتنس الذي تأخذها إليه أمها كل يوم. عمره أربعة عشر عاماً. شعرت فيكتوريا بإحراج كبير عندما اعترفت لها ولوالديها بأنها لم تخرج في أي موعد غرامي منذ أكثر من سنة. وعندما ألحوا عليها مراراً، ظناً منهم أنها خجولة، اخترعت أخيراً شاباً وهمياً خرجت معه في نورث ويسترن. قالت إنه يلعب الهوكي ويدرس الهندسة. أبلغها والدها فوراً أن كل المهندسين مضجرون. لكنهم ظنوا على الأقل أنها مغرمة بشاب. قالت إنه يمضي الصيف مع عائلته في ماين. بدوا مرتاحين لمعرفتهم أنها تخرج مع شاب، وقالت إنها لم تخرج مع أحد في نيويورك. إلا أن مواعدة شاب في الجامعة جعلتها تبدو طبيعية أكثر من حقيقة الليالي التي أمضتها وهي تدرس في غرفتها بمفردها.

أخذتها أمها جانباً، وأخبرتها أنها اكتسبت بعض الوزن في نيويورك، وعندما عادوا إلى النادي لكي ترى غرايسي *صديقها*، ارتدت فيكتوريا القميص والشورت، بدلاً من ارتداء ثوب السباحة؛ الأمر الذي تفعله دوماً عندما يزداد وزنها. تناولت هي وغرايسي الآيس كريم كل يوم تقريباً في طريق العودة إلى المنزل. لكنها لم تلمس قطّ بوظة الهاغن داس التي تحتفظ بها أمها في الثلاجة لأنّها لا تريد أن يراها والداها وهي تأكلها.

مرّت الأسابيع في كاليفورنيا بسرعة، وحزنوا مجدداً عند رؤيتها تغادر. كانت غرايسي أكثر انضباطاً هذه المرة، لكن صعبت عليهم معرفة أنهم لن يروا فيكتوريا مجدداً قبل ثلاثة أشهر؛ أي في مناسبة الشكر. إلا أن غرايسي ستكون مشغولة في فروضها الكثيرة في المدرسة، وستنتقل إلى الصف السابع. يصعب على فيكتوريا التصديق أن غرايسي ستصبح في الثانوية بعد سنتين.

كانت شريكة فيكتوريا في غرفة النوم في السنة الجامعية الأولى فتاة عصبية المظهر من نيويورك، لديها اضطراب في الأكل، وكانت نحيلة على نحو مخيف. اعترفت بعد أيام قليلة أنها كانت في المستشفى طوال الصيف، ولاحظت فيكتوريا أنها تصبح أكثر نحولاً يوماً بعد يوم. اتصل بها أهلها باستمرار للاطمئنان عليها، وقالت إنها تملك صديقاً في نيويورك. بدت تعيسة في الجامعة، وحاولت فيكتوريا تجاهل جو التوتر الذي ولّدته. كانت في قمّة الأزمة. ومجرد النظر إليها جعل فيكتوريا ترغب في الأكل أكثر. وعندما عادت فيكتوريا إلى لوس أنجلوس في مناسبة الشكر، قررت صديقتها في الغرفة ترك الجامعة والعودة إلى نيويورك. من المريح معرفة أنها لن تكون موجودة عندما تعود فيكتوريا إلى غرفتها؛ إذ يصعب العيش مع التوتر الذي تولده في الغرفة.

بين مناسبة الشكر والميلاد، التقت فيكتوريا أول شاب أعجبها منذ وجودها في الجامعة. إنه في كلية الحقوق، في سنته الثانية، ويدرس صف اللغة الإنكليزية معها. وهو شاب طويل ووسيم، شعره أحمر ويغطي النمش وجهه، وهو من لويزفيل في كنتاكي. ولقد أحبت فيكتوريا الاستماع إلى لكنته حين يتحدث. كانا في مجموعة الدراسة نفسها، ودعاها لشرب القهوة معه بعد ذلك. يملك والده عدداً من أحصنة السباق، وتعيش أمه في باريس، وهو ينوي تمضية الميلاد هناك معها. إنه يتحدث اللغة الفرنسية بطلاقة، وعاش في لندن وهونغ كونغ. كل شيء فيه بدا غريباً بالنسبة إلى فيكتوريا، وكان شخصاً لطيفاً ورقيقاً.

تحدثا عن عائلتيهما، وقال إن حياته انقلبت رأساً على عقب منذ طلاق والديه، وإنّ أمّه تنتقل باستمرار من مكان إلى آخر حول العالم. فقد تزوجت شخصاً بعد والده، ثم تطلقت مجدداً. رأى أن حياة فيكتوريا تبدو أكثر استقراراً من حياته، وهي كذلك، لكنها لا تعتبر طفولتها سعيدة أيضاً. كانت غريبة في منزلها طوال حياتها. وكان هو ضيفاً جديداً أينما ذهب. ذهب إلى خمس مدارس بعد الصف الثامن. وتزوج والده للتو من فتاة

عمرها ثلاثة وعشرون عاماً. أمّا هو ففي الحادية والعشرين من عمره. اعترف لفيكتوريا أن زوجة أبيه تحرشت به، وكاد يحدث ما لا تحمد عقباه. كانا ثملين، لكن بعجيبة المنطق الجيد، نجح في عدم الاستسلام، لكنه يخشى رؤيتها مجدداً. لذا، قرر تمضية الميلاد مع أمه في باريس، بالرغم من أنها تملك صديقاً فرنسياً جديداً لا يحبه كثيراً.

كان مضحكاً جداً في رواياته. لكن، ثمة شيء مأساوي في القصص التي أخبرها إيّاها عن ولد تائه ممزق بين والدين مجنونين وغير مسؤولين. قال إنه متأكد من أن الأشخاص الذين يملكون الكثير من المال يفسدون أولادهم. إنه يزور طبيباً نفسياً منذ أن كان في الثانية عشرة من عمره. اسمه بو، وبالرغم من بعض اللحظات الرومنسية، والقليل من المداعبات في الليلة التي سبقت رحيلها، إلاّ أنّ الأمر لم يتطور بينهما إلى أكثر من ذلك حين ذهبت إلى لوس أنجلوس لتمضية الميلاد. وعدها بالاتصال بها من باريس. وبدا رومنسياً ورائعاً جداً معها. كانت مفتونة به. وهذه المرة عندما سألها والداها عن الشخص الذي تواعده، استطاعت القول إنه في السنة الثانية في كلية الحقوق. بدا ذلك جيداً بالنسبة إليهما، بالرغم من أنها لم تتخيل إمكانية أن يستلطفه والدها أو والدتها؛ فهو غريب جداً بالنسبة إليهما.

اتصل بها بو خلال العطلة، وذهب إلى غستاد مع أمه وصديقها. بدا سئماً وتائهاً قليلاً. وأخبرها باستمرار أشياء جعلتها تضحك. أرادت غرايسي أن تعرف إذا كان وسيماً، لكنها قالت إنها لا تحب الشعر الأحمر. وهذه المرة انتبهت فيكتوريا إلى حميتها الغذائية، فامتنعت عن تناول الحلويات بالرغم من تعبير والدها عن دهشته الكبيرة حين قالت *ابنته الكبيرة* لا. إذ يستحيل تبديل رأيه بها على أنها فتاة تتناول كل الأشياء غير الصحيحة وتعاني دوماً الوزن الزائد.

خسرت فيكتوريا خمسة باوندات خلال الأيام العشرة التي أمضتها في لوس أنجلوس. وعادت هي وبو إلى نورث وسترن في اليوم نفسه

بفارق ساعات قليلة عن بعضهما. لم تفكر إلا فيه خلال العطلة، وتساءلت عن الوقت الذي سيحتاجان إليه قبل أن يصلا إلى العلاقة الكاملة. سيكون بو أول رجل في حياتها، واستطاعت تخيله رقيقاً وحساساً. كانا يقبلان بعضهما، ويضحكان ويتعانقان عندما جاء إلى غرفة نومها، وقال إنه متعب جداً من السفر بحيث لم يحصل أي شيء بينهما في تلك الليلة، ولا في الأسابيع العديدة التالية. كانا مع بعضهما باستمرار، ودرسا في المكتبة معاً، وبما أنه لم تعد هناك شريكة معها في غرفة النوم، فقد كان ينام أحياناً على السرير الآخر. أمضيا الكثير من الوقت وهما يقبلان بعضهما، ويداعبان بعضهما، لكنه لم يتجاوز ذلك قطّ. أخبرها أنه يجدر بها ارتداء التنانير القصيرة لأنها تملك أجمل ساقين رآهما في حياته. بدا مفتوناً بها تماماً، وللمرة الأولى في حياتها، كانت فيكتوريا تخسر وزنها فعلياً. أرادت أن تبدو رائعة أمامه. وشعرت بالرضى عن نفسها.

لعبا مع بعضهما بكرات الثلج، وذهبا للتزلج على الجليد، ولحضور مباريات الهوكي، وإلى المطاعم والملاهي. عرّفها إلى أصدقائه، وذهبا إلى كل مكان مع بعضهما، وأمضيا دوماً وقتاً رائعاً. لكن، بالرغم من كونهما قريبين جداً من بعضهما، إلاّ أنهما لم يصلا إلى العلاقة الكاملة. لم تعرف السبب، وخافت أن تسأل. تساءلت إن كان يعتبرها بدينة جداً، أو إن كان يحترمها كثيراً، أو إن كان خائفاً ربما، أو إن كانت زوجة أبيه البالغة من العمر ثلاثة وعشرين عاماً قد سببت له صدمة، أو ربما طلاق والديه. ثمة شيء يمنعه، ولا تعرف فيكتوريا ما هو. أرادها بشكل جلي، وباتت جلسات المداعبة بينهما أكثر شغفاً، لكنهما لم يُشبِعا توقهما إلى بعضهما مطلقاً، الأمر الذي دفع فيكتوريا إلى حافة الجنون. ذات ليلة، كانا يرتديان ملابسهما الداخلية فقط في غرفة نومها، حين أمسكها بين ذراعيه واستلقى من دون أن يتحرك لوقت طويل، ثم نهض عن السرير.

"ما المشكلة؟". سألته بهدوء، وهي واثقة بأن المشكلة فيها. ثمة خطب فيها بالتأكيد. ربما وزنها. كل مشاعرها بعدم كونها جيدة كفاية عادت إليها بلمح البصر فيما جلس بو على حافة السرير.

قال بتعاسة، فيما وضع رأسه بين يديه: "أنا أقع في غرامك".

"وأنا أيضاً. أين المشكلة في ذلك؟". كانت تبتسم له.

قال بهدوء: "لا أستطيع فعل ذلك بك". ولمست شعره الأحمر المنسدل فوق عينيه. بدا مثل هاك فين أو طوم سوير. إنه فتى.

"بلى، يمكنك. ليست هناك مشكلة". حاولت طمأنته فيما جلسا هناك مرتديين ملابسهما الداخلية فقط.

"لا، ليس هذا. لا أستطيع... أنت لا تفهمين. إنها المرة الأولى التي يحصل فيها هذا معي... مع امرأة... ومهما ظننت أنني أحبك الآن، فسأنتهي... مجدداً عاجلاً أم آجلاً. لا أريد أن أفعل ذلك بك، مهما رغبت فيك الآن. لن تستمر علاقتنا".

لوقت طويل، لم تعرف ماذا تقول. لم تتخيل ذلك على الإطلاق، فالأمر أكثر تعقيداً من أي علاقة تخيلتها معه. وهو عادل. فقد عرف أنه سيرغب في غيرها مجدداً عاجلاً أم آجلاً. لطالما فعل ذلك.

"لم يكن يجدر بي البدء بذلك، لكنني أغرمت بك يوم التقينا".

قالت بهدوء: "إذاً، لماذا لن تنجح علاقتنا؟". كانت شاكرة صراحته، لكنها صراحة مؤلمة.

"لأنها لن تنجح. هذا نوع من الوهم الغريب والجميل. لكنّ الأمر ليس حقيقياً بالنسبة إليّ. لا يمكن أن يكون هكذا أبداً. أخطأت عندما ظننت أن هذا ممكن. ستتألمين. لا أريد أن أفعل هذا بك. يجب أن نتوقف". قال ذلك وهو ينظر إليها بعينيه الخضراوين الكبيرتين، ثم تابع: "لنكن صديقين على الأقل". لكنها لا تريد أن تكون صديقته. إنها تقع في غرامه، وتتوق إليه، وهذا ما حصل منذ شهر. بدا مرتبكاً ومذنباً جداً، ويشعر بالخجل مما كاد أن يفعله، ومن التمثيلية التي أداها طوال شهر كامل. "ظننت أن الأمر قد

www.mlazna.com-RAYAHEEN

ينجح، لكن هذا لم يحصل. ليس هذا جيداً لك، فيكتوريا. أنت تستحقين أكثر من ذلك".

"لماذا يجب أن يكون الأمر معقداً؟ إذا كنت تقع في غرامي، فلمَ لا ينجح الأمر إذاً؟". كانت على وشك البكاء بسبب خيبة الأمل والحرمان.

"أظن أنك نوع من الوهم الأنثوي بالنسبة إليّ، بجسمك الرائع وثدييك الكبيرين. أنتِ من أظن أنه يجدر بي أن أشعر بالرغبة فيها، لكنني في الحقيقة لا أرغب فيك". كان صادقاً معها قدر الإمكان، وإشارته إلى جسمها الرائع كانت أفضل شيء قاله أحد لها. لكن، مهما كان جسمها رائعاً، فهو لا يريدها في النهاية. إنه رفض مهذب، لكنه يبقى رفضاً. قال: "من الأفضل أن أذهب". وراح يرتدي ملابسه بينما كانت تراقبه. ارتدى ملابسه بلمح البصر، ووقف ينظر إليها وهي مستلقية على سريرها. لم تتحرك أو تنطق بكلمة أخرى. قال: "سأتصل بك غداً". وتساءلت إن كان سيفعل ذلك. وإذا فعل، فماذا سيقول؟ لقد قال كل شيء الليلة. وهي لا تريد أن يكونا صديقين فقط. ظنت أنهما يملكان أكثر من ذلك بينهما. بدا لبرهة مفتوناً بها جداً.

"أظن أنه كان يجدر بي إخبارك منذ البداية. لكنني أردت أن تنجح العلاقة، ولم أشأ إخافتك".

أومأت برأسها، عاجزة عن إيجاد الكلمات الصحيحة، ولم تشأ البكاء. فالأمر مخزٍ الآن، فيما هي مستلقية على سريرها، مرتدية ملابسها الداخلية. نظر إليها لوقت طويل من حيث يقف قرب الباب، ثم ذهب، فاستلقت تحت البطانيات وبكت. الأمر محبط ومحزن في الوقت نفسه، لكنها عرفت أيضاً أنه محق. كان الأمر ليبدو أسوأ لو تطوّرت علاقتهما أكثر، وأرادت شيئاً لا تستطيع الحصول عليه. الأمر أفضل بهذه الطريقة. لكنها شعرت بأنها منبوذة؛ وكان شعوراً فظيعاً.

بقيت مستيقظة لساعات، وهي تفكر في الوقت الذي أمضياه معاً، والأسرار التي تشاركاها، وجلسات المداعبات الطويلة التي لم تفضِ إلى

أي شيء وإنما أثارتهما معاً، فيما كانا متعانقين بين ذراعي بعضهما وهما يشعران برغبة كبيرة. بدا كل ذلك غير مجدٍ الآن. ضغطت على زر المصباح فأظلمت الغرفة، وخلدت أخيراً إلى النوم. لم يتصل بها في الصباح، لكن غرايسي فعلت ذلك. كان قلب فيكتوريا محطماً عندما فكرت في ما حدث في الليلة السابقة.

"كيف حال بو؟". سألت غرايسي بصوتها المرح بعمر الاثني عشر عاماً.

"لقد انفصلنا". قالت فيكتوريا، وهي تبدو مستاءة جداً مثلما تشعر في الحقيقة.

"آه... هذا مؤسف جداً... بدا لطيفاً".

"نعم. هذا صحيح".

"هل تشاجرتما؟ ربما سيعود". أرادت أن تبدو متفائلة من أجل أختها الكبرى. فهي لا تحب أن تكون فيكتوريا حزينة.

"لا، لن يعود. لا بأس. كيف الأمور معك؟". قالت فيكتوريا وهي تبدل الموضوع، وأعطتها غرايسي تقريراً كاملاً عن الصبيان في الصف السابع، ثم أنهتا الاتصال، واستطاعت فيكتوريا أن تندب خسارتها بهدوء. لم يتصل بها بو في ذلك اليوم، ولا في الأيام القليلة التالية، ثم أدركت أنها ستراه في الصف. أصيبت بالهلع من ذلك، ثم استجمعت شجاعتها وذهبت إلى الصف، حيث ذكر الأستاذ بطريقة عفوية أن بو قد انسحب من صف الأدب الإنكليزي. وشعرت فيكتوريا بقلبها يتحطم مجدداً. كانت بالكاد تعرفه، لكنه خسارة على أي حال. وفيما غادرت الصف بعد ذلك، تساءلت إن كانت ستراه مجدداً. ربما لا. وعندما نظرت أمامها، رأته واقفاً بعيداً في الممشى، وهو يراقبها، واقترب منها ببطء فيما وقفت متجمدة في مكانها وانتظرت. لمس وجهها بيده برفق، وبدا وكأنه يريد تقبيلها، لكنه لم يفعل.

"أنا آسف". قال لها وبدا أنه يقصد ذلك فعلاً. "أنا آسف لأنني كنت غبياً وأنانياً جداً. فكرت في أن الأمر سيكون أسهل بالنسبة إلينا إذا انسحبت

من الصف. وإذا كان يوجد أي عزاء، فليس الأمر سهلاً عليّ أنا أيضاً. لم أشأ إحداث ضجة بشأن الموضوع لاحقاً".

قالت بهدوء، وهي تبتسم له: "لا بأس. لا بأس. أنا أحبك، مهما عنى ذلك الآن".

"الكثير". قال ذلك، ومسح وجنتها بشفتيه، ثم ذهب. وعادت فيكتوريا إلى غرفة نومها بمفردها. كان الثلج يتساقط، والجو بارداً جداً، فيما مشت على الطريق وهي تفكر في بو، وتأمل ألا يلتقيا أبداً مجدداً. كان الطقس بارداً جداً بحيث لم تشعر بالدموع التي انهمرت ببطء على وجنتيها. كل ما تستطيع فعله الآن هو إخراجه من عقلها، ومحاولة تخطي مشاعرها بالإخفاق. أياً كانت أسبابه، فهو لا يريدها. وشعورها بأنها امرأة غير مرغوبة أو غير محبوبة كان مألوفاً جداً بالنسبة إليها. التجربة مع بو كانت تأكيداً على كل ما خافت منه طوال حياتها.

الفصل 5

مرّت السنتان الأخيرتان من حياة فيكتوريا في الجامعة بسرعة كبيرة. فقد استلمت وظيفة صيفية في نيويورك مجدداً في نهاية السنة الجامعية الأولى. وعملت كموظفة استقبال في وكالة لعرض الأزياء هذه المرة، وكان العمل حماسياً جداً مقارنة مع عملها السابق في شركة المحاماة الذي كان رزيناً. أمضت وقتاً رائعاً، وصادقت بعض عارضات الأزياء اللواتي كنّ في مثل سنّها تقريباً، كما استمتعت بصحبة الأشخاص الذين يجرون الحجوزات أيضاً. ظنوا جميعاً أنها مجنونة عندما قالت إنها تريد التعليم في مدرسة، وتوجب عليها الاعتراف بأن العمل في وكالة لعرض الأزياء أكثر حماسة.

دعتها اثنتان من العارضات للعيش معهما، فتركت غرفتها المريعة في الفندق. وبالرغم من الحفلات التي يذهبن إليها، والساعات التي يحتفظن بها، والملابس التي يرتدينها، والرجال الذين يخرجن معهم، فقد تأثّرت بكدّهنّ في عملهنّ. الفتيات الناجحات يعملن مثل الكلاب، وينتبهن جيداً إلى مهنة عرض الأزياء. إنهنّ يصبن بالجنون بعد ساعات من العمل المتواصل، لكن العارضات الجيدات يأتين في الوقت المحدد لكل جلسة تصوير، ويعملن من دون كلل حتى انتهاء العمل، لمدة اثنتي عشرة ساعة أو أربع عشرة ساعة متواصلة أحياناً. ليس الأمر ممتعاً مثلما يبدو.

لطالما ذهلت فيكتوريا بمدى نحولهن. وكانت الفتاتان اللتان عاشت معهما في تريبكا لا تأكلان الطعام أبداً تقريباً. وجعلها ذلك تشعر بالذنب

نظراً إلى كل ما تأكله، وحاولت أن تحذو حذوهن، لكنها كانت تتضور جوعاً بحلول موعد العشاء. رفيقاتها أيضاً لا يأكلن أبداً، أو يأكلن طعاماً خاصاً بالحمية، والقليل منه فقط، وكنّ يبدون وكأنهن يعشن من دون طعام، وقد جرّبن كل أنواع الأدوية والوسائل لخفض أوزانهن. تملك فيكتوريا بنية مختلفة عنهن، لذا لم تكن تستطيع الاكتفاء بالحصص بالغة الصغر التي تأكلها رفيقاتها. إلا أنها اتبعت بأفضل ما يمكن نصائحهن في الحمية الغذائية، وتجنبت الكربوهيدرات، وتناولت حصصاً أصغر من الطعام، وبدت جيدة عندما عادت إلى لوس أنجلوس لتمضية شهر قبل أن تعود مجدداً إلى الجامعة. كرهت ترك نيويورك، وشعرت بحزن كبير. أخبرها رئيس الوكالة أنها إن رغبت يوماً في العمل معهم، فهم مستعدّون لقبولها في أي وقت. وأحبت غرايسي سماع القصص التي أخبرتها إيّاها فيكتوريا عندما عادت إلى المنزل. ستصبح في الصف الثامن هذه السنة، وفيكتوريا في سنتها الجامعية الثانية. باتت في منتصف المرحلة الجامعية، ولا تزال تحلم بالحصول على وظيفة في التعليم في نيويورك. عرفت أكثر من أي وقت مضى أنها تريد أن تكون هناك. وفقد والداها الأمل بإقناعها بالعودة مجدداً إلى المنزل. وعرفت غرايسي ذلك أيضاً.

أمضت الأختان شهراً رائعاً مع بعضهما إلى أن عادت فيكتوريا إلى الجامعة. أصبحت غرايسي أكثر جمالاً من أي وقت مضى هذه السنة، ولم تكن تملك شيئاً من الغرابة الشائعة عند معظم الفتيات في مثل عمرها. كانت نحيلة ورشيقة، تتعلم رقص الباليه، وتملك بشرة خالية من العيوب. وسمح لها والداها بعرض الأزياء بين الحين والآخر. اعترفت غرايسي فعلاً بأنها تكره المدرسة. كانت لديها حياة اجتماعية رائعة، والكثير من الأصدقاء، ويتصل بها على الدوام نصف دزينة من الشباب على هاتفها الخلوي الذي اشتراه لها والداها أخيراً. هذا مختلف جداً عن حياة فيكتوريا المتواضعة في الجامعة، بالرغم من أن الأمور تحسنت قليلاً خلال سنتها الثانية.

فقد واعدت شابين الواحد تلو الآخر، بالرغم من أن العلاقتين لم تكونا جديّتين، لكنها باتت تخرج في معظم عطلات نهاية الأسبوع، وهذا تحسن كبير مقارنة مع السنتين السابقتين. أقامت علاقة كاملة مع أحد الشابين اللذين واعدتهما، بالرغم من أنها لا تحبه. ولم تلتق بو مجدداً قطّ. ليست واثقة حتى من أنه لا يزال في الجامعة. كانت ترى بعض أصدقائه بين الحين والآخر من بعيد، لكنها لم تتحدث إليهم مطلقاً. كانت تجربة غريبة ولا تزال تغضبها كلما فكرت فيها. كان مثل حلم جميل. الشابان اللذان خرجت معهما بعد ذلك كانا أكثر واقعية. أحدهم لاعب هوكي، مثل الشاب الذي ادعت وجوده في سنتها الجامعية الأولى، ولقد استلطف فيكتوريا أكثر مما استلطفته. ترعرع في بوسطن، وكان فظاً قليلاً، ويميل إلى الشرب كثيراً والتصرف بتهور، فتوقفت عن رؤيته. والشاب الذي خرجت معه بعد ذلك، والذي أقامت معه علاقة كاملة، كان رائعاً وإنما مضجراً. فهو يدرس الكيمياء الأحيائية وعلم الفيزياء النووي، لكنها لا تملك الكثير لتقوله له. الشيء الوحيد الذي أحباه في بعضهما هو العلاقة بحد ذاتها. ركزت على دروسها، وتوقفت في النهاية عن رؤية عالم الفيزياء، بعد أشهر قليلة.

بقيت فيكتوريا في نورث ويسترن لأخذ دروس صيفية في نهاية السنة الثانية. إذ أرادت تخفيف العبء عن سنتها الجامعية الأخيرة والتركيز على تعليم التلاميذ. يصعب التصديق كم مرّ الوقت بسرعة. لا تزال أمامها سنة واحدة قبل أن تتخرج، وأرادت التركيز للحصول على وظيفة في نيويورك للسنة التالية. بدأت بإرسال الرسائل في الخريف، وكانت تملك لائحة بأسماء المدارس الخاصة حيث تأمل أن تعلّم بعد الحصول على شهادتها. عرفت أن الراتب ليس جيداً بقدر ما هو في المدارس الحكومية، لكنها رأت أن الوضع مناسب لها. بحلول الميلاد، أرسلت الرسائل إلى تسع مدارس. وكانت موافقة على التعليم في عدة مدارس، إذا توجب عليها الانتظار لتوافر وظيفة بدوام كامل.

جاءت الأجوبة مثل الرصاصات المنطلقة من مسدس في شهر يناير. إذ تم رفضها من قبل ثماني مدارس، وبقيت هناك مدرسة واحدة لم تجبها، ولم تكن متفائلة عندما لم تسمع شيئاً منها بحلول إجازة الربيع. كانت تفكر في الاتصال بوكالة عرض الأزياء حيث عملت سابقاً لمعرفة ما إذا كان بوسعها العمل معهم لمدة سنة، ريثما تتوافر وظيفة لها في إحدى المدارس. والراتب على كل حال سيكون أفضل مما هو في المدرسة، وربما تستطيع العيش مع بعض العارضات مجدداً.

أخيراً وصلها الجواب. جلست محدقة إلى المغلف مثلما فعلت عندما تلقت أجوبة القبول في الجامعة. فتحت المغلفات آنذاك بحيوية الواحد تلو الآخر، محاولة تخمين ما يوجد في كلّ منها. ورأت أنه من المستبعد أن تحصل على وظيفة في هذه المدرسة. فهي إحدى المدارس الخاصة الأكثر نخبوية في نيويورك، ولم تتخيل أن توافق إدارتها على توظيف معلمة متخرجة حديثاً من الجامعة. تناولت لوح شوكولاته كانت تحتفظ به في مكتبها، وعادت لفتح المغلف. فتحت الورقة المطوية، وحضرت نفسها لقراءة الرفض مجدداً. حضرة *الآنسة داوسون، شكراً على طلبك لكننا نأسف للقول إنه في هذا الوقت...* تخيلت الجواب في رأسها، ثم حدقت إلى الرسالة وهي غير مصدقة. لم يعرضوا عليها وظيفة، ولكنهم طلبوا منها الذهاب إلى نيويورك لإجراء مقابلة. شرحوا لها أن إحدى معلمات اللغة الإنكليزية ستأخذ إجازة أمومة طويلة في الخريف، ولذلك فإنهم لا يملكون وظيفة طويلة الأمد لها، ولكن يحتمل أن يتم توظيفها لسنة إذا جرت المقابلة على ما يرام. لم تستطع تصديق عينيها، فيما أطلقت صرخة ورقصت في أرجاء الغرفة، وهي لا تزال تمسك بلوح الشوكولاته. طلبوا منها إخبارهم إذا كان في وسعها الذهاب إلى نيويورك لإجراء مقابلة معهم خلال الأسبوعين المقبلين.

أسرعت إلى جهاز الحاسوب، وكتبت الرسالة، وأخبرتهم فيها أنه يسعدها الذهاب إلى نيويورك، ثم طبعت الرسالة ووقعتها، ووضعتها في

مغلف، وارتدت معطفها وذهبت مسرعة إلى صندوق البريد. لقد أعطتهم رقم هاتفها الخلوي وبريدها الإلكتروني أيضاً. وكانت بالكاد تستطيع الانتظار للذهاب إلى نيويورك. إذا حصلت على هذه الوظيفة، فحلمها سيكون قد تحوّل إلى حقيقة. هذا ما أرادته. نيويورك وليس لوس أنجلوس. أمضت أربع سنوات في نورث وسترن وهي تحلم بالذهاب إلى نيويورك. شعرت بالامتنان للمعلمة التي ستأخذ إجازة أمومة، وأملت أن تحصل على الوظيفة. مجرد حصولها على جواب من هذه المدرسة كان سبباً للاحتفال، فخرجت وتناولت البيتزا بعدما وضعت الرسالة في صندوق البريد، وتساءلت إذا كان يجدر بها الاتصال بهم عوض ذلك. إلا أنهم يملكون رقم هاتفها الآن، ويستطيعون تحديد الموعد، وتستطيع السفر إلى نيويورك في اليوم التالي. أخذت البيتزا إلى غرفة نومها، وجلست تبتسم للرسالة. فمجرّد معرفتها بإمكانية الحصول على وظيفة تعليمية في مدرسة خاصة في نيويورك جعلت يومها أسعد يوم في حياتها.

بعد ثلاثة أيام، اتصلوا بها على هاتفها الخلوي، وحدّدوا لها موعداً يوم الاثنين المقبل. وعدتهم بالذهاب، ثم قررت تمضية عطلة نهاية الأسبوع في نيويورك. خطر لها أن الموعد الذي حُدّد لها الآن سيكون في يوم الفالنتين، وهو يوم مذلّ بالنسبة إليها منذ الصف الرابع. لكن، إذا حصلت على الوظيفة فسيتغيّر رأيها فيه إلى الأبد. أملت أن يكون فأل خير من نوع ما. حجزت لرحلتها ما إن أنهت الاتصال، ثم استلقت على سريرها في غرفة نومها مبتسمة، ومحاولة تخيل ما سترتديه خلال المقابلة. ربما تنورة وكنزة مع كعب عالٍ، أو سروال وكنزة وحذاء مسطح. لا تعرف كم يجدر بها أن تكون مهندمة بالنسبة إلى وظيفة في مدرسة خاصة في نيويورك. ولا تعرف أحداً لتسأله عن ذلك. عليها التخمين بمفردها. وهذا كل ما استطاعت فعله لمنع نفسها من الركض والصراخ بسبب فرط الحماسة. واستلقت بدلاً من ذلك على سريرها وهي تبتسم مثل الهرّة السعيدة.

www.mlazna.com-RAYAHEEN

الفصل 6

مدرسة ماديسون في الشارع الشرقي 76، قرب النهر الشرقي، هي إحدى المدارس الخاصة الأكثر نخبوية في نيويورك. تمتد فيها الصفوف من الصف التاسع إلى الصف الثاني عشر، وهي مدرسة تمهيدية للجامعة. المدرسة مكلفة، ولديها سمعة ممتازة، وتلاميذها من نخبة نيويورك، مع مجموعة من التلاميذ الذين حصلوا على منح دراسية، وكانوا محظوظين كفاية لأنهم تأهلوا لدخول هذه المدرسة. بعد قبولهم، يملك التلاميذ كل الاحتمالات الأكاديمية وغير الأكاديمية الممكنة. فهم يذهبون إلى أفضل الجامعات في البلاد، وتعتبر هذه المدرسة إحدى أرقى الثانويات الخاصة في نيويورك. فهي تتلقى الكثير من الهبات المالية بحيث تم تجهيز مختبرات العلوم والحاسوب فيها بأحدث المعدات التي تنافس أي جامعة. قسم اللغات فيها استثنائي، بحيث يتم تعليم المندرية، والروسية، واليابانية، وكذلك اللغات الأوروبية، فيما قسم اللغة الإنكليزية مذهل فعلاً. العديد من تلاميذها أصبحوا كتّاباً ناجحين لاحقاً. والهيئة التعليمية فيها استثنائية أيضاً، بحيث يحمل الأساتذة شهادات من جامعات مهمة. وكما هي حال معظم المدارس الخاصة، كانت رواتب الأساتذة متدنية جداً. إلا أن فرصة العمل هناك تعتبر بمثابة جائزة حقيقية. فمجرّد الحصول على موعد لمقابلة كان شيئاً مهماً بالنسبة إلى فيكتوريا. والحصول على الوظيفة، ولو مؤقتاً لمدة سنة، كان أكبر من أحلامها. لو طُلب منها اختيار مدرسة للتعليم فيها، لاختارت هذه المدرسة.

استقلت الطائرة بعد صفها الأخير قبل عطلة نهاية الأسبوع، ووصلت إلى نيويورك في وقت متأخر من ليلة الجمعة. كان الثلج يتساقط، وتم

تأجيل كل الرحلات ساعات عدة، وتم إغلاق المطار مباشرة بعد هبوط طائرتها. شعرت بالامتنان لأنه لم يتم تحويل الطائرة إلى مكان آخر. وكان الناس خارج المطار يتسابقون للحصول على سيارات الأجرة. حجزت غرفة في الفندق الذي نزلت فيه قبلاً، في غرامرسي بارك. كانت الساعة قد تجاوزت منتصف الليل عندما وصلت أخيراً إلى هناك، وحجزوا لها غرفة صغيرة بشعة، لكن السعر كان مقبولاً بالنسبة إليها. ارتدت بسرعة ثوب نومها، من دون أن تزعج نفسها في إفراغ حقيبتها، ونظفت أسنانها، واستلقت على السرير، ونامت حتى ظهر اليوم التالي.

عندما استيقظت، كانت الشمس تسطع بقوة على الثلج الذي بلغ ارتفاعه قدمين واستمر في التساقط طوال الليل. بدت المدينة مثل بطاقة بريدية. والأولاد خارج نافذتها كانوا يلعبون على المزالج بمساعدة أمهاتهم، فيما لعب أولاد آخرون بكرات الثلج، واختبأوا وراء السيارات المطمورة بالثلج، والتي سيحتاج أصحابها إلى ساعات أو أيام لإزالة الثلج عنها. كانت جرافات الثلوج تحاول فتح الشوارع ورش الملح على الأرض. رأت فيكتوريا أنه يوم شتوي مثالي في نيويورك، وقد أحضرت معها لحسن الحظ جزمة خاصة بالثلج انتعلتها كل يوم تقريباً في نورث ويسترن، لذلك كانت مستعدة. وعند الساعة الواحدة، ذهبت سيراً على الأقدام إلى محطة القطار الذي كانت تستقله كل يوم إلى العمل عندما عاشت هناك. نزلت في الشارع 77 الشرقي، ومشت شرقاً في اتجاه النهر. أرادت رؤية المدرسة قبل أي شيء آخر.

إنها عبارة عن مبنى كبير وجميل مع مداخل عدة، يمكن أن يصلح لسفارة أو أن يكون منزلاً مهماً من نوع ما. أعيد ترميمه مؤخراً، وكان في وضع ممتاز. ثمة لوحة برونزية بسيطة فوق المدخل كتب عليها فقط *مدرسة ماديسون*. عرفت أنه يوجد أربعمئة تلميذ في الداخل. ثمة حديقة على السطح تؤمن مساحة مفتوحة خلال تناول الغداء وفي أثناء الاستراحات. وقاموا مؤخراً بتشييد نادٍ رياضي حديث الطراز لكل

النشاطات الرياضية في ما كان قبلاً مرأباً للسيارات في الجهة المقابلة من الشارع. قدمت المدرسة كل الفرص والاحتمالات الممكنة. وقفت صامدة وصامتة بعد ظهر ذلك اليوم المشمس، فيما قام حاجب بشق طريق عبر الثلج خارج المدرسة. ابتسمت له فيكتوريا فيما كانت واقفة وهي تنظر إلى المدرسة، وردّ لها الابتسامة. لم تتخيل يوماً أنها محظوظة بما فيه الكفاية لتعمل في مدينتها المفضلة. وفيما وقفت تنظر إلى المدرسة وهي ترتدي المعطف الأبيض السميك الذي أهدتها إياه أمها، شعرت وكأنها مثل رجل الثلج. لم يكن المعطف جميلاً وإنما باعثاً للدفء. كانت تشعر أنها مثل رجل ميشلين أو ولد بيلسبوري كلما ارتدته، لكنه يفيدها كثيراً، وهو أكثر معاطفها تدفئة بالنسبة إلى درجات الحرارة الجليدية في الجامعة. كانت تعتمر قبعة صوفية بيضاء أنزلتها حتى عينيها فيما برزت خصلة من شعرها الأشقر فوق حاجبها.

وقفت فيكتوريا لوقت طويل وهي تنظر إلى المدرسة، ثم استدارت، ومشت بعيداً، وعادت إلى محطة القطار للذهاب إلى وسط المدينة. أرادت شراء شيء لارتدائه يوم الاثنين، فلم تكن راضية عن الثياب التي أحضرتها معها، فقد كانت ضيقة جداً عليها. أرادت أن تبدو مثالية في أثناء المقابلة، وعرفت أنه من المستبعد أن يقبلوها وهي متخرجة حديثاً من الجامعة، إذ لا بد من وجود مرشحات أخريات، لكن علاماتها وتوصياتها جيدة، وهي تملك كل حماسة الشباب واندفاعه للبدء بوظيفتها التعليمية الأولى. لم تخبر عائلتها عن سفرها إلى نيويورك، لأن والدها لا يزال يريد منها أن تبحث عن شيء في مجال آخر، براتب أفضل وإمكانات أكبر للتقدم في المستقبل. حلمها بمهنة التعليم لم يتطابق قطّ مع معايير والديها التي يمكن أن تحسن صورتهما. *ابنتي معلمة*؛ هذه العبارة لا تعني شيئاً بالنسبة إليهما، لكن العمل في مدرسة ماديسون في نيويورك يعني كل شيء بالنسبة إلى فيكتوريا. كانت هذه المدرسة خيارها الأول عندما أرسلت الطلبات إلى أفضل المدارس الخاصة في نيويورك، وهي تلبي كل معايير

وظيفتها الحلم، مهما كان الراتب ضئيلاً. ستتدبر العيش بهذا المبلغ الضئيل إذا حصلت على الفرصة.

عادت فيكتوريا إلى محطة القطار مشياً، ونزلت في الشارع 59 الشرقي، وصعدت السلالم وصولاً إلى بلومينغدايل، وبدأت تبحث عن شيء تستطيع ارتداءه. الملابس التي أعجبتها لم تكن متوافرة غالباً على مقاسها. إنها ترتدي المقاس أربعة عشر في الوقت الحاضر، بالرغم من أن الثياب ضيقة قليلاً. فهي تصبح أحياناً أكثر بدانة – من دون قصد – خلال الشتاء، فتضطر حينها إلى ارتداء المقاس ستة عشر. إن الضغط الذي تشعر به نتيجة رغبتها في ارتداء ملابس ذات مقاس أقل، وإظهار جسمها في أثواب السباحة والشورتات، وعدم التمكن من إخفاء كل شيء تحت معطف يساعدها عادة على خفض وزنها خلال الصيف. تمنت لو أنها كانت أكثر التزاماً بالحمية في الأونة الأخيرة. لقد وعدت نفسها بخسارة الوزن قبل التخرج، وخصوصاً الآن إذا حصلت على هذه الوظيفة في نيويورك. فهي لا تريد أن تكون بدينة جداً حين تبدأ مهنتها التعليمية.

بعد الكثير من البحث المحبط، وبعض التجارب المزعجة فعلاً، عثرت على سروال رمادي وسترة كحلية طويلة ارتدتهما مع كنزة زرقاء شاحبة بلون عينيها. اشترت جزمة عالية الكعب أضافت مظهراً شاباً إلى طلتها. بدت رزينة ومحترمة، وإنما غير متكلفة كثيراً، وأنيقة كفاية لتبدو جدية بشأن الوظيفة. إنها الطلة التي افترضت أنها معتمدة من قبل المعلمات في تلك المدرسة، وكانت راضية عن الملابس. وعندما عادت في القطار وهي تحمل أكياس التسوق وتوجهت إلى الفندق، كانت الشوارع لا تزال ملبدة بجرافات الثلوج، والسيارات مدفونة تحت الثلج، وكومات الثلج المجروف في كل مكان. المدينة في حالة فوضى. لكن فيكتوريا كانت مسرورة جداً بمشترياتها. ستضع قرطيها اللؤلؤيين اللذين قدّمتهما لها أمها. والسترة الكحلية ذات القصة الرائعة تخفي العديد من العيوب. بدت الطلة شابة ومهنية ومصقولة.

صباح يوم المقابلة، استيقظت فيكتوريا وهي تشعر بانقباض في معدتها. غسلت شعرها وجففته، ثم ربطته في ضفيرة ناعمة زينتها بشريط من الساتان الأسود. ارتدت ملابسها بعناية، ثم ارتدت المعطف الضخم، وخرجت إلى شمس فبراير. لقد أصبح الطقس أكثر دفئاً، وبدأ الثلج يذوب ويتحول إلى سيول. عليها الانتباه كي لا تلطخ السيارات المارة ثيابها فيما هي تشق طريقها نحو محطة القطار. فكرت في أن تستقلّ سيارة أجرة، لكنها عرفت أن القطار أسرع. وصلت إلى المدرسة قبل عشر دقائق من موعدها في تمام التاسعة، فرأت مئات الشباب يدخلون المدرسة. كانوا يرتدون جميعاً سراويل جينز، وارتدت بعض الفتيات تنانير قصيرة بالرغم من الطقس البارد، وانتعلن جزمات عالية. كنّ يتحدثن ويضحكن وهنّ يحملن كتبهن، وكانت تسريحات شعرهن وألوانه غريبة. بدون مثل تلاميذ أي ثانوية أخرى، وليس مثل نخبة النخبة. والأستاذان اللذان وقفا أمام المدخل الرئيس كانا يرتديان ملابس مثل ملابس التلاميذ الذين ارتدوا سراويل جينز وسترات وانتعلوا أحذية رياضية أو جزمات. ثمة طابع عفوي جميل في المجموعة، ومتجانس أيضاً. كان المراقبان رجلاً وامرأة. المعلمة سرّحت شعرها الطويل في ضفيرة، فيما الأستاذ حليق الرأس. لاحظت فيكتوريا وجود وشم عصفور صغير على الجهة الخلفية لرأسه. كانا يتحدثان بحيوية وهما يلحقان بآخر التلاميذ إلى الداخل. دخلت فيكتوريا وراءهم، وهي ترتدي ثيابها الجديدة وتأمل أن تترك انطباعاً جيّداً. كان موعدها مع إريك والكر، مدير المدرسة، وذكروا أنهم يريدونها أن تقابل عميد التلاميذ أيضاً. أعطت موظفة الاستقبال اسمها، وانتظرت على كرسي في الردهة. بعد خمس دقائق، جاء رجل في منتصف العقد الرابع وألقى التحية عليها، وكان يرتدي سروال جينز وكنزة سوداء وسترة من التويد وينتعل جزمة. ابتسم لفيكتوريا ابتسامة ودودة ودعاها لدخول مكتبه، وأشار إلى كرسي من الجلد في الجهة الأخرى من مكتبه.

قال لها: "شكراً على قدومك من نورث ويسترن". فيما خلعت معطفها الضخم ليتمكن من رؤية سترتها الجديدة. أملت ألا يظن أنها متزمتة جداً بالنسبة إلى المدرسة التي تبين أنها عفوية أكثر بكثير مما توقعت. قال لها: "كنت أخشى ألا تتمكني من الوصول بسبب العاصفة الثلجية. بالمناسبة، فالتنين سعيد. أردنا إقامة حفلة راقصة يوم السبت، لكننا اضطررنا إلى إلغائها، إذ لن يتمكن الأولاد الآتون من الضواحي وكونيكتيكوت من الوصول. يأتي خُمس طلابنا تقريباً من مناطق بعيدة. اضطررنا إلى تأجيل الحفلة حتى نهاية الأسبوع المقبل". لاحظت فيكتوريا أنه وضع سيرتها الذاتية على مكتبه، وكان مستعداً تماماً للقاء. رأت أنه يحمل أيضاً نسخة عن علاماتها التي أرسلتها له. بحثت عنه في غوغل وعرفت أنه ذهب إلى جامعة يال، ويحمل شهادة ماجيستير ودكتوراه من هارفارد. إنه الدكتور والكر، بالرغم من أنه لم يستعمل اللقب في مراسلاته معها. سيرته الذاتية مؤثرة. وقد نشر كتابين حول التعليم الثانوي، بالإضافة إلى دليل للأهل والتلاميذ حول عملية التقدم إلى الجامعات. شعرت أنها تافهة أمامه، لكنه تصرف بود، وركّز كل انتباهه عليها.

قال: "إذاً، فيكتوريا"، وهو يتراجع إلى الخلف في كرسيه الجلدي القديم، وراء مكتب إنكليزي أنيق كان لوالده. الأشياء في مكتبه بدت باهظة الثمن وقديمة جداً. وكانت هناك مكتبات مليئة بالكتب. "ما الذي يجعلك تفكرين في أن تكوني معلمة؟ ولماذا هنا؟ لم لا تعودين إلى لوس أنجلوس حيث لا تضطرين إلى جرف الثلج للذهاب إلى المدرسة؟". ابتسم فيما كان يقول ذلك، وكذلك فعلت هي. استلطفته، وأرادت التأثير فيه، ولم تعرف كيفية فعل ذلك. كل ما أحضرته معها هو الحماسة والحقيقة.

"أحب الأولاد. لطالما أردت أن أصبح معلمة عندما كبرت. عرفت أن هذا هو الأنسب لي. لا أهتم بالأعمال، أو بالترقي في شركة، بالرغم من أن هذا هو ما يرغب فيه والداي ويحترمانه. أظن أنني إذا أحدثت فرقاً في حياة شخص شاب، فسيكون ذلك أفضل وأهم من أي شيء آخر أستطيع

فعله". لاحظت في عينيه أن هذا هو الجواب الصحيح، وفرحت. وكانت تعني ذلك فعلاً.

"حتى لو كان راتبك ضئيلاً، وجنيت مالاً أقل من كل الأشخاص الآخرين الذين تعرفينهم؟".

"نعم، حتى لو كان راتبي يدعو إلى الشفقة. لا أهتم. لا أحتاج إلى الكثير من المال". لم يسألها إن كان أهلها سيساعدونها فهذه ليست مشكلته.

قال بصراحة: "ستجنين مالاً أكثر إذا عملت في مدرسة حكومية". وعرفت أن هذا صحيح.

"لا أريد فعل ذلك. ولا أريد العودة إلى لوس أنجلوس. أردت العيش في نيويورك منذ أن كنت في الثانوية. كنت أودّ دخول الجامعة هنا لو تم قبولي في جامعة نيويورك أو بارنار. أعرف أن هذا ما يناسبني. ومانديسون كانت خياري الأول بين المدارس".

"لماذا؟ الأولاد الأغنياء لا يسهل تعليمهم أكثر من غيرهم. إنهم أولاد أذكياء، ويتعرضون للكثير من الأمور. مهما كانت علاماتهم جيدة فهم متمردون أيضاً، ولا يمكنك الضغط عليهم، ولدينا بعض التلاميذ الضعفاء كذلك. وهم يعرفون بسهولة عدم تمكّنك من مادتك، ويلومونك. إنهم أكثر ثقة وجرأة من الأولاد الذين يملكون مزايا أقل، وقد يكونون صعبي المراس بالنسبة إلى الأستاذ. وقد يكون الأهل متأففين هنا. إنهم متطلبون كثيراً، ويريدون أفضل ما نستطيع تقديمه لهم. ونحن ملتزمون تماماً بفعل ذلك. هل يزعجك أن تكوني أكبر بأربع أو خمس سنوات فقط من بعض تلاميذك؟ سيكون لدينا تلاميذ في الصف الثاني الثانوي والثالث، وقد نطلب منك تدريس اللغة الإنكليزية للصف الثاني الأول أيضاً. قد يكون عددهم قليلاً، خصوصاً في هذه المدرسة حيث بعض التلاميذ ناضجون بالنسبة إلى أعمارهم. يتعرض هؤلاء الأولاد للكثير من أسلوب العيش المتكلف مع كل ما ينطوي عليه ذلك. هل تظنين أنك مؤهلة لذلك؟". سألها ببراءة، وأومأت له فيكتوريا برأسها مع نظرة جدية في عينيها الزرقاوين الكبيرتين.

"أظن أنني مؤهلة دكتور والكر. أظن أنني أستطيع فعل ذلك. أنا واثقة من هذا، إذا أتيحت لي الفرصة".

"المعلمة التي ستحلين مكانها ستغيب فقط لمدة سنة. لا أستطيع أن أعدك بأي شيء بعد ذلك، مهما كان أداؤك جيداً هنا. إذاً، ليس هذا التزاماً طويل الأمد من قبلنا، وإنما هو فقط التزام لمدة سنة واحدة. بعد ذلك، علينا أن ننتظر لنرى ما سيحصل، وما إذا كان هناك شخص آخر سيغادر أو يأخذ إجازة. فإذا أردت التزاماً طويل الأمد، ربما يجدر بك البحث في مكان آخر". لا تستطيع أن تقول له إنه تم رفض كل خياراتها الأخرى.

قالت بصراحة: "سأكون شاكرة للتعليم لديكم لمدة سنة". لم تكن تعرف ذلك، ولكنهم تحققوا من سجلاتها مع وكالة عرض الأزياء وشركة المحاماة، وأعجبهم أداؤها في العمل، لناحية إمكانية الاعتماد عليها، ووعيها، ومهنيتها، وصراحتها. أنجزت أيضاً تدريباتها في تعليم التلاميذ، وكانت نتائجها ممتازة أيضاً. كل ما يحتاج إريك والكر إلى تقريره هو ما إذا كانت المعلمة المناسبة لمدرستهم. بدت فتاة ذكية ولطيفة. وتأثر بمدى رغبتها في الحصول على الوظيفة.

بعدما أمضى خمساً وأربعين دقيقة معها، حوّلها إريك والكر إلى مساعدته التي جالت معها في المدرسة. إنه مبنى رائع، فيه صفوف مرتبة، مليئة بالتلاميذ اليقظين الذين يستخدمون معدات جديدة وباهظة جداً. إنه جوٌ يدفع أي أستاذ إلى فعل أي شيء للتعليم هنا، وبدوا جميعاً أولاداً أذكياء ويقظين ومهتمين. ثم التقت عميد التلاميذ الذي أخبرها شيئاً عن الهيئة الطلابية، وعن الأوضاع التي قد تواجهها. إنهم مثل تلاميذ أي ثانوية في مكان آخر، لكنهم يملكون المزيد من المال والفرص، وفي بعض الحالات أوضاعاً عائلية معقدة جداً. إلا أن الحياة العائلية الصعبة ليست حكراً على الأغنياء جداً، ولا على الفقراء.

في نهاية المقابلة الثانية، شكروها على مجيئها، وأخبروها أنهم سيقابلون عدداً من المرشحين الآخرين، ثم سيبلغونها قرارهم. بعدما

شكرتهم أيضاً، وجدت فيكتوريا نفسها خارجاً في الشارع، وهي تنظر إلى المدرسة، وتتضرع كي تحصل على الوظيفة. لا تعرف أبداً إذا كانت ستحصل على الوظيفة، لكنهم كانوا لطفاء جداً معها بحيث تصعب معرفة ما إذا كانوا مهذبين جداً فقط أو متحمسين لها فعلاً. لا تعرف. توجهت غرباً نحو الجادة الخامسة، ثم مشت شمالاً مسافة خمسة مبانٍ، وصولاً إلى متحف المتروبوليتان، حيث شاهدت جناحاً جديداً للمعروضات المصرية، ثم تناولت الغداء في المقهى بمفردها، قبل أن تستقل سيارة أجرة للعودة إلى الفندق.

جلست على المقعد الخلفي مراقبة نيويورك والناس الذين كانوا يتحركون مثل النمل في الشوارع. كل ما تتمناه هو أن تصبح جزءاً من ذلك يوماً ما. توقعت سماع الرد من ماديسون خلال أسابيع قليلة. وأدركت أنها إن لم تحصل على الوظيفة، فستضطر إلى إجراء مقابلات مع مدارس أخرى في شيكاغو، وربما حتى في لوس أنجلوس، بالرغم من أن آخر ما تريده هو العودة إلى المنزل. لكن، إذا لم تتوصل إلى شيء، فلن يكون أمامها خيار آخر. خشيت فكرة العيش في لوس أنجلوس مجدداً. والأسوأ أنها خشيت فكرة العيش في المنزل ومواجهة كل المشاكل التي لطالما عرفتها هناك. فالعيش مع والديها مصدر كبير للتوتر.

وضبّت حقيبتها، واستقلت سيارة الأجرة إلى المطار. لا تزال لديها ساعة قبل موعد الرحلة، وكانت متوترة جداً بعد المقابلة، بحيث تساءلت إن كانت جيدة كفاية، وذهبت إلى أقرب مطعم، وطلبت تشيزبرغر والكثير من البوظة بالشوكولاته، والتهمت الاثنان معاً. شعرت بالغباء بعدما فعلت ذلك. لم تكن بحاجة إلى ذلك، ولا إلى البطاطا المقلية التي ترافقت مع الطبق. لكنها كانت جائعة ومتوترة، ومنحتها الوجبة التي تناولتها بعض الراحة من مخاوفها. ماذا لو لم تحصل على الوظيفة؟ قالت لنفسها إنها إن لم تحصل على الوظيفة، فستجد شيئاً آخر. لكن مدرسة ماديسون هي أكثر ما تريده،

إذا أعطوها الفرصة. عرفت أن الأمر مستبعد؛ لأنها متخرجة حديثاً من الجامعة.

عندما نادوا على رحلتها، نهضت عن الكرسي، وحملت حقيبتها، وتوجهت إلى البوابة. كل ما تستطيع فعله الآن هو الانتظار والعودة إلى نورث ويسترن. بعد أخذ كل الأمور بعين الاعتبار، لم يكن يوم الفالنتين يوماً سيئاً. وسيكون أفضل يوم على الإطلاق إذا حصلت في النهاية على الوظيفة. كانت لا تزال متوترة عندما صعدت إلى الطائرة. حتى إنّ تناول التشيزبرغر والبوظة بالشوكولاته لم يجديا نفعاً. وذكّرت نفسها فيما كانت تربط حزام الأمان أن عليها الانتباه مجدداً إلى حميتها الغذائية، والبدء بالركض. فالتخرج بعد ثلاثة أشهر فقط. لكن، عندما عُرض عليها كيس من المكسرات وآخر من البسكويت المملح، لم تستطع الرفض. تناولتهما وهي شاردة الذهن فيما فكّرت في مقابلتها، على أمل ألا تكون قد أخطأت بطريقة ما، وتمنت لو أنها تحصل على الوظيفة.

www.mlazna.com
^RAYAHEEN^

الفصل 7

اتصل إريك والكر، مدير مدرسة ماديسون، بفيكتوريا شخصياً في أول أسبوع من شهر مارس. قال إن الاختيار كان صعباً بينها وبين عدد من المعلمات الأخريات. لكن، يسرّه إخبارها أنها حصلت على الوظيفة، فتحمّست كثيراً. وقال إنهم سيرسلون لها العقد عبر البريد الإلكتروني.

ستكون أصغر معلمة في قسم اللغة الإنكليزية، وستعلّم أربعة صفوف. وطلب منها حضور اجتماع الأساتذة في الأول من سبتمبر، على أن تبدأ المدرسة في الأسبوع التالي. بعد ستة أشهر بالضبط، ستعلم في مدرسة ماديسون في نيويورك. بالكاد تستطيع تصديق ذلك. وبما أنها عجزت عن الاحتفاظ بالمعلومات لنفسها، فقد اتصلت بعائلتها في تلك الليلة.

قال والدها بنبرة غير موافقة: "كنت أخشى أن تفعلي شيئاً كهذا". بدا في الواقع خائب الأمل، كما لو أنه جرى اعتقالها بسبب خلعها ملابسها في السوبرماركت وتم وضعها في السجن. وكما لو أنه أراد القول *لماذا ذهبت وفعلت شيئاً غبياً كهذا؟* "لن تجني أبداً قرشاً واحداً من عملك معلمة في المدرسة، فيكتوريا. عليك الحصول على وظيفة حقيقية، في الإعلانات أو العلاقات العامة، أو شيء في مجال الاتصالات. هناك الكثير من الأمور التي يمكنك فعلها. يمكنك العمل في مكتب العلاقات العامة في أي شركة كبيرة. يمكنك العمل لدى ماكدونالدز وجني مال أكثر مما ستجنين من التعليم. إنها مضيعة كاملة للوقت. ولماذا نيويورك؟ لماذا ليس هنا؟". لم يسألها حتى عن اسم المدرسة، ولم يهنئها على حصولها على وظيفتها

الأولى في مدرسة من الدرجة الأولى، وذلك بعد منافسة قاسية. كل ما قاله هو إنها الوظيفة غير الصحيحة، وفي المدينة غير الصحيحة، وإنها ستبقى دوماً فقيرة. لكن التعليم مهنتها المختارة، والمدرسة إحدى أفضل المدارس الخاصة في البلاد.

قالت: "أنا آسفة بابا". كما لو أنها ارتكبت خطأ. "إنها فعلاً مدرسة رائعة".

"حقاً؟ وكم سيدفعون لك؟". سألها بفظاظة. لم تكن تريد أن تكذب عليه، ولذلك أخبرته الحقيقة. وعرفت أيضاً أنه سيصعب عليها العيش بهذا الراتب، لكنه يستحق التضحيات، ولا تنوي أخذ أي شيء منه. "هذا تعيس"، قال وهو يبدو مشمئزاً، وأعطى أمها الهاتف، فبدت قلقة ما إن أمسكت به.

سألتها أمها: "ماذا حصل لك عزيزتي؟".

"لا شيء. حصلت للتو على وظيفة رائعة؛ على وظيفة معلمة في مدرسة رائعة في نيويورك. يظن بابا أن الراتب ليس كافياً، هذا كل ما في الأمر. لكن، من الرائع أن يكونوا قد قبلوا بي أساساً".

"من المخزي فعلاً أنك ترغبين في أن تكوني معلمة"، قالت أمها، وهي تردد الكلام نفسه، وتوحي لفيكتوريا بأنها أخفقت، مثلما تفعل دوماً، وأنها خيبة أمل بالنسبة إليهما. إنهما يحذفان المتعة من كل شيء يخصّها، ولطالما فعلا ذلك، وهما يسخّفان أيّ إنجاز تحقّقه. "يمكنك جني مال أكثر بفعل شيء آخر".

"أظن أنني أحب الوظيفة فعلاً ماما. أحب المدرسة"، قالت وهي تبدو شابة ومتفائلة، وتحاول التشبث بالحماسة والفخر والكبرياء التي راودتها قبل أن تتصل بهما.

"أعتقد أن هذا جميل عزيزتي، لكن لا يمكنك البقاء معلمة إلى الأبد. في مرحلة ما، عليك العثور على وظيفة حقيقية". منذ متى لم يعد التعليم مهنة حقيقية؟ كل شيء يتمحور حول المال بالنسبة إليهما، وكم يجني الإنسان. قالت أمها: "حصلت أختك للتو على خمسين ألف دولار مقابل

تصوير يومين لحملة إعلانية وطنية". هذا أكثر مما ستجنيه فيكتوريا طوال سنة. وغرايسي تفعل ذلك لمجرد التسلية، ولتغذية رصيد الجامعة الذي فتحه لها والداها. بالنسبة إلى غرايسي، عرض الأزياء مثل لعبة تحصل فيها على الكثير من المال، وتمارسها فقط بين الحين والآخر. ستعمل فيكتوريا بكدّ للحصول على المال. الفارق في المال سبب لها صدمة. لكن، لا يخفى على أحد أن التعليم ليس بالمهنة التي تدر على من يمتهنها الكثير من المال. وكانت تعرف ذلك عندما اختارته مهنة لها. على كل حال، لا تملك الفرص لعرض الأزياء مثل غرايسي. ليس هذا خياراً بالنسبة إليها. التعليم رسالتها، وليس فقط عملها، وهي تأمل أن تبرع فيه. سألتها أمها: "أين ستعيشين؟". وبدت قلقة بشأن ذلك أيضاً. "هل يمكنك استئجار شقة براتبك؟ فتكاليف المعيشة في نيويورك باهظة".

"سأعثر على مكان مع فتيات أخريات. سأذهب إلى هناك في شهر أغسطس، وأستقر قبل أن أبدأ العمل".

"متى ستأتين إلى المنزل؟".

"مباشرة بعد التخرج. أريد تمضية هذا الصيف معكم". لم تكن تنوي الحصول على وظيفة صيفية هذه السنة، بل كانت تريد القيام ببعض الرحلات القصيرة مع غرايسي، وتمضية الوقت معهم قبل أن تنتقل رسمياً إلى نيويورك. قد لا تعيش أبداً في لوس أنجلوس مجدداً، أو تمضي الكثير من الوقت معهم، بالرغم من أنها ستكون في إجازات خلال الصيف إذا استمرت بمهنة التعليم. لكنها قد تضطر إلى العمل في وظائف صيفية للحصول على مدخول إضافي. سيكون هذا آخر صيف لها في المنزل ومن دون عمل، ووافق والداها على ذلك.

لم تعد فيكتوريا إلى المنزل خلال إجازة الربيع، بل استلمت وظيفة في خدمة الطاولات في مطعم مقابل الجامعة، لجني بعض المال وادخاره. فهي ستحتاج إلى كل قرش ممكن في نيويورك. لكن الوجبات التي قدموها لها مجاناً أبعدتها عن الحمية الغذائية مجدداً. فقد عاشت على رغيف اللحم

والبطاطا المهروسة مع الصلصة، وميرينغ الليمون وفطيرة التفاح طوال أسبوعين كاملين. تصعب مقاومة ذلك، ولا سيما فطائر التوت عند الفطور عند الساعة السادسة صباحاً حين تبدأ العمل. بدأ حلمها بخسارة الوزن قبل التخرج يخبو سريعاً. ومن المزعج العيش دوماً على حمية غذائية، وممارسة برنامج رياضي جديد، وتمضية الحياة على آلة المشي للتكفير عن الذنوب.

بعدما أهلكت نفسها في النادي الرياضي طوال شهر أبريل، وراقبت كل ما تأكله، خسرت أخيراً عشرة باوندات. كانت فخورة بنفسها. وذهبت لاستئجار ثوب التخرج في الأول من شهر مايو. كان هناك صف طويل من الأشخاص المنتظرين، وعندما جاء دورها أخيراً، نظر إليها الرجل المسؤول لتخمين مقاسها الصحيح.

"أنت فتاة بدينة، أليس كذلك؟". قال مع ابتسامة عريضة، وتوجب عليها كبح دموعها. لم تجبه، ولم تعلّق عندما أعطاها مقاساً كبيراً جداً لا تحتاج إليه. إلا أنها طويلة كفاية لارتدائه، ولذلك لم تتذمر. إنه كبير جداً عليها. وكانت تنوي ارتداء تنورة حمراء قصيرة وقميص أبيض تحت ثوب التخرج، وانتعال صندل عالي الكعب. التنورة قصيرة، لكن لن يراها أحد قبل أن تخلع ثوب التخرج. أحبت اللون، وبدت ساقاها رائعتين.

وضبّبت كل أغراضها، وأرسلتها إلى المنزل قبل يومين من التخرج، في اليوم الذي سبق وصول والديها. ستأتي غرايسي معهما طبعاً. وبدت جميلة أكثر من أي وقت مضى عندما رأتها فيكتوريا، وهي ترتدي قميصاً قطنياً أبيض وشورتاً قصيراً. أصبحت الآن في الخامسة عشرة من عمرها، وبالرغم من بنيتها الصغيرة إلاّ أنها بدت وكأنها في الثامنة عشرة. لا يزال في وسعها تصوير إعلانات لملابس الأطفال، وهي تفعل ذلك غالباً. شعرت فيكتوريا أنها مثل الفيل وهي تقف قربها وقرب أمها، لكنها أحبت غرايسي على كل حال. كادت الأختان تخنقان بعضهما عندما تعانقتا بعدما ذهبوا لرؤيتها في غرفة نومها.

اصطحبوا فيكتوريا لتناول العشاء في مطعم جميل جداً تلك الليلة، حيث تناول العديد من الخريجين الآخرين العشاء أيضاً. طلبت فيكتوريا من والدها أن يسمح لها بدعوة عدد من أصدقائها، لكن والدها قال إنهم يفضلون تناول العشاء معها بمفردها. وقال الشيء نفسه في الغداء الاحتفالي في اليوم التالي. قال إنهم يريدون فيكتوريا لهم فقط، لكنه كان في الواقع يقول، مثلما يفعل دوماً، إنه غير مهتم بالتعرف إلى أصدقائها. ليس هذا جديداً على فيكتوريا. لكنها مسرورة بالتواجد معهم على كل حال. وكانت غرايسي تعانقها على الدوام. فالأختان لا تفترقان أبداً حين تكونان مع بعضهما. وبدأت غرايسي تفكر في الجامعة أيضاً. أرادت الذهاب إلى جامعة جنوب كاليفورنيا. وفرح والداها بذلك لأن الجامعة قريبة من المنزل. قال والدها إنها فتاة كاليفورنية جنوبية حقيقية، ممّا جعل فيكتوريا تبدو مثل الخائنة بسبب ذهابها إلى جامعة في الغرب الأوسط، بدلاً من تهنئتها على حسها بالمغامرة والذهاب إلى جامعة صعبة.

كان احتفال التخرج في كلية وينبرغ للفنون والعلوم في نورث ويسترن في اليوم التالي مليئاً بالبهرجة والعاطفة. بكت كريستين عندما بدأ حفل التخرج، وبدا جيم فخوراً على نحو غير اعتيادي، وكانت عيناه دامعتين عندما مشت ابنته قربه وهي ترتدي ثوب التخرج، والتقطت لها غرايسي صورة فيما كانت تبتسم، وتحاول أن تبدو رزينة في الوقت نفسه.

في ذلك اليوم حصل أكثر من ألف طالب على شهاداتهم من وينبرغ، حسب الترتيب الأبجدي. صافحت فيكتوريا العميد الذي سلمها الشهادة. وصرخت بصوت عالٍ مثل كل الخريجين الآخرين بعد ساعتين، عندما رموا قبعاتهم في الهواء وعانقوا بعضهم. لقد كانت وحيدة في معظم الأوقات في نورث ويسترن، لكنها تعرفت إلى بعض الأصدقاء، وتبادلوا عناوين البريد الإلكتروني وأرقام الهواتف الخلوية، ووعدوا بعضهم بالبقاء على اتصال، حتى لو بدا ذلك مستبعداً. فجأة، أصبحوا خارجاً في العالم، كمتخرجين مستعدين لأخذ أماكنهم في المهن التي اختاروها.

تناولت فيكتوريا العشاء مع عائلتها مجدداً تلك الليلة في مقهى جيلي، وبدا العشاء احتفالاً حقيقياً، فيما فعل خريجون آخرون الشيء نفسه على طاولات مجاورة. في صباح اليوم التالي، سافرت هي وعائلتها إلى لوس أنجلوس. أمضت فيكتوريا الليلة في فندق أورينغتون معهم، وتشاركت الغرفة مع غرايسي، إذ توجب عليها التخلي عن غرفة نومها في الجامعة بعد التخرج. تحدثت الفتاتان حتى وقت متأخر من الليل، إلى أن نامتا قرب بعضهما. إنهما متشوقتان إلى تمضية الأشهر الثلاثة المقبلة مع بعضهما. لم تخبر فيكتوريا أحداً بأنها تنوي تمضية فصل الصيف وهي تتبع حمية غذائية صارمة لكي تبدو في أفضل حلة عندما تبدأ التعليم في ماديسون في شهر سبتمبر. علّق والدها عندما خلعت ثوب التخرج لتعيده بعد انتهاء الحفل، بأنها تبدو أضخم من أي وقت مضى. وكالعادة، قال ذلك مع ابتسامة عريضة. ثم مدحها على ساقيها الطويلتين مثلما يفعل دوماً، لكن التعليق الأول كان تأثيره أقوى بكثير من التعليق الثاني. فهي لا تسمع أبداً الإطراء عندما يأتي بعد إهانة.

جلست بين والدها وغرايسي في رحلة العودة إلى المنزل، وجلست أمها في الجانب المقابل وهي تقرأ مجلة. أرادت الفتاتان الجلوس بالقرب من بعضهما. إنهما لا تبدوان أختين. فمع تقدمها في العمر، أصبحت غرايسي صورة عن أمها أكثر فأكثر. أما فيكتوريا فلم تكن صورة عن أحد في أي عمر.

انحنى والدها للتحدث إليها مباشرة بعد إقلاع الطائرة. كانت هي وغرايسي تتحدثان بهدوء، وتفكران في مشاهدة فيلم سينمائي.

قال بنبرة تآمرية: "أتعرفين؟ لديك الوقت للبحث عن وظيفة محترمة عندما تعودين إلى لوس أنجلوس. يمكنك الاتصال بالمدرسة في نيويورك والقول إنك بدلت رأيك. فكري في الأمر".

أصرّت فيكتوريا: "أحب الوظيفة في نيويورك، بابا. إنها مدرسة رائعة، وإذا انسحبت الآن فهذا سيسيء إلى اسمي إلى الأبد في المجتمع التعليمي. وأنا أريد هذه الوظيفة".

قال وهو ينظر إليها نظرة احتقار: "أنتِ لا تريدين أن تكوني فقيرة لبقية حياتك، أليس كذلك؟ لا يمكنك أن تكوني معلمة، وأنا لن أعيلك إلى الأبد".

"لا أتوقع منك فعل ذلك، حتى الآن، بابا. ثمة أشخاص يعيشون من رواتب الأساتذة. وأستطيع أنا فعل الشيء نفسه".

"لماذا يجدر بك فعل ذلك؟ أستطيع تدبير بعض المواعيد لك في الأسبوع المقبل". إنه يحقّر كل إنجازها في الحصول على الوظيفة في نيويورك. بالنسبة إليه، هذه ليست وظيفة. وهو لا يزال يلحّ عليها للحصول على وظيفة حقيقية لجني الكثير من المال.

قالت بتهذيب: "شكراً على العرض، لكنني أريد الالتزام بما حصلت عليه لغاية الآن. يمكنني التفكير في الأمر لاحقاً إذا لم أستطع العيش براتبي. لكنني أستطيع دوماً العمل في مهنة صيفية وادخار المال".

"هذا مقرف. قد يبدو لك الأمر ملائماً في الثانية والعشرين، لكن ثقي بي، لن يكون الأمر ملائماً حين تصبحين في الثلاثين أو الأربعين. يمكنك إجراء مقابلة في وكالة الإعلانات إذا أردت".

قالت بصرامة: "لا أريد العمل في الإعلانات. أريد أن أكون معلمة". إنها المرة الألف التي تعيد فيها هذا الأمر على مسمعه. هزّ كتفه وبدا منزعجاً، وبعد ذلك وضعت هي وغرايسي سماعات الأذنين وشاهدتا الفيلم. ارتاحت لعدم التحدث إليه بعد ذلك. يهتم والداها بشيئين يتعلقان بها فقط، وزنها ومقدار المال الذي ستجنيه من وظيفتها. والموضوع الثالث الذي يتطرقان إليه بين الحين والآخر هو غياب حياتها العاطفية، وهذا برأيهما نتيجة الموضوع الأول، أي وزنها وحجمها. كلما يتم التطرق إلى الموضوع، يقول والدها إنها إن خسرت بعض الوزن، فستعثر على صديق. عرفت أن هذا ليس صحيحاً بالضرورة، لأن الكثير من الفتيات يملكن أجساماً مثالية، وهنّ بنصف حجمها، لكنهن لا يعثرن على صديق.

وثمة فتيات أخريات يعانين من الوزن الزائد، وهن متزوجات أو مخطوبات أو يملكن أصدقاء. تعرف أن الحب لا يرتبط بالوزن مباشرة، وإنما هناك الكثير من العوامل الأخرى. في الحقيقة، إن افتقادها إلى الثقة بالنفس وانتقادهما الدائم لها لم يساعداها على حل المشكلة. لم يفخرا بها قطّ أو يرضيا عما تفعله. فبالرغم من أنهما قالا إنهما فخوران بها عندما تخرجت من نورث ويسترن، إلاّ أنهما تمنيا لو أنها تخرجت من جامعة لوس أنجلوس أو جامعة كاليفورنيا الجنوبية، وعثرت على وظيفة مختلفة عن تلك التي وجدتها في نيويورك، ويستحسن أن تكون وظيفة في لوس أنجلوس، في مجال عمل مختلف. مهما فعلت لا يكون ذلك كافياً أو صحيحاً بالنسبة إليهما. ويبدو أنهما لا يدركان أبداً أن انتقادهما الدائم لها يؤلمها، أو أن هذا هو السبب الذي دفعها إلى عدم العيش مجدداً في لوس أنجلوس. فقد أرادت وضع ولاية كاملة بينها وبينهما. فبهذه الطريقة، ستضطر إلى رؤيتهما فقط في مناسبتي الشكر والميلاد، وقد لا تذهب إلى المنزل في هاتين المناسبتين أيضاً في أحد الأيام. لكن، في الوقت الحاضر، تريد أن تكون مع غرايسي. لا تعرف فيكتوريا إذا كانت ستعود إلى المنزل عندما تغادر غرايسي المنزل، أو بأي تواتر ستفعل ذلك. لقد نجحا في إبعادها، وهما لا يعرفان ذلك حتى الآن.

صعدت وغرايسي إلى المقعد الخلفي للسيارة في طريق العودة إلى المنزل من المطار. كان والداها يتحدثان في المقعدين الأماميين عما سيفعلانه عند العشاء. عرض جيم شواء بعض شرائح اللحم في الفناء الخلفي للمنزل، واستدار نحو المقعد الخلفي وغمز ابنته الكبرى قائلاً: "لا حاجة إلى أن أسألك، فأنا أعرف أنك جائعة. ماذا عنك غرايسي، ما رأيك في تناول شرائح اللحم عند العشاء؟". حدقت فيكتوريا إلى خارج النافذة، وبدت وكأنها قد تعرضت للتو للكمة في المعدة. هذه هي السمعة التي تملكها هنا، والصورة التي يملكها الجميع عنها؛ صورة الفتاة الجائعة على الدوام.

قالت غرايسي بغموض: "لا بأس في شرائح اللحم بابا. يمكننا طلب الطعام الصيني إذا كنت غير متحمس للشواء، أو نستطيع أنا وفيكتوريا تناول العشاء في الخارج إذا كنت أنت وماما متعبين". كانتا تفضلان ذلك، لكنهما لا تريدان إهانة والديهما. وأصرّ جيم على أنه يسعد بالشواء، طالما أنه لن يكون هو وفيكتوريا الشخصين الوحيدين اللذين سيأكلان. إنها الضربة الثانية التي تتلقاها خلال خمس دقائق. سيكون صيفاً طويلاً إذا بدأ على هذا النحو. إنه تذكير لها بأن شيئاً لم يتغير. أربع سنوات في الجامعة، وشهادة، ولا يزالان يعاملانها مثل الفتاة النهمة العاجزة عن السيطرة على نفسها.

جلسوا في الفناء الخلفي للمنزل تلك الليلة وتناولوا العشاء. قررت كريستين الامتناع عن تناول اللحم المشوي والاكتفاء بالسلطة قائلة إنها أكلت كثيراً على متن الطائرة. وتناولت غرايسي وفيكتوريا شرائح اللحم التي حضرها والدهما. تناولت غرايسي البطاطا المشوية أيضاً، لكن فيكتوريا لم تفعل مثلها، بل اكتفت بوضع السلطة فقط في طبقها إلى جانب اللحم المشوي.

قال والدها: "هل أنت مريضة؟ لم أرك قطّ ترفضين البطاطا؟".

قالت فيكتوريا بهدوء: "أنا بخير بابا". لم تحب التعليق، إذ كانت قد قررت البدء بحميتها الغذائية الجديدة لحظة وصولها إلى المنزل. التزمت بها، بالرغم من أنهم قدموا لها الآيس كريم في نهاية الوجبة، وكانوا سيعلقون على ذلك أيضاً لو قالت نعم.

بعد العشاء، جلست الفتاتان في غرفة غرايسي وهما تستمعان إلى الموسيقى. وبالرغم من أن ذوق غرايسي أكثر شباباً وغرابة، إلاّ أنّ هناك الكثير من الأمور المشتركة بين الفتاتين. وفرحت فيكتوريا لوجودها في المنزل معها.

أمضتا الكثير من الوقت مع بعضهما في ذلك الصيف، بعد انتهاء غرايسي من المدرسة؛ بعد أسابيع قليلة من تخرج فيكتوريا. ذهبت العائلة إلى سانتا باربارة لتمضية عطلة نهاية أسبوع طويلة في يوم الذكرى. ولدى

عودتهم، اصطحبت فيكتوريا غرايسي إلى كل مكان. أصبحت سائقتها وصديقتها الرسمية، ولم تنفصل الفتاتان عن بعضهما طوال شهرين. رأت فيكتوريا بعض صديقاتها القديمات من أيام المدرسة اللواتي عدن إلى لوس أنجلوس بعد التخرج، أو بقين للدراسة في الجامعة هنا. لم يكن لديها الكثير من الأصدقاء المقربين، لكنّ رؤية وجوه مألوفة أمر جميل، خصوصاً قبل أن تذهب بعيداً. ستذهب اثنتان من صديقاتها للتخصص بعد الجامعة، وفكرت في أنها قد ترغب في فعل ذلك أيضاً في يوم من الأيام، وإنما في جامعة نيويورك أو كولومبيا. رأت عدداً من الشبان الذين كانت تعرفهم في المدرسة، والذين لم ينتبهوا إليها قطّ. طلب منها أحدهم الخروج معه لتناول العشاء وحضور فيلم سينما، لكنهما لم يملكا الكثير ليقولاه لبعضهما. فقد كان يعمل في العقارات ومهووساً بالمال. لم يتأثر باختيارها مهنة التعليم أيضاً. الشخص الوحيد الذي بدا معجباً باختيارها هو أختها الصغرى التي رأت أنها مهنة نبيلة. وكل الأشخاص الآخرين رأوا أنها حمقاء، وذكروها بأنها ستبقى فقيرة إلى الأبد.

بالنسبة إلى فيكتوريا، كان التواجد في المنزل خلال فصل الصيف فرصة لتخزين الذكريات التي ستحفظها إلى الأبد. تشاركت هي وغرايسي الأحلام والمخاوف والآمال، وآراءهما الشخصية بشأن والديهما. رأت غرايسي أنهما يدللانها كثيراً، وقالت إنها تكره طريقة معاملتهما لها. أما فيكتوريا فكانت تتحسّر على نفسها لأنهما لم يفعلا ذلك معها. تجربتاهما في العائلة نفسها مختلفتان تماماً. يصعب التصديق أنهما تملكان الوالدين نفسيهما. وبالرغم من أن غرايسي هي الشخص المسؤول عن جعل فيكتوريا غير مرئية بالنسبة إليهما، إلاّ أن فيكتوريا لم تغضب منها قطّ، وأحبّت غرايسي لكونها الفتاة الصغيرة؛ الطفلة التي جاءت إليها كهبة من السماء عندما كانت في السابعة من عمرها.

بالنسبة إلى غرايسي، كان الصيف الذي تشاركتاه بعد تخرج فيكتوريا آخر فرصة للتعلق بأختها الكبرى. تناولتا الفطور معاً كل صباح، وضحكتا

www.mlazna.com-RAYAHEEN

كثيراً. اصطحبت فيكتوريا غرايسي وأصدقاءها إلى نادي السباحة، ولعبت كرة المضرب معهم، وتفوقوا عليها في كل مرة، لأنهم يتحركون بسرعة أكبر منها. كما ساعدت غرايسي على شراء بعض الملابس الجديدة للمدرسة، وقررتا معاً ما هو ملائم وما هو غير ملائم. طالعتا معاً مجلات الموضة، وعلقتا على الموديلات الجديدة. ذهبتا إلى ماليبو وشواطئ أخرى، واستلقتا أحياناً في الفناء الخلفي من دون التفوه بأي كلمة وهما تشعران بالسعادة لمجرد معرفتهما أنهما قريبتان من بعضهما، وأحبتا كل دقيقة من ذلك.

كان صيفاً سهلاً بالنسبة إلى كريستين لأن فيكتوريا فعلت كل شيء لغرايسي، مما منحها الكثير من الحريّة لتفعل ما تريده؛ أي عدم التواجد مع ابنتيها، ولعب البريدج مع صديقاتها، علماً أن هذه هي هوايتها المفضلة. وبالرغم من احتجاجات فيكتوريا، فقد حدد لها والدها عدة مواعيد مقابلات للعثور على وظيفة *أفضل* من تلك التي تنتظرها في نيويورك. شكرته فيكتوريا، وألغت سراً كل المواعيد. إذ لم تكن تريد تبديد وقت أحد، ولا وقتها. غضب والدها من ذلك، وأخبرها مجدداً أنها تتخذ كل القرارات غير الصحيحة بشأن مستقبلها، وأنها لن تحقق أبداً أي شيء من التعليم. اعتادت على سماع أشياء كهذه منه، ولذلك لم تتأثر. إنها الابنة التي لم يفخرا بها قطّ، وتجاهلاها أو سخرا منها على الدوام.

اعترفت لغرايسي في أحد أيام ذلك الصيف أنها إن جنت المال، فهي تحب أن تجري عملية لأنفها، وستفعل ذلك ربما في يوم ما. وقالت إنها تحب أنف غرايسي، وتريد واحداً مثله، فهو أنف ظريف. تأثرت غرايسي حين قالت فيكتوريا ذلك، وأخبرتها أنها جميلة على كل حال، حتى مع أنفها الحالي، وأنها لا تحتاج إلى أنف جديد. رأت غرايسي أنها مثالية مثلما هي. إنه حب غير مشروط تتبادلانه طوال حياتهما، وتعتمد عليه فيكتوريا، وكذلك غرايسي. لطالما كان حب والديهما مشروطاً، ومرتبطاً بمظهرهما أو بما إذا كانت إنجازاتهما مطابقة لمعاييرهما. حصدت غرايسي المديح

طوال حياتها لأنها بمثابة قطعة من الحليّ تجمّلهما. وبما أن فيكتوريا مختلفة ولا تتطابق معهما، فقد أصيبت بحرمان عاطفي منهما، ولكن ليس من غرايسي التي لطالما أغدقت عليها الحب وأحبتها بشتى الطرائق. وبالمقابل عشقتها فيكتوريا، وأرادت حمايتها، ولم تشأ قولبتها مثلما يفعل والداها. تمنت لو أنها تستطيع اصطحاب غرايسي معها. وخشيت كلتاهما اليوم الذي ستغادر فيه فيكتوريا إلى نيويورك.

ساعدت غرايسي فيكتوريا على اختيار بعض الملابس الجديدة التي تجعلها تبدو ملائمة أمام تلاميذها حين تعلم في الثانوية. التزمت بحميتها الغذائية هذه المرة، واستطاعت ارتداء المقاس 12 بحلول بداية أغسطس. خسرت باوندات عدة في ذلك الصيف، بالرغم من أن والدها كان يسألها بانتظام إن كانت تريد خسارة بعض الوزن قبل أن تغادر إلى نيويورك. لم يلاحظ باونداً واحداً من الباوندات التي خسرتها؛ وكذلك الأمر بالنسبة إلى أمها التي كانت متوترة دوماً من مقاس ابنتها، أياً كان. اللصيقة التي وضعوها لها عندما كانت صغيرة علقت بها إلى الأبد، مثل الوشم. إنها *فتاة سمينة*، وهذه هي طريقتهما في تسمية الفتاة البدينة. عرفت أنه حتى إن بلغ وزنها مئة باوند واختفت، فسيعتبرانها دوماً *فتاة سمينة*. إنهما مرآة إخفاقاتها وسلبياتها، وليسا أبداً مرآة انتصاراتها. الانتصارات الوحيدة التي رأياها هي انتصارات غرايسي. هكذا هما.

ذهبت العائلة إلى تاهو لتمضية أسبوع قبل أن تغادر فيكتوريا. أمضوا وقتاً جيداً. وكان المنزل الذي استأجره والدها جميلاً. وتزلجت الفتاتان على الماء في البحيرة، فيما تولى والدهما قيادة المركب. قالت غرايسي إن أفضل شيء في اختيارها مهنة التعليم هو تمكنهما من تمضية العطلات الصيفيّة مع بعضهما، ووعدتها فيكتوريا بدعوتها لزيارتها في نيويورك. وقالت لها إنها تستطيع زيارة المدرسة حيث تعلم، وربما تشارك في أحد صفوفها إذا سمحوا لها بذلك. وأملت أن يسمحوا لها.

أخيراً، حان اليوم الذي ستغادر فيه فيكتوريا. إنه يوم خشيته هي وغرايسي، بسبب الوداع الذي لا تريدانه. كانتا صامتتين على نحو غريب في الطريق إلى المطار. فقد بقيتا مستيقظتين طوال الليل الفائت، واستلقتا على سرير واحد لتتمكنا من الكلام. أخبرت فيكتوريا غرايسي أنها تستطيع الانتقال إلى غرفتها، لأنها تحبها أكثر، لكن غرايسي لم تشأ أخذ غرفتها. إذ كانت تريد ترك مكان لها في المنزل. وقفتا متعانقتين لوقت طويل في المطار، فيما الدموع تنهمر على وجنتيهما. وبالرغم من طمأنتهما بعضهما مراراً خلال الصيف، إلاّ أنهما عرفتا أن الأمور لن تكون هي نفسها مجدداً. إذ ستنتقل فيكتوريا إلى حياة ناضجة في مدينة أخرى، وأجمعتا على أن هذا أفضل لها. الشيء الوحيد الذي كانتا أكيدتين من عدم تغييره أبداً هو حبهما لبعضهما. سيكون كل شيء آخر مختلفاً منذ الآن فصاعداً. لا بد من ذلك. فمنذ اللحظة التي ستضع فيها فيكتوريا قدميها على متن الطائرة، ستصبح فتاة ناضجة. وعندما تعود إلى المنزل، فسيكون ذلك بهدف الزيارة فقط. لم يبقَ أي شيء لها هنا باستثناء الذكريات المؤلمة وأختها غرايسي. فلقد تخلى عنها والداها عاطفياً يوم ولدت، عندما لم يكن مظهرها مثلما توقعا، وعندما لم تشبههما. كان الأمر غير مقبول بالنسبة إليهما، مثل جريمة لن يسامحاها عليها أبداً، ولم يحاولا حتى فعل ذلك. لقد سخرا منها بدلاً من ذلك، وقللا من شأنها. ولطالما جعلاها تشعر بأنها غير مرغوبة، وبأنها ليست فعلاً من مستواهما.

قالت أمها: "اعتني بنفسك يا عزيزتي، وأخبرينا عن أحوالك". وعانقتها ببرودة، مثلما تفعل دوماً، كما لو أن فيكتوريا بدينة جداً لتلف ذراعيها حولها، أو كما لو أن مقاسها معدٍ ربما. هناك القليل جداً من كريستين في الداخل لتعطيه لأي شخص آخر، باستثناء جيم. لقد أعطته كل ما لديها، ولطالما قصرت في حق ابنتيها، حتى غرايسي. وكانت سعيدة جداً بترك فيكتوريا تهتم بها عوضاً عنها.

قال والدها وهو يعانقها: "سأعثر لك على وظيفة حين تتوقفين عن التعليم. لن يستغرق الأمر وقتاً طويلاً. ستتعبين من التضور جوعاً". وبالرغم من الكلمات التي تفوّه بها، وضع شيكاً في يدها، بقيمة ألف دولار. إنها هدية نفيسة، وفرحت بالحصول عليها. إذ سيساعدها هذا المبلغ على دفع الإيجار أو على دفع جزء من التأمين الذي ستضعه للحصول على شقة.

تعانقت وغرايسي للمرة الأخيرة، ثم استدارت بعيداً عنهم، وتوجهت نحو أمن المطار. وعندما استدارت للتلويح لهم، كانت تبكي وغرايسي كذلك، فيما وضع والدها ذراعه حول كتفي أمها. كانت غرايسي تقف وحدها، والنظرة التي تبادلتها الفتاتان من بعيد قالت كل شيء. عرفت فيكتوريا أنهما ستبقيان حليفتين إلى الأبد. لمست قلبها ونفخت قبلة إلى غرايسي، ثم ذهبت إلى حياة جديدة. عرفت أن حياتها في لوس أنجلوس باتت ماضيها الآن.

الفصل 8

بعد وصولها إلى نيويورك، احتاجت فيكتوريا إلى أسبوعين للعثور على شقة. وفي نهاية الأسبوع الأول، بدأت تشعر بالذعر. إذ لم تكن تستطيع البقاء في الفندق إلى الأبد، بالرغم من أن شيك والدها قد ساعدها. فقد ادخرت المال من عملها في الصيف الماضي، ومن الوظيفة التي حظيت بها خلال إجازة الربيع، وستضطر إلى العيش حسب راتبها. اتصلت بالمدرسة لمعرفة ما إن كانت إحدى المعلمات تبحث عن رفيقة لها في الغرفة، لكنهم أخبروها أنه لا يوجد أحد. واتصلت بوكالة عرض الأزياء حيث عملت، وأخبرها أحد وكلاء الحجز أن لديه صديقة تبحث عن شريكة لها في الغرفة، ولحسن الحظ كان ذلك في الشارع 80 الشرقي، أي بالقرب من المدرسة التي ستعمل فيها. أعطاها رقم صديقته، فاتصلت بها على الفور. هناك ثلاثة أشخاص يعيشون أصلاً في الشقة، ويبحثون عن شخص رابع. أخبروها أن الغرفة المتوافرة صغيرة الحجم، وأن اثنين من المستأجرين رجلان فيما الثالثة امرأة، وكانت الكلفة ضمن ميزانيتها. حجزت موعداً للذهاب إلى الشقة في ذلك المساء بعد عودتهم من العمل. لحسن الحظ، كان المنزل على مسافة ستة مبانٍ من المدرسة حيث ستعلّم. لكنها لا تريد الإفراط بالتفاؤل قبل أن ترى الغرفة. بدا الأمر جيداً جداً بحيث لم تتمكن من تصديقه.

عندما وصلت إلى هناك، بدا المبنى قديماً من أيام ما قبل الحرب، ولا يزال في حالة جيدة، بالرغم من أنه كان أفضل حالاً حتماً في الأيام الغابرة. إنه في الشارع 82 الشرقي، قرب النهر. كان الباب الأمامي مقفلاً،

فضغطت على زرّ الجرس، ثم استقلّت المصعد إلى الأعلى. كان الممشى مظلماً وإنما نظيفاً، وأدخلتها امرأة شابة إلى الشقة. كانت ترتدي ملابس رياضية، وقالت إنها ذاهبة إلى النادي الرياضي. كانت تملك جسماً رشيقاً، وبدت في الثلاثين من عمرها تقريباً. قالت إن اسمها باني، وهو الاسم الذي تفضل أن تستعمله لأنها تكره اسمها الحقيقي، وهي تعمل في معرض فني في وسط المدينة. جاء الرجلان لإلقاء التحية عليها أيضاً. ذهب بيل إلى الجامعة مع باني في تولاين، وهو محلل في وول ستريت. قال إنه عقد خطوبته مؤخراً، وسيترك هذا المنزل في السنة المقبلة. وقال إنه يقيم عادة في شقة صديقته، خصوصاً في عطلات نهاية الأسبوع. أما الرجل الآخر، هارلان، فقد تخرّج من المدرسة حديثاً، ويعمل في معهد الأزياء في متحف المتروبوليتان. بدوا جديين جميعاً، وكانوا لطفاء ودمثين، وأخبرتهم أنها ستعلم في مدرسة ماديسون. عرض بيل على فيكتوريا كأساً من الشراب، وبعد دقائق قليلة غادرت باني إلى النادي الرياضي. كان جسمها مذهلاً، وبدا الرجلان وسيمين أيضاً. يملك هارلان إحساساً رائعاً بالدعابة مع لكنة جنوبية ذكرتها بالشاب بو، الذي لم تره مجدداً قطّ بعد علاقتهما الفاشلة. ولد هارلان في الميسيسيبي. أخبرتهما أنها آتية من لوس أنجلوس، وأنها تتوق إلى العثور على مكان لتعيش فيه قبل أن تبدأ العمل في الأسبوع المقبل.

كانت الشقة كبيرة ومشمسة، مع غرفة جلوس مزدوجة، ومكتب صغير، وغرفة طعام، ومطبخ شهد أياماً أفضل، وأربع غرف نوم متوسطة الحجم. غرفة النوم التي عرضاها عليها كانت صغيرة، مثلما حُذِّرت، لكن الغرف الأخرى جميلة وواسعة، وقالا إنه ليست هناك مشكلة بالنسبة إليهم إذا أرادت استضافة أحد، بالرغم من أن معظمهم لا يفعل ذلك، فهم يخرجون كثيراً. لا أحد منهم من نيويورك. وكانت الغرفة التي عُرِضَت عليها خالية من المفروشات. اقترح عليها هارلان الذهاب إلى *ايكيا*، لأن هذا ما فعله شخصياً. فهو يعيش في الشقة منذ سنة تقريباً. كان الإيجار

الذي اقترحاه على فيكتوريا معقولاً جداً بالنسبة إليها بالرغم من راتبها، والشقة موجودة في منطقة آمنة، مع محلات ومطاعم مجاورة. إنها شقة مثالية للشباب، وقالا إن جميع الأشخاص الموجودين في المبنى شبان أو كبار في السن، ومضى على وجودهم هنا زمن طويل. إنه منزل مثالي بالنسبة إلى فيكتوريا، وعندما سألت إذا كان في وسعها استئجار الغرفة، وافق كلا الرجلين. أما باني فكانت قد أعطتها موافقتها قبل أن تغادر إلى النادي الرياضي. كما أن وكيل الحجز في وكالة عرض الأزياء الذي أرسلها كان قد أخبرهم مسبقاً أنها فتاة رائعة وشخص لطيف جداً. تم قبولها، وابتسمت ابتسامة عريضة وهي تصافح الرجلين. لم يطلبا أي مبلغ تأمين مسبق، وأخبراها أنها تستطيع القدوم فوراً. فما إن تشتري سريراً، حتى يصبح بإمكانها الانتقال إلى الشقة. أخبرها هارلان عن شركة تستطيع الاتصال بها، فتعطيها رقم بطاقة اعتمادها لتوصل إليها فراشاً بعد ظهر اليوم نفسه. أهلاً بنيويورك!

أعطتهما فيكتوريا شيكاً يغطي إيجار الشهر الأول، وأعطياها مجموعة من المفاتيح، وعندما غادرت للعودة إلى الفندق، كان رأسها يدور مثل الدوامة. حصلت على وظيفة، وغرفة في شقة، وحياة جديدة. كل ما عليها فعله الآن هو شراء مفروشات لغرفة نومها، وتستطيع الانتقال. اتصلت بعائلتها في تلك الليلة لإخبارهم، وفرحت غرايسي لها. سألها والدها عمداً عن مكان المنزل، وعن الأشخاص الذين ستعيش معهم. ولم تتحمس أمها لدى سماعها عن وجود رجلين في المنزل. طمأنتها فيكتوريا بالقول إن الأول مرتبط، أمّا الثاني فغير مهتم بالنساء، وأن رفاقها الثلاثة في الشقة يبدون أشخاصاً رائعين. بدا والداها حذرين حيال ذلك. فهما يفضّلان أن تعيش بمفردها بدلاً من العيش بين غرباء، لكنهم يعرفون أنها لا تستطيع تحمل ذلك مادياً، ولا يريد والدها أن يدفع لها الإيجار في نيويورك. لقد حان الوقت بالنسبة إليها لكي تشق طريقها في العالم.

في اليوم التالي، استأجرت عربة مقفلة، وذهبت إلى إيكيا. اشترت كل الأشياء الأساسية التي تحتاج إليها لغرفة نومها، وذهلت بالكلفة القليلة. اشترت مصباحين، وسجادة، وستائر، ومرآتين جداريتين، وملاءات، وكرسياً مريحاً، ومنضدتين، وخزانة أدراج جميلة، وخزانة صغيرة مع مرآة، لأن الغرفة تحتوي على خزانة واحدة فقط، وأملت أن تتسع الغرفة لكل أغراضها. الخبر السيئ هو أنه ينبغي لها تركيب كل المفروشات، لكن هارلان أخبرها أن الحاجب في المبنى سيفعل ذلك إذا أعطته بقشيشاً جيداً.

ساعدوها على تحميل المفروشات إلى العربة المقفلة، وبعد ساعة واحدة كانت في الشقة تفرغ حمولة مفروشاتها بمساعدة الحاجب. احتاجت إلى ساعة إضافية لوضع كل شيء في الأعلى. ومثلما قال هارلان، صعد الحاجب مع علبة أدواته، وبدأ بتجميع القطع. اتصلت بالشركة التي تبيع الفرش، ووصل الفراش قبل أن ينتهي الحاجب من إنجاز عمله. وبحلول الساعة السادسة، عندما عادت باني من العمل إلى المنزل، كانت فيكتوريا جالسة وسط غرفتها الجديدة وهي تتأمل منظرها. اختارت مفروشات بيضاء مع ستائر مطرّزة بيضاء، وسجادة زرقاء وبيضاء، وكشف كل شيء عن طابع كاليفورني. اشترت أيضاً ملاءة مخططة بالأزرق والأبيض مع وسادات متناغمة. ووضعت كرسيًّا أزرق مريحاً في زاوية الغرفة، حيث تستطيع القراءة إذا لم تكن تريد الجلوس في غرفة الجلوس. كانت قد اشترت قبل ذلك تلفازاً صغيراً تستطيع مشاهدته من سريرها. لقد نفد المال الذي أعطاها إيّاه والدها قبل وقت طويل لمساعدتها في مشترياتها. بدت سعيدة جداً وهي جالسة على السرير، وابتسمت ابتسامة عريضة عندما دخلت باني.

قالت باني وهي تبتسم لها: "حسناً، تبدين سعيدة جداً. أحببت أغراضك".

أجابت فيكتوريا بسعادة: "نعم، وأنا أيضاً". هذه أول شقة حقيقية تقيم فيها وتعتبرها بيتاً لها. فكلّ الأماكن التي أقامت فيها لغاية الآن كانت عبارة

عن غرف نوم صغيرة في مباني الطلاب، وهذه الغرفة أكبر بكثير؛ بالرغم من أنها ليست كبيرة أبداً وفق المقاييس. وتشاركت حماماً مع باني، فيما تشارك الرجلان الآخران الحمام الثاني. وقد لاحظت أن حمام باني نظيف جداً، وأنها مرتبة جداً. المكان مثالي.

سألتها باني باهتمام: "هل ستبقين هنا الليلة؟ أنا في المنزل إذا أردت مساعدة على توضيب أغراضك". أمضت فيكتوريا كل فترة بعد الظهر وهي ترتب الأشياء. كانت تملك الملاءات، ومجموعة من المناشف الجديدة التي تريد غسلها في الغسالة الموجودة في غرفة الغسيل في الطابق الأرضي مما يسمح لها بالنوم في الشقة.

"يجدر بي إحضار أغراضي من الفندق". وكانت قد غادرت الفندق في الصباح لتوفر المال وتركت حقائبها مع الحاجب هناك. "سأذهب لإحضارها بعد قليل وأعود لاحقاً". عاد الرجلان إلى المنزل حينها وتأملا غرفتها الجديدة بإعجاب. بدت مرتبة ونظيفة وعصرية، وقال هارلان إنها تبدو مثل منزل على شاطئ مالييو. لقد اشترت لوحة يظهر فيها شاطئ رملي طويل ومياه زرقاء، وعلقتها على أحد الجدران. فاحت رائحة المفروشات الجديدة في الغرفة التي أعيد طلاؤها حديثاً. كان بإمكانها رؤية الشارع من نوافذ غرفتها، وسطوح المنازل المجاورة. كان المبنى في الجهة الشمالية للشارع وفي اتجاه الجنوب، وعرفت بالتالي أنه مشمس.

أخبرها رفاقها في المنزل أنهم سيكونون في المنزل هذه الليلة ويخططون لتحضير العشاء إذا أرادت الانضمام إليهم، فغادرت بعد فترة وجيزة لإحضار أغراضها من الفندق، وإعادة العربة المقفلة، وعادت في الوقت المناسب لتناول العشاء.

عندما عادت، كانت الشقة مليئة بروائح الطعام اللذيذة. بدا أن رفاقها الثلاثة طهاة مهرة. انضمت إليهم جولي خطيبة بيل، وكانوا هم الأربعة في المطبخ، يضحكون ويحتسون الشراب، عندما دخلت فيكتوريا حاملة أربع

حقائب. أحضرت معها كل ملابسها الشتوية، في حال احتاجت إليها قبل أن تعود إلى المنزل في مناسبة الشكر. قالت باني إن هذا أمر جيد لأن الطقس قد يصبح بارداً في شهر أكتوبر.

توقفت فيكتوريا لشراء قنينة شراب لهم، ووضعتها على طاولة المطبخ. إنه شراب من إسبانيا، وقالوا جميعاً إنهم يحبونه، وفتحوا القنينة على الفور. لقد أفرغوا القنينة بكاملها؛ وهذا أمر سهل عندما يتشاركها أربعة أشخاص. أرادت فيكتوريا شراء الآيس كريم في طريقها إلى المنزل، لكنها لم تفعل. الانتقال من مكان إلى آخر مسبب للتوتر، لكن الأمور جرت كلها على ما يرام لغاية الآن.

جلسوا هم الخمسة لتناول العشاء في تمام العاشرة؛ عندما شعر الجميع بالجوع. وظلّوا يدخلون المطبخ ويخرجون منه حتى ذلك الوقت. تولت باني إنجاز معظم الطهو في تلك الليلة، وذهب الرجلان إلى النادي الرياضي قبل العشاء. إنهم حريصون جميعاً على ممارسة التمارين الرياضية، وجسم جولي - خطيبة بيل - رائع. إنها تعمل في شركة لمستحضرات التجميل، ورأوا جميعاً أنه من الرائع أن تعلّم فيكتوريا في مدرسة، وهذه شجاعة كبيرة منها لأن طلابها سيكونون في مثل سنها تقريباً.

اعترفت باني: "الأولاد يرعبونني. وعندما يأتون إلى المعرض، أركض وأختبئ. فهم يكسرون دوماً شيئاً ما، وأقع أنا في ورطة". قالت إنها تخصصت في الفنون وتملك صديقاً في بوسطن يذهب إلى كلية الحقوق في جامعة بوسطن، ويأتي لرؤيتها في عطلات نهاية الأسبوع، أو تذهب هي لرؤيته.

بدوا جميعاً وكأنهم يعيشون حياة مثالية. خلال العشاء، قال هارلان إنه حالياً في إجازة من الحياة العاطفية، وقال إنه لا يواعد أحداً، واعترفت فيكتوريا أنها لا تواعد أحداً هي أيضاً. لم تنجح أي من علاقاتها العاطفية لغاية الآن، ولم تكن تحب نظرية والدها القائلة إن

www.mlazna.com-RAYAHEEN

السبب هو وزنها وشكلها الخارجي. شعرت وكأنها ملعونة. رأى والدها أنها ليست جميلة كفاية، ورأت أمها أنها ذكية جداً بالنسبة إلى معظم الرجال، ممّا يدفعهم إلى الابتعاد عنها. إنها بشعة جداً أو ذكية جداً، لكن على كل حال، لم يقع أحد في غرامها بعد، ولم تغرم هي بأحد. كل ما حصل معها لغاية الآن يمكن وصفه بالإخفاقات، باستثناء ما حصل مع بو، والعلاقة الوجيزة مع الشاب الذي يدرس الفيزياء، وبعض المواعيد الغرامية التي لم تصل إلى أي نتيجة. أملت أن يتحسن حظها في نيويورك. وقد تحسن فعلاً، إذ عثرت على شقة رائعة ورفاق رائعين. أحبتهم فعلاً. وكان العشاء الذي قدموه لذيذاً. حضرت باني البابيلا مع ثمار البحر الطازجة، فبدت الوجبة مثالية في يوم صيفي حار، وحضرت شراباً لذيذاً تناولوه بعد الشراب الإسباني الذي أحضرته فيكتوريا. قدمت المقبلات الباردة أولاً، قبل البابيلا. وبالنسبة إلى الحلوى، أحضرت علبة من بوظة البسكويت والكريما، ولسوء الحظ كانت الحلوى أحد الأنواع المفضلة عند فيكتوريا، ولم تستطع مقاومتها عندما تم وضعها على الطاولة.

تذمرت فيكتوريا قائلة: "هذا أشبه بتقديم الهيروين لمدمن على المخدرات". وسكبت لنفسها كمية كبيرة فيما جرى تمرير علبة البوظة حول المائدة. قبل ذلك، كانوا قد أنهوا جميعاً أطباقهم. كانت البابيلا لذيذة، وكذلك البوظة.

اعترف هارلان: "أنا أحب البوظة أيضاً". لكن، لم يبدُ عليه هذا. إذ كان يبدو وكأنه لم يتناول الطعام منذ عشرة أعوام، فطوله البالغ ستّ أقدام وثلاثة إنشات، جعله يبدو نحيلاً جداً. إلا أن فيكتوريا لم تتناول البوظة منذ زمن بعيد، ولذلك قررت تدليل نفسها؛ ففي النهاية، إنهم يحتفلون. هنأت نفسها لاحقاً على عدم تناول طبق ثانٍ من البوظة، بالرغم من أن الحصة الأولى كانت كبيرة. أفرغوا علبة البوظة، وتناولت جولي مقداراً كبيراً أيضاً، لكن يبدو أنّه ليست لديهم أبداً مشكلة مع الطعام. إنهم أشخاص

نحيلون، ويتمتعون جميعاً بلياقة بدنية. قالوا جميعاً إنهم أوفياء للنادي الرياضي، وقال بيل وباني إن هذا يساعدهما في السيطرة على التوتر. أمّا هارلان فقال إنه يكره ممارسة التمارين الرياضية لكنه يشعر أن هذا واجب عليه للحفاظ على لياقته البدنية. وقالت باني إنهم يفكرون في جمع المال من بعضهم لشراء آلة المشي بحيث لا يضطرون إلى الذهاب إلى النادي الرياضي كل يوم، فقالت فيكتوريا إنها فكرة رائعة فهي لا تستطيع تفادي الآلة الرياضية إذا تم وضعها في الشقة. إنهم مجموعة حيوية ومنهمكة، ولديهم الكثير من المشروعات والخطط والأفكار. وفيكتوريا متشوقة للعيش معهم. سيكون هذا أفضل لها من العيش بمفردها في شقة صغيرة جداً. فبهذه الطريقة، تستطيع الحصول على المزيد من المساحة، وعلى الصحبة كلما أرادت ذلك. وحين لا تريد، يمكنها الذهاب إلى غرفتها التي باتت جميلة الآن، بفضل مفروشات إيكيا. إنها متحمسة جداً لما حصلت عليه، ولكيفية حصول كل شيء. كانت فكرة رائعة، وشكرت هارلان على اقتراحه.

قال مبتسماً: "أهلاً بك في أي وقت. كنت أهتم بترتيب واجهات المحلات بدوام جزئي. اهتممت بواجهات المحلات في كل منطقة سوهو، وواجهات شانيل. أريد أن أكون مهندس ديكور عندما أكبر. لكنني في الوقت الحاضر مشغول في معهد الأزياء. إلا أنني أملك دوماً أفكاراً ومشروعات أخرى". بدا شخصاً مبدعاً جداً، وأحبت فيكتوريا ملابسه.

عند الجلوس معهم في المطبخ، أملت أن يكون العيش معهم والذهاب إلى النادي الرياضي بالتواتر نفسه مثلهم، كفيلين بإبقاء وزنها تحت السيطرة. عرفت أن وزنها يتقلب باستمرار، وهو أعلى دوماً من الوزن المطلوب، لكنها أحست أنهم سيؤثرون فيها إيجاباً؛ إذا ابتعدت عن الحلويات. كل رفاقها في الشقة يملكون أجساماً نحيفة. لقد حسدت أشخاصاً مثلهم طوال حياتها. إنها فتاة بدينة بطبيعتها، بفضل جدة أبيها. أمّا ثدياها

فقد جعلا القسم العلويّ من جسدها يبدو ضخماً. وكان جسدها شبيهاً بالساعة الرملية؛ الأمر الذي كان ليبدو جيّداً لو كانت في حقبة أخرى. تساءلت غالباً إن كانت جدّة والدها ذات ساقين طويلتين ونحيلتين مثلها. لا يمكن معرفة ذلك من الصور الفوتوغرافية، لأن النساء كنّ يرتدين تنانير طويلة في تلك الأيام. بعد أن فقدت فيكتوريا الآن بعضاً من وزنها خلال الصيف، صار بإمكانها ارتداء التنانير القصيرة مجدداً. لكنها عرفت أنه لن يكون في وسعها فعل ذلك أبداً إذا تناولت الآيس كريم. شعرت بالذنب بسبب ما تناولته للتو. عليها العثور على نادٍ رياضي غداً، أو الذهاب للركض. تستطيع باني اصطحابها معها ربما إلى ناديها الرياضي. شعرت فيكتوريا فجأة بارتباك كبير حول ما يتوجب عليها فعله هنا. بعد أيام قليلة، ستبدأ بارتياد المدرسة؛ بصفتها أستاذة هذه المرة وليست تلميذة. هذا مثير جداً!

عاد كل منهم إلى غرفته قرابة الساعة الواحدة من بعد منتصف الليل، بعد أحاديث طويلة. أمضت جولي الليلة مع بيل. وفيما استلقت فيكتوريا على سريرها الكبير الجديد تحت الغطاء، راحت تبتسم. كل شيء في هذه الغرفة جميل ويبدو تماماً مثلما تريده. إنه عالمها الصغير الحميم في الحياة الجديدة التي تؤسسها لنفسها. إنها مجرد البداية. سيكون لديها قريباً وظيفة جديدة، وأصدقاء جدد، وتلاميذ جدد، وربما صديق جديد في يوم من الأيام. يصعب تخيل ذلك. كان العثور على شقة أول خطوة، وأصبحت الآن فجأة نيويوركية.

اشتاقت إلى غرايسي حين خلدت إلى النوم تلك الليلة، وفكرت في الاتصال بها، لكنها شعرت بنعاس شديد، وكانت قد تحدثت إليها في ذلك الصباح خلال التسوق في إيكيا. شعرت غرايسي بالفرح كثيراً من أجل أختها، ووعدتها فيكتوريا بأن ترسل لها صوراً فوتوغرافية للشقة وغرفتها. نامت وهي تفكر في أختها وفي اليوم الذي ستأتي فيه لزيارتها. حلمت فيكتوريا أنهما ذهبتا للتسوق معاً، وأصبحت فجأة أكثر نحافة، كما لو أنه

صار لديها جسم جديد مع حياتها الجديدة. أحضرت لها البائعة فستاناً بمقاس أربعة عشر، وأخبرتها فيكتوريا أنها ترتدي الآن المقاس ثمانية، وصفق لها كل من في المتجر.

الفصل 9

أمضت فيكتوريا يومين في الاجتماعات قبل أول يوم دراسي. والتقت بقية الأساتذة، وحاولت تذكر أقسامهم وموادهم والصفوف التي يعلمونها. كما أتيحت لها فرصة قراءة الكتب التي ستستخدمها، والتي اختارتها كلها المعلمة التي ستحل مكانها لمدة سنة. حتى إن المعلمة وضعت لها مخطط المنهج الدراسي الذي قلقت فيكتوريا بشأنه طوال أيام. سيكون الأمر أسهل عليها مما تصورت، وتحدثت بسهولة مع بقية الأساتذة وعرّفت عن نفسها. قسم اللغة الإنكليزية أحد أكبر الأقسام، وهناك ثمانية أساتذة، كلهم أكبر سناً منها، ومعظمهم من النساء بالرغم من وجود ثلاثة رجال. لاحظت أن كل الأساتذة الرجال الذين يعلمون في ماديسون متزوّجون، لكنها لم تأتِ إلى هنا للعثور على صديق، بل جاءت للتعليم.

في الليل، بعد الاجتماعات، راجعت الكتب والمنهج الدراسي مجدداً، ودوّنت الملاحظات بشأن الفروض المنزلية والامتحانات التي تريد إعطاء الأولاد إيّاها، لكنها تريد أولاً التعرف إليهم ومعرفة من يكونون. ستعلّم أربعة صفوف، أحدها للصف الثانوي الأول، والثاني للصف الثانوي الثاني. أما الصفان الأخيران فللصفّ الثانوي الثالث. وقد تم تحذيرها في نورث ويسترن في أثناء تعليم التلاميذ أنه يصعب دوماً تعليم تلاميذ الصف الثانوي الثالث. فهم متحمسون عموماً لمغادرة المدرسة والانطلاق في حياتهم الجديدة في الجامعة، وبحلول النصف الثاني من السنة، عندما يحصلون على أجوبة القبول من الجامعات، يستحيل تقريباً لفت انتباههم ودفعهم إلى العمل. ستكون سنة صعبة

بالنسبة إليها، وهي تتحرق شوقاً لبدئها، وبالكاد نامت خلال الليل الذي سبق بداية المدرسة.

في أول يوم مدرسي، استيقظت فيكتوريا عند السادسة صباحاً، وتناولت فطوراً صحياً مؤلفاً من البيض والتوست والحبوب وعصير البرتقال، وحضّرت إبريق قهوة ليشربه معها رفاقها في الشقة. ثم ارتدت ثيابها، وكانت أمام مائدة الفطور في تمام السابعة، ثم عادت إلى غرفة نومها، ودوّنت بعض الملاحظات الجديدة في تمام السابعة والنصف. وفي الثامنة إلا ربعاً، خرجت من الباب وتوجهت إلى المدرسة. وصلت في تمام الساعة الثامنة صباحاً، علماً أن التلاميذ يدخلون الصفوف عند الساعة الثامنة والنصف.

توجهت مباشرة إلى صفها، ومشت بعصبية في الغرفة، ووقفت محدقة إلى خارج النافذة. إنها تتوقع أربعة وعشرين تلميذاً هذا الصباح. هناك طاولات لهم جميعاً، مع بعض الطاولات الإضافية، ومكتب كبير لها في أول الغرفة. إنه صف التعبير في اللغة الإنكليزية، وستعطيهم فروضاً في الإنشاء. عرفت أنّ لفت انتباههم سيكون صعباً بعد عطلة الصيف، وأنّ الأولاد الذين ستعلمهم اليوم سيأتون بعد حصولهم على راحة منزلية. إنهم في الصف الثانوي الثالث، وكانوا يزورون الجامعات ويتقدمون بطلباتهم إليها طوال فصل الخريف. وعليها أن تكتب توصيات بهم أيضاً. وهذا يجعلها عنصراً مهماً في حياتهم، ويعطيها تأثيراً مباشراً في مستقبلهم، ولذلك يجب أن يكونوا جديين ومنتبهين في صفها. كانت تعرف أسماءهم. والآن سترى الوجوه المترافقة مع هذه الأسماء. كانت تحدق إلى الفضاء، وتنظر إلى خارج النافذة، عندما سمعت صوتاً وراءها.

"هل أنت جاهزة للهجوم الضاري؟". استدارت ورأت امرأة شعرها أشيب، وترتدي سروال جينز، وقميصاً قطنياً باهتاً عليه اسم فرقة موسيقية، وتنتعل صندلاً. بدت وكأنها لا تزال في إجازة. وكان يوماً حاراً في نيويورك. ابتسمت عندما استدارت فيكتوريا مذهولة. ارتدت فيكتوريا

تنورة قصيرة من القطن الأسود، مع سترة بيضاء من الكتان، وانتعلت حذاء مسطحاً. أخفت السترة البيضاء العديد من العيوب، أمّا التنورة القصيرة فأظهرت ساقيها. إلا أنها لا تنوي إغراءهم، وإنما فقط تعليمهم.

"مرحباً". قالت فيكتوريا بدهشة. لقد رأت المرأة الأخرى في اجتماع الأساتذة، لكنها لم تلتقها شخصياً، ولا تستطيع أن تتذكر القسم الذي تعلم فيه، ولا تريد سؤالها عن ذلك.

"أنا في قسم الدراسات الاجتماعية، وصفي قرب صفك. وإذا بدأوا حرب العصابات، أستطيع مساعدتك. اسمي هيلين". كانت تبتسم وهي تقترب لمصافحة فيكتوريا، وتبدو في عمر والدة فيكتوريا تقريباً، بين منتصف وأواخر العقد الرابع تقريباً. أصبحت والدة فيكتوريا مؤخراً في الخمسين. "مضى على وجودي هنا اثنان وعشرون عاماً، فإذا احتجت إلى أي شيء، اسأليني. إنهم أشخاص طيبون هنا، باستثناء الأولاد وأهلهم. بعضهم على كل حال، أما بعضهم الآخر فعبارة عن أولاد رائعين، بالرغم من الظروف المميزة التي يعيشون فيها". فيما كانت تقول ذلك، رنّ الجرس، وبعد دقائق قليلة سمعتا أصوات الأقدام على السلالم. بدا وكأن الجميع يركضون.

قالت فيكتوريا: "شكراً". إذ لم تعرف ما يجب أن تقوله. التعليق الذي قالته عن التلاميذ وأهلهم مرعب فعلاً، وهذا موقف غريب من امرأة تعمل في مدرسة مليئة بأولاد الأغنياء.

"أحب تلاميذي، لكن يصعب إقناعهم بالحقيقة أحياناً. فأي حقيقة ستكون عندما يملك والداك باخرة وطائرة ومنزلاً في الهامبتون، وحين تمضين كل صيف في جنوب فرنسا؟ هذه هي الحياة بالنسبة إلى هؤلاء الأولاد. وما يحصل في بقية العالم غير مهم بالنسبة إليهم. يعود إلينا نحن أن نعرّفهم على العالم الحقيقي. وليس الأمر سهلاً أحياناً. ستصلين إلى هذه المرحلة، عاجلاً أم آجلاً، مع معظمهم. ولكن ليس كثيراً جداً مع أهلهم. فهم يتجاهلون الأمر، إذ لا يريدون أن يعرفوا كيف يعيش النصف

الآخر. لأنهم يتصورون أن هذه ليست مشكلتهم. لكن الأولاد يملكون حق المعرفة واتخاذ الخيارات". لم تعارضها فيكتوريا الرأي، ولم تفكر كثيراً في أسلوب عيش هؤلاء الأولاد، وفي كيفية تأثيره في نظرتهم إلى العالم. لكن يبدو أن هيلين مستاءة جداً من ذلك، وتشعر بالامتعاض من الأولاد. وتساءلت فيكتوريا ما إذا كانت تغار من الحياة المميزة التي يعيشها أولئك الأولاد. وفيما كانت تفكر في ذلك، دخلت التلميذة الأولى الصف، وعادت هيلين إلى صفها.

كانت الفتاة تدعى بيكي. شعرها أشقر يصل إلى خصرها، وترتدي قميصاً قطنياً وردي اللون، وسروال جينز أبيض، وتنتعل صندلاً إيطالياً غالي الثمن. وهي تملك أجمل وجه وجسم رأتهما فيكتوريا في حياتها. جلست في وسط الصف، مما يعني أنها ليست متحرقة شوقاً للمشاركة، لكنها ليست أيضاً واحدة من مهرّجي الصف الأخير. ابتسمت لفيكتوريا وهي تجلس. ثمة طلة عفوية لديها، وتبدو وكأنها تملك العالم - حسب رأيها - وهي تملك غرور تلاميذ الصف الثانوي الثالث الذي رأته فيكتوريا قبلاً. هناك أربع سنوات فقط تفصل بين الشابتين، وشعرت فيكتوريا بالارتعاش عند الإحساس بثقة بيكي الزائدة بنفسها، لكنها ذكّرت نفسها أنها هي المسؤولة هنا. وهم لا يعرفون بالضبط كم عمرها. أدركت أن عليها كسب احترامهم.

وفيما كانت تفكر في الأمر، دخل أربعة صبيان عبر الباب، في الوقت نفسه تقريباً، وجلسوا. نظروا جميعاً إلى بيكي، وبدا جلياً أنهم يعرفونها، وألقوا نظرة سريعة باتجاه فيكتوريا بقليل من الفضول. بعد ذلك، دخلت مجموعة من الفتيات الغرفة، وهن يضحكن ويتحدثن. قلن مرحبا لبيكي، وتجاهلن الصبيان، وألقين نظرة سريعة على فيكتوريا، ثم جلسن على مقاعد قريبة من بعضها في الجهة الخلفية من الغرفة. عنى ذلك لفيكتوريا أنهن يردن الاستمرار بالثرثرة وتبادل الملاحظات، أو ربما حتى إرسال الرسائل النصية لبعضهن. عليها إبقاء عينيها عليهن. دخل بعدها

المزيد من الصبيان، والمزيد من الفتيات، وكان عدد الذين دخلوا منفردين قليلاً، كما دخلت مجموعات أخرى. أخيراً، بعد عشر دقائق كاملة، اكتمل أول صف لها. ألقت فيكتوريا التحية عليهم بابتسامة عريضة وأخبرتهم عن اسمها. دوّنته على اللوح الأسود، ثم استدارت نحوهم.

"أريد منكم أن تعرّفوا عن أنفسكم حتى أتمكن من مطابقة الوجوه مع الأسماء". أشارت إلى فتاة في الصف الأمامي، إلى أقصى يسارها فيما كانت واقفة أمامهم. "فلننتقل عبر الغرفة". ولبوا جميعاً طلبها. قال كل واحد منهم اسمه فيما نظرت إلى اللائحة الموضوعة على مكتبها والخاصة بهذا الصف. "من منكم يعرف إلى أي جامعات يريد الذهاب؟". ارتفع أقل من نصف الأيدي في الغرفة. "ما رأيكم في إخبارنا عنها؟". وأشارت إلى صبي يجلس في الصف الخلفي ويبدو أنه يشعر بالملل. لم تعرف ذلك، لكنه كان صديق بيكي خلال العام الماضي، وقد انفصلا قبل الصيف. عادت بيكي للتو من فيلا والدها في جنوب فرنسا. وكما هي حال العديد من التلاميذ في ماديسون، كان والداها مطلقين.

الشاب الذي سألته فيكتوريا عن الجامعات التي تقدم إليها ذكر لائحة مهمة. هارفارد، برنستون، يال، ستانفورد، ديوك، دارتماوث، وربما معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا. ذكر أفضل الجامعات على الإطلاق، وتساءلت إذا كان يقول الحقيقة أم أنه يكذب عليها. لم يكن بإمكانها تقييم الشخصيات بعد، لكنها ستفعل لاحقاً.

سألته بوجه خال من التعبير: "ماذا حصل لكلية السيرك في ميامي؟ قد يكون ذلك ممتعاً". وضحك الجميع.

"أريد دراسة الهندسة الكيميائية، مع التخصص في الفيزياء، أو العكس ربما".

سألته: "كيف علاماتك في اللغة الإنكليزية؟". إنه من نوع الشباب الذين يعتبرون صف التعبير بمثابة مزحة. إلا أنها مادة إلزامية، حتى بالنسبة إليه.

"ليست جيدة. أنا أقوى في العلوم". اعترف بخجل وهو يجيب عن سؤالها.

سألت الآخرين: "ماذا عنكم؟ كيف حالكم في التعبير؟". إنه سؤال منطقي وكانوا صريحين معها. قال بعضهم إنهم فاشلون وقال البعض الآخر إنهم جيدون، ولا مجال لديها لتعرف الحقيقة، خصوصاً في هذا الوقت المبكر.

"حسناً، إذا أردتم الذهاب إلى تلك الجامعات، وأفترض أن العديد منكم سيفعلون ذلك، يجدر بكم الحصول على علامات جيدة في اللغة الإنكليزية أيضاً. فلنعمل إذاً مع بعضنا هذه السنة. أنا هنا لتحسين مهاراتكم الكتابية. ويفترض أن يساعدكم هذا في طلبات التقدم إلى الجامعات، وسأكون مسرورة بمساعدتكم في تلك الطلبات، إذا رغبتم". كانت هذه بادرة جيدة لخدمة الصف، وانتبه التلاميذ جيداً إلى ذلك. فجلسوا وأصغوا إليها بانتباه أكبر لسماع ما ستقوله.

تحدثت عن قيمة امتلاك القدرة على الكتابة بوضوح وبطريقة متماسكة، ليس في سجع طنان، وإنما القدرة على كتابة قصة مشوقة ذات بداية وحبكة ونهاية. "أظن أنه يجدر بنا الاستمتاع قليلاً هذه السنة أيضاً. لا يفترض بالكتابة أن تكون مخيفة. وأعرف أن الأمر صعب بالنسبة إلى بعض الأشخاص". ألقت نظرة على الشاب الذي أراد الذهاب إلى معهد ماستشوستس للتكنولوجيا، إذ اتضح جلياً أن التعبير الإنكليزي ليس من هواياته. "يمكنك إضافة بعض المرح إلى ما تكتبه، أو كتابته بطريقة مسلية. كما يمكنك كتابة تعليق اجتماعي عن وضع العالم، أو قصة تبتكرها بنفسك من البداية إلى النهاية. لكن، مهما كتبت، فليكن ذلك بسيطاً وواضحاً، وليكن شيئاً مميزاً يرغب الآخرون في قراءته. لهذه الغاية، سأطلب منكم كتابة شيء نستمتع جميعاً بقراءته". وبعد أن قالت ذلك، استدارت وكتبت على اللوح الأسود الممتد على طول جدار كامل في الغرفة، وراء مكتبها. كتبت بخط واضح ليتمكن الجميع من القراءة

بسهولة. "عطلتي الصيفية". وما إن فعلت ذلك حتى دمدم الجميع، فاستدارت لمواجهتهم مجدداً. "ثمة تحريف لذلك، بعض الالتفاف. لا أريد أن أسمع أخبار العطلة الصيفية التي أمضيتموها، والتي قد تكون مضجرة مثل عطلتي مع عائلتي في لوس أنجلوس، وإنما أريد منكم أن تكتبوا عن العطلة الصيفية التي تتمنون إمضاءها. وعندما تنتهون من الكتابة، أريد أن أتمنى لو أنني حظيت بتلك العطلة أيضاً. وأريد أن أفهم السبب. لمَ أردتم الحصول على هذه العطلة بالتحديد، أو تمنيتم الحصول عليها؟ يمكنكم الكتابة معتمدين فنّ السيرة الذاتية، أو كتابة رواية على لسان شخص آخر. أريد بعض المواد الرائعة فعلاً. أعرف أنكم قادرون على ذلك إذا حاولتم". ابتسمت لهم ابتسامة عريضة حينها، وقالت شيئاً لم يتوقعوه. "انتهت الحصة". نظروا إليها للحظة، وهم مذهولون قليلاً، ثم أطلقوا صرخة ونهضوا، وبدأوا يتحركون حول الغرفة. طرقت على مكتبها مرة واحدة، وأخبرتهم أنه يجدر بهم تقديم الفرض في الحصة التالية، أي بعد ثلاثة أيام. عندها، دمدم التلاميذ مجدداً، وأوضحت رأيها قائلة: "لا حاجة إلى أن يكون الموضوع طويلاً". فابتسموا لها.

قال أحد الصبيان: "أتمنى لو أنني أمضيت عطلتي الصيفية في ملهى في المغرب". وضحك الجميع على فكرته. السخرية من الأستاذ أمر يستمتع به الأولاد في أي عمر. إنها فكرة لم تتخيل فيكتوريا أن يقولها تلميذ شاب، لكنها لم تتفاعل مع ذلك. فالأولاد في هذا العمر يحبون أن يصدموا الكبار. لم تعطه أي دليل يشير إلى أنه نجح في ذلك.

قالت فيكتوريا بصرامة: "سيكون ذلك جيداً؛ شرط أن أصدقك. وإلا، لن تكون محظوظاً. هذا هو السر. اجعلوني أصدقكم، اجعلوني أهتم، اجعلوني أقع في غرام الشخصيات، أو في غرامكم. هذا هو الهدف من الكتابة؛ إقناع القارئ بأن ما كُتِبَ من أجله حقيقي. ولفعل ذلك، عليكم أن تصدقوا أيضاً ما تكتبونه. استمتعوا". قالت ذلك وغادر بقية التلاميذ الغرفة.

كان لدى فيكتوريا استراحة بين الصفوف، فجلست أمام مكتبها لتدوّن بعض الملاحظات، عندما دخلت هيلين، معلّمة الصف المجاور. بدت مهتمة بكلّ شيء تفعله فيكتوريا. كارلا بيرنيني، المعلمة التي أخذت إجازة الأمومة، كانت أفضل صديقة لها، وتساءلت فيكتوريا إذا كانت تدافع عن موقع زميلتها أو تبقي على الأقل عيناً عليه.

"كيف جرت الأمور؟". سألت فيما جلست على أحد الكراسي.

قالت فيكتوريا بصراحة: "جيدة جداً، حسبما أظن. لم يرموا الأشياء عليّ، ولم يضربوني بالقناني، أو القنابل المسيلة للدموع. وأبقيت الحصة قصيرة، الأمر الذي يساعد دوماً". لقد فعلت ذلك في فترة تدربها أيضاً. لا يمكن الجلوس إلى الأبد والتحدث عن الكتابة. عليك فقط فعل ذلك، مهما كان الأمر صعباً ومروعاً. "الفرض الذي طلبته منهم سهل، وسيظهر لي ما يمكنهم فعله".

قالت هيلين: "لا شك في أنه من الصعب الحلول مكان شخص آخر". وهزت فيكتوريا كتفها.

"أحاول ألا أفكر في الموضوع. لكل منا أسلوبها الخاص".

سألت هيلين باهتمام كما لو أنها تجري مقابلة معها: "وما هو أسلوبك؟".

"لا أعرف بعد. اليوم هو أول يوم لي. تخرجت في شهر مايو".

"واو! سيكون ذلك متعباً جداً. أنت فعلاً فتاة بدينة وشجاعة". نبرتها ذكّرت فيكتوريا بوالدها، لكنها لم تكترث. عرفت أنها أنجزت عملاً جيداً. وتستطيع هيلين تحديها كما تريد، ولأي سبب كان. عرفت فيكتوريا أنّ عليها إثبات نفسها أمام الأساتذة أيضاً، وليس فقط التلاميذ. لكن الأمور جرت على ما يرام لغاية الآن.

حلّ موعد الصف التالي لفيكتوريا بعد ساعة، ووصل العديد من التلاميذ متأخرين جداً هذه المرة. إنهم في السنة الثانوية الثالثة أيضاً.

الفرض الذي طلبته منهم كان مختلفاً عن الأول.

الموضوع هذه المرة هو ما أريد أن أكون عليه حين أكبر، ولماذا. "أريدكم أن تفكروا جدياً في الموضوع. وأريد أن أحترمكم وأعجب بكم حين أقرأ ما كتبتموه. لا بأس في جعلي أضحك. اجعلوا الموضوع خفيفاً، إلا إذا أراد أحدكم أن يصبح حانوتياً أو محنطاً للموتى. باستثناء ذلك، أريد أن أضحك". ثم غادر التلاميذ أيضاً. لقد أثبتت نفسها مع كلتا المجموعتين. وتعرفت الآن إلى كل تلاميذها في الصف الثانوي الثالث. بدوا أولاداً جيدين، ولم يسببوا لها المشاكل. لكنها عرفت أنهم قادرون على القيام بذلك إذا أرادوا، وهي لا تزال شابة جداً. لم يظهروا أي ولاء خاص لها لغاية الآن، لكنها عرفت أن الوقت لا يزال مبكراً جداً. أملت أن يفعلوا ذلك مع الوقت. وعرفت أن مستوى احترامهم لها يعتمد عليها. فمهمتها تقتضي منها أن تجعلهم يهتمون.

بقيت هيلين، وتحدثت معها لبضع دقائق، ثم وضبتا أغراضهما وغادرتا. تحققت فيكتوريا من علبة بريدها في أثناء خروجها، ثم جلست في غرفة الأساتذة، وانكبت فوق كدسة من التعليمات المرسلة من المدير وعميد الطلاب. هناك إعلانات عدة، يتعلق معظمها بتغيرات السياسات التي أثرت في المدرسة. ذهبت إلى اجتماع لقسم اللغة الإنكليزية بعد الظهر، وعندما غادرت المبنى، احتاجت إلى عشر دقائق سيراً على الأقدام للوصول إلى الشقة. أحبت العيش بهذا القرب. وأرادت الذهاب مشياً إلى العمل كل يوم.

عندما وصلت فيكتوريا إلى الشقة، سألها الجميع عن يومها الأول. كانوا جميعهم موجودين هناك.

قالت فيكتوريا بسعادة: "كان فعلاً يوماً مذهلاً". اتصلت بها غرايسي بعد ساعة وطرحت عليها السؤال نفسه، وأعطتها الجواب نفسه. مبدئياً، جرت الأمور كلها على ما يرام، وأحبت الأولاد. صحيح أنهم جابوا العالم ربما مع أهلهم، وعرفوا كل شيء تقريباً، لكن ثمة شيء بريء ومحبب فيهم. وأرادت منهم أن يتعلموا التفكير بذكاء، واستخدام الأحكام الجيدة

للتوصل إلى الحياة التي يريدونها، مهما كانت وأينما كانت. وظيفتها – مثلما عرفت – في هذه المدرسة أو في أي مدرسة أخرى، هي فتح باب العالم أمامهم. وأرادت فتح العديد العديد من الأبواب. لقد بدأت.

الفصل 10

التقت فيكتوريا تلاميذ الصفين الثاني الأول والثاني في اليومين الثاني والثالث من المدرسة، وتفاجأت حين لاحظت أنه يصعب التعاطي معهم أكثر من تلاميذ الصف الثاني الثالث. فتلاميذ الصف الثاني الثاني كانوا متوترين بشأن الواجبات الكثيرة المطلوبة منهم هذه السنة، والتي يمكن أن تؤثر أكثر من أي سنة أخرى في الطلبات التي سيرسلونها إلى الجامعات، وخافوا أن تعطيهم الكثير من الفروض المنزلية. أما تلاميذ الصف الثاني الأول فكانوا غير ودودين ومشاكسين تقريباً، وما من مجموعة يصعب تعليمها أكثر من فتيات في الخامسة عشرة من أعمارهنّ. إنه العمر الأقل تفضيلاً بالنسبة إلى الجميع، وبالنسبة إلى فيكتوريا أيضاً، باستثناء أختها غرايسي التي بدت أكثر لطفاً من معظم الفتيات في عمرها. ثمة ميزة مزعجة فيهنّ، وسمعت فيكتوريا اثنتين من الفتيات تتحدثان عن حجمها وهما تغادران الصف. تحدثتا بصوت عالٍ كفاية لكي تسمعهما، وتوجب عليها تذكير نفسها بأنهما مجرد فتاتين ثرثارتين، لكن تعليقاتهما جرحتها مثل السكين. قالت عنها إحدى الفتاتين إنها *بدينة*، فيما قالت الفتاة الأخرى إنها تبدو مثل البرميل في الفستان الذي ترتديه. نزعت الفستان تلك الليلة، ووضعته جانباً للتخلص منه لاحقاً، فقد عرفت أنها لن تشعر بالارتياح عند ارتدائه مجدداً. وعندما توجهت إلى مطبخ شقتها في ذلك المساء، تناولت حصة أحدهم من البوظة، بنكهة لا تحبها.

"أهو يوم سيئ؟". سألها هارلان وهو يدخل المطبخ، وحضّر لنفسه كوباً من الشاي، وعرض واحداً عليها.

"نعم، نوعاً ما. الفتيات في الصف الثاني الأول مزعجات جداً. التقيت تلاميذ الصف الثاني الأول للمرة الأولى اليوم". بدت منزعجة فعلاً فيما كانت جالسة في المطبخ، وهي ترتشف الشاي، وتتناول البراونيز التي أحضرتها في طريق عودتها إلى المنزل.

قال بتعاطف: "من الصعب حتماً أن يكون المرء شاباً، ويعلّم تلاميذ في المدرسة الثانوية في مثل سنه تقريباً".

"أظن ذلك. تلاميذ الصف الثاني الثالث كانوا جيدين فعلاً. الأصغر هم الأسوأ لغاية الآن. إنهم مزعجون جداً. وتلاميذ الصف الثاني الثاني خائفون كثيراً لأنها السنة الأكثر أهمية قبل الجامعة، ولذلك يكونون تحت ضغط كبير، منا ومن أهلهم".

قال وهو يبتسم بحزن: "لا أحسدك على وظيفتك. قد يكون الأولاد صعبين جداً. إنّ الوقوف أمام ثلاثين واحداً منهم يجعلني أشعر بالرعب".

اعترفت فيكتوريا: "لا أملك الكثير من الخبرة بعد، لكنني أظن أنني سأحب العمل. تدربي على التعليم كان ممتعاً، لكن طُلب مني حينها تعليم أولاد أصغر سناً. هذا مختلف جداً، وهؤلاء الأولاد من طبقة راقية جداً. إنهم أكثر تكلفاً من أولئك الذين تدربت على تعليمهم في شيكاغو. سيبقيني هؤلاء الأولاد في حالة يقظة دائمة. أريد إبقاء صفي ممتعاً بالنسبة إليهم. فالأولاد في هذا العمر قد يكونون صعبين جداً".

قال: "يبدون خطيرين بالنسبة إليّ". وادعى أنه يرتجف خوفاً، فضحكت فيكتوريا.

دافعت عنهم: "ليسوا بهذا السوء. إنهم مجرد أولاد".

لكن، عندما التقت في اليوم التالي تلاميذ الصف الثاني الثالث مجدداً، أرادت موافقة هارلان الرأي. توقعت أن تسلّم كلتا المجموعتين الفروض المطلوبة. إلا أن أقل من نصف التلاميذ فقط أنجزوا الفرض المطلوب. وعندما أدركت الأمر، بدت فيكتوريا خائبة الأمل.

سألت بيكي أدامز: "هل من سبب معين دفعك إلى عدم إنجاز الفرض؟".

قالت بيكي وهي تهزّ كتفها: "كان لديّ الكثير من الواجبات للمواد الأخرى". وضحكت الفتاة الجالسة قربها.

"هل يجدر بي تذكيركم أن هذا الصف إلزامي؟ علاماتكم في اللغة الإنكليزية في هذا الفصل ترتبط بما تنجزونه هنا".

قالت بيكي: "نعم، لا يهم". واستدارت إلى الفتاة الأخرى لتهمس لها بشيء ما، وألقت نظرة سريعة على فيكتوريا فيما كانت تفعل ذلك، ممّا جعلها تشعر بأنهما تتحدثان عنها. حاولت استعادة رباطة جأشها، وجمعت الفروض التي تم إنجازها، وشكرت التلاميذ الذين أنجزوا الفرض.

قالت فيكتوريا بهدوء: "بالنسبة إلى التلاميذ الذين لم ينجزوا الفرض، أمامكم فرصة حتى يوم الاثنين. ومنذ الآن فصاعداً، أتوقع منكم إنجاز فروضكم في الوقت المطلوب". أرجأ ذلك الفرض الذي كانت تنوي إعطاءهم إيّاه خلال عطلة نهاية الأسبوع. إلا أن أقل من نصف التلاميذ أنجزوا الفرض.

بعد ذلك، ناقشت قوة المقال، وأعطت بعض الأمثلة، وشرحت سبب نجاحها، وأشارت إلى مكامن القوة في كل منها. وهذه المرة، تجاهلتها المجموعة بأكملها. إذ جلست فتاتان على المقعد الخلفي وهما تستمعان إلى الآيبود، فيما ضحك ثلاثة صبيان على نكتة خاصة، ومرّر عدد من الفتيات الرسائل لبعضهن، وسحبت بيكي جهاز البلاكبيري، وأرسلت بعض الرسائل النصية. شعرت فيكتوريا أنها تعرضت لصفعة ولم تعرف ماذا تفعل. إنهم أصغر منها بخمس سنوات ويتصرفون مثل أوغاد حقيقيين.

قالت أخيراً وبهدوء: "هل نواجه مشكلة هنا؟ هل لديكم انطباع بأنه لا يجدر بكم الانتباه إلى هذا الصف؟ أو حتى التصرف بتهذيب؟ هل تهتمون بعلاماتكم؟ أعرف أنكم في الصف الثانوي الثالث، وأن

علاماتكم أرسلت مع طلبات الجامعة. لكن، إذا تجاهلتم هذا الصف، فلن يكون الأمر رائعاً جداً، وقد يمنعكم من دخول الجامعة التي وقع خياركم عليها".

صرخ ولد من المقعد الخلفي: "أنت مؤقتة إلى أن تعود السيدة بيرنيني".

قالت فيكتوريا: "لن تعود السيدة بيرنيني هذه السنة. قد يكون هذا خبراً سيئاً لنا جميعاً، أو خبراً جيداً إذا قررتم الاستفادة من الأمر. يعود الأمر لكم. إذا رسبتم في هذا الصف، فسيكون هذا خياركم. يمكنكم شرح الأمر للعميد، ولأهلكم. الأمر بسيط جداً؛ إن أنجزتم العمل، حصلتم على العلامات. وإن لم تزعجوا أنفسكم بإنجاز واجباتكم، فسترسبون. أنا واثقة من أن هذا هو رأي السيدة بيرنيني أيضاً". ثم مرّت قرب بيكي، وصادرت منها جهاز البلاكبيري.

فتذمّرت بيكي بنظرة غاضبة قائلة: "لا يمكنك فعل هذا. كنت أراسل أمي".

"افعلي ذلك بعد الصف. إذا كانت هناك حالة طارئة، اذهبي إلى مكتب المدير. لا ترسلي الرسائل النصية في صفي. ينطبق الشيء نفسه عليك". قالت وهي تشير إلى فتاة في المقعد الثاني، كانت في الواقع تتبادل الرسائل النصية مع بيكي. "فلنوضح الأمور. لا أجهزة بلاكبيري، لا هواتف خلوية، لا أجهزة آيبود في صفي. وبالتأكيد لا رسائل نصية. نحن هنا لتعلم التعبير الإنكليزي". لم يتأثروا بما قالته، وفيما كانت تتحدث إليهم، رنّ الجرس فوقفوا جميعاً، ولم ينتظر منها أحد أن تصرفهم. شعرت فعلاً أنها محطمة عندما غادروا الغرفة، ووضعت الفروض التي تم تقديمها إليها في حقيبة. شعرت بعدها باكتئاب أكبر عندما جاء موعد صفها التالي للثالث الثانوي، وكان التلاميذ مزعجين بالمستوى نفسه. فقد عُرّف عنها على أنها المعلمة التي يمكن اللعب معها، والتصرف بفظاظة معها، وتجاهلها.

بدا وكأنه تم توزيع مذكرة على كل تلاميذ الصف الثانوي الثالث لإزعاجها. كادت تنفجر في البكاء عندما دخلت هيلين صفها بعدما غادر التلاميذ. كانت فيكتوريا تجمع أغراضها وبدت منزعجة.

سألتها وهي تبدو متعاطفة: "أهو يوم سيئ؟". حتى الآن، لم تعرف فيكتوريا ما إذا كانت هي وهيلين حليفتين، لكنها بدت ودودة عندما دخلت.

"ليس كثيراً". اعترفت فيكتوريا فيما رفعت حقيبتها متنهّدة.

"عليك أن تسيطري عليهم بسرعة قبل أن يتغلبوا عليك. يمكن أن يكون تلاميذ الصف الثاني الثالث مزعجين جداً إذا أفلتوا من بين يديك. تلاميذ الصف الثاني الثاني يشعرون دوماً بالتوتر، فيما تلاميذ الصف الثاني الأول مجرد أولاد صغار. تلاميذ الرابع متوسط أطفال، ويخافون كثيراً في النصف الأول من السنة، وتسهل السيطرة عليهم". أوضحت الأمر تماماً، وابتسمت فيكتوريا.

"من المؤسف جداً أن السيدة بيرنيني لا تعلم صف الرابع متوسط. ولديّ جرعة مزدوجة من الثالث الثاني مع صفين".

حذرتها هيلين: "سيتناولونك على الفطور إذا سمحتِ لهم بذلك. عليك أن تكوني صارمة. لا تكوني لطيفة جداً، ولا تحاولي أن تكوني صديقتهم؛ خصوصاً لأنك شابة. الأولاد في ماديسون قد يكونون رائعين، ومعظمهم أذكياء، لكن الكثيرين منهم مراوغون جداً، ويظنون أنهم يملكون العالم. إنهم مستعدون لمسح الأرض بك إذا لم تنتبهي، وكذلك سيفعل أهلهم. لا تستخفي بهم. ثقي بي. عليك أن تكوني قاسية". بدت هيلين جدية حين قالت ذلك.

"أظن أنك محقة. أنجز أقل من نصف التلاميذ الفرض المطلوب منهم، وجلسوا في الصف وهم يتبادلون الرسائل النصية، ويكتبون الرسائل، ويستمعون إلى الآيبود. كانوا غير مبالين البتة". عرفت هيلين أن الأمر صعب بالنسبة إلى معلمة شابة، لأنها عاشت التجربة نفسها.

قالت مجدداً: "عليك أن تكوني صارمة". ولحقت بفيكتوريا خارج صفها، وعادت مجدداً إلى صفها. "أعطيهم فروضاً كبيرة، وتحديهم، وأعطيهم علامات سيئة جداً حين لا ينجزون الفرض. اطردیهم من الصف إذا لم ينتبهوا أو لم ينجزوا العمل. احجزي أغراضهم. من شأن ذلك أن يعيدهم إلى رشدهم". أومأت فيكتوريا برأسها. كانت تكره أن تكون هكذا، لكنها رأت أن هيلين محقة. "وانسيهم خلال عطلة نهاية الأسبوع. افعلي شيئاً جميلاً لنفسك. وأول شيء تفعلينه صباح الاثنين هو فرض سيطرتك عليهم. تذكري كلماتي. عندها، سوف يجلسون منتبهين إليك".

ابتسمت لها فيكتوريا مجدداً وقالت: "شكراً. استمتعي بعطلة نهاية الأسبوع". قدّرت نصيحة هيلين، فقد جعلتها تشعر بالتحسن أكثر من قبل.

"أنتِ أيضاً!". قالت هيلين وعادت إلى صفها لإحضار أغراضها.

عادت فيكتوريا من المدرسة إلى المنزل بقلب حزين. شعرت أنها أخفقت كثيراً مع صفي الثاني الثالث، ولم تكن الأمور جيدة أيضاً مع الصفين الثاني الأول والثاني. جعلها ذلك تتساءل عن السبب الذي دفعها إلى أن تصبح معلمة. لقد كانت مثالية جداً ومفرطة في التفاؤل، ولن تفيدهم في أي شيء. كانت نهاية الأسبوع سيئة، وخافت ألا تتمكن من السيطرة عليهم مثلما اقترحت هيلين، وأن تصبح الأمور أسوأ. كانت تفكر في ذلك، وتوقفت لإحضار شيء للعشاء، وانتهى بها الأمر بشراء ثلاث شرائح من البيتزا، وثلاث علب من بوظة هاغن داس بنكهات مختلفة، وكيس من بسكويت أوريو. عرفت أن هذا ليس الحل، لكنه طعام مريح لها. عندما وصلت إلى المنزل، وضعت البيتزا في الفرن، وفتحت علبة البوظة بالشوكولاته أولاً. كانت قد تناولت أكثر من النصف عندما عادت باني من النادي الرياضي. خططت فيكتوريا للذهاب معها طوال الأسبوع لكنها لم تملك الوقت، فيما كانت تضع البرامج لصفوفها. وكانت تشعر بتعب شديد ليلاً. لم تعلق باني عندما رأتها تتناول البوظة، لكن فيكتوريا شعرت فوراً بالذنب، وأغلقت العلبة، ووضعتها في الثلاجة.

www.mlazna.com-RAYAHEEN

سألت باني بلطف: "كيف كان أسبوعك؟". رأت أن فيكتوريا تبدو منزعجة.

"كان صعباً. الأولاد مزعجون، وأنا جديدة".

"أنا آسفة. افعلي شيئاً مسلياً في عطلة نهاية الأسبوع. سيكون الطقس رائعاً. أنا ذاهبة إلى بوسطن، وبيل عند جولي، وأظن أن هارلان ذاهب إلى فاير آيلند. ستكون الشقة لك وحدك". ليست هذه أخباراً جيدة بالنسبة إلى فيكتوريا التي تشعر بالوحدة، والشوق إلى العائلة، والاكتئاب. إنها مشتاقة إلى غرايسي.

بعدما غادرت باني للحاق برحلتها إلى بوسطن، تناولت فيكتوريا البيتزا، ثم اتصلت بالمنزل للتحدث إلى غرايسي. أجابت أمها وسألتها عن حالها فقالت فيكتوريا إنها بخير، ثم أمسك والدها بالهاتف.

سألها بضحكة من القلب: "هل أنت مستعدة للتخلي عن كل شيء والعودة إلى المنزل؟". لن تعترف له، لكنها كادت تفعل ذلك. شعرت أنها عاجزة تماماً في الصف وفاشلة جداً. وما قاله لها أعادها إلى الحقيقة. لن تستسلم.

"ليس بعد، بابا". حاولت أن تبدو أكثر سعادة مما هي عليه فعلاً. ثم استلمت غرايسي الهاتف، وكادت فيكتوريا تنفجر في البكاء. إنها مشتاقة إليها فعلاً، وشعرت فجأة بالوحدة في الشقة الفارغة، وفي المدينة الجديدة من دون أصدقاء.

تحدثتا معاً لوقت طويل. أخبرتها غرايسي عما تفعله في المدرسة، وتحدثتا عن أساتذتها وصفوفها، وعن الشاب الجديد الذي تستلطفه. إنه في الصف الثاني الثاني. هناك دوماً شاب جديد في حياة غرايسي، بعكس أختها. لم تشعر فيكتوريا بهذه التعاسة منذ وقت طويل، وشعرت بالأسف على نفسها. لكنها لم تخبر غرايسي أي شيء عن الأسبوع المريع الذي عاشته. بعدما أنهتا المكالمة، أخرجت فيكتوريا علبة البوظة بالفانيلا، وفتحتها، ودخلت غرفتها، أدارت التلفاز، واستلقت على سريرها من دون

أن تبدل ملابسها. بحثت عن قناة للأفلام، وأنهت علبة البوظة وهي تشاهد فيلماً، ثم شعرت بالذنب عندما نظرت إلى علبة البوظة الفارغة قرب سريرها. لقد كان هذا عشاءها. وشعرت أن وركيها تكبران فيما استلقت هناك. انزعجت كثيراً من نفسها. ارتدت البيجاما بعد فترة وجيزة، وخلدت إلى السرير، ووضعت الأغطية فوق رأسها، ولم تستيقظ إلا في صباح اليوم التالي.

للتكفير عن ذنوبها في الليلة الفائتة، قامت بنزهة طويلة في سنترال بارك يوم السبت، وركضت قليلاً حول البركة. كان الطقس رائعاً، ولاحظت العديد من الثنائيات يتنزهون حولها، وشعرت بالحزن لعدم وجود رجل في حياتها. نظرت حولها، وشعرت أن الجميع يرون هذا، وكانت الشخص الغريب عن المحيط، ولطالما كانت كذلك. بكت وهي تركض حول سنترال بارك، ثم عادت مشياً إلى المنزل. ووعدت نفسها بألا تأكل المزيد من البوظة تلك الليلة. إنه وعد تنوي الالتزام به. وفيما جلست وحدها في الشقة الفارغة، وشاهدت فيلماً آخر، لم تتناول البوظة، بل تناولت كيس بسكويت الأوريو بدلاً من ذلك.

أمضت يوم الأحد وهي تصحح الفروض التي أنجزها بعض تلاميذ الصف الثاني الثالث. تفاجأت حين أدركت أنها جيدة ومبدعة. يملك عدد قليل من التلاميذ موهبة حقيقية، والمقالات التي كتبوها كانت ممتازة فعلاً. تأثرت وقالت ذلك عندما واجهت صفها الأول في صباح يوم الاثنين. جلسوا جميعاً على مقاعدهم بلامبالاة واضحة، وهناك دزينة على الأقل من أجهزة البلاكبيري على سطوح طاولاتهم. تجولت في الغرفة، ورفعت الأجهزة الواحد تلو الآخر، ووضعتها على مكتبها. تفاعل التلاميذ مع ذلك فوراً، وطمأنتهم بأنهم يستطيعون استعادتها بعد انتهاء الحصة. بدأت العديد من أجهزة البلاكبيري الموجودة على مكتبها تشير إلى وصول رسائل.

مدحتهم على مقالاتهم فشعروا بالسرور، ثم استلمت بقية الفروض. لقد أنجز كل التلاميذ الفروض، باستثناء اثنين منهم. إنهما شابان طويلان

ووسيمان، كانا مغرورين وساخرين عندما قالا إنهما لم ينجزا الفرض مجدداً.

سألت فيكتوريا بهدوء: "هل من مشكلة؟ هل أكل الكلب الفرض؟".

قال شاب اسمه مايك ماكداف لها: "لا. ذهبنا إلى هامبتون، ولعبت كرة المضرب طوال يوم السبت، ولعبت الغولف مع والدي يوم الأحد. وكان لديّ موعد ليلة السبت".

"أنا مسرورة من أجلك مايك. لم أذهب إلى هامبتون قطّ، لكنني سمعت أن المكان رائع هناك. أنا مسرورة لأنك أمضيت عطلة نهاية أسبوع رائعة. ستأخذ صفراً على فرضك". بعد ذلك، وجهت انتباهها إلى بقية التلاميذ، وسلمتهم نسخاً عن رواية قصيرة أرادت منهم الاطلاع عليها، فيما عبس مايك في وجهها. بدا الشاب الجالس قربه منزعجاً، وتصور أنه سيحصل على صفر هو أيضاً.

ساعدتهم من خلال مناقشة الرواية القصيرة، وأظهرت لهم سبب نجاحها. كانت قصة جيدة، وبدوا مستمتعين بها، وانتبهوا إليها أكثر هذه المرة، وشعرت بالارتياح في الصف. حتى إنّ بيكي أعطت بعض الملاحظات بشأن الرواية. وطلبت منهم فيكتوريا كتابة رواية صغيرة بمثابة فرض للمرة القادمة. توقف مايك أمام مكتبها في أثناء خروجه من الصف، وسألها بصوت أجش إن كانت ستلغي علامة الصفر التي نالها إذا أنجز الفرض الذي فوّته.

قالت بارتياح: "ليس هذه المرة مايك". وشعرت وكأنها وحش، لكنها تذكرت تحذير هيلين يوم الجمعة بعدم السماح لهم بالنيل منها في أي شيء. عليها أن تلقنهم درساً من خلال معاقبة مايك والشاب الآخر الذي لم يزعج نفسه بإنجاز الفرض الأول.

"هذا مقرف!". قال بصوت عالٍ وهو يخرج من الغرفة مسرعاً، ويغلق الباب وراءه بقوة. بدت فيكتوريا غير منزعجة، واستعدت للصف التالي الذي بدأ بعد دقائق قليلة.

كانوا أصعب من المجموعة الأولى. وثمة فتاة في الصف كانت مصممة على إهانة فيكتوريا وإذلالها. أصدرت تعليقات عدة بشأن النساء البدينات قبل أن تبدأ فيكتوريا الكلام، فزعمت هذه الأخيرة أنها لم تسمع تعليقات الفتاة. كان اسمها سالي فريتز. شعرها أحمر داكن، ويغطي النمش وجهها، وهناك وشم على شكل نجمة على يدها.

"إلى أي جامعة ذهبتِ على كل حال؟". سألت سالي فيكتوريا بفظاظة فيما بدأت هذه الأخيرة بالشّرح، وقاطعت تماماً ما كانت تقوله فيكتوريا.

"تورث ويسترن. هل تفكرين في التقدم إلى هناك؟".

قالت سالي بصوت عالٍ: "طبعاً لا. الجو بارد جداً هناك".

"نعم، صحيح، لكنني أحببته. إنها جامعة جيدة عندما تعتادين على الطقس".

"أريد التقدم إلى كاليفورنيا وتكساس".

أومأت فيكتوريا برأسها قائلة: "أنا من لوس أنجلوس. وهناك بعض الجامعات الرائعة في كاليفورنيا".

"ذهب أخي إلى ستانفورد". قالت سالي بعفوية كما لو أنهما غير موجودتين في صف، ولا تبالي إن كانتا كذلك. إنها فظة جداً. تابعت فيكتوريا الصف بعد ذلك، وتشاركت معهم الرواية نفسها التي قرأتها مع الصف الأول في ذلك الصباح. كانت هذه المجموعة أكثر حيوية وأكثر انتقاداً للرواية، مما أفضى إلى بعض المناقشات المثيرة في الغرفة. فقد انسجم التلاميذ مع الموضوع، بالرغم من نيتهم تعذيبها وإزعاجها. دفعتهم جميعاً إلى تحليل الرواية وإلى إجراء مناقشات حيوية، وكان بعضهم لا يزال يتحدث عن الرواية حين غادروا الصف، وبدت فيكتوريا مسرورة. لم تمانع تعرضها للتحدي من قبل التلاميذ، أو حتى التجادل معهم إذا كان رأيهم صائباً. فهدفها من التعليم هو جعلهم يسألون عمّا لا يعرفونه، ويفكرون في ما يعتقدونه. ولقد نجحت الرواية القصيرة التي عرضتها

عليهم في فعل ذلك. كان هذا انتصاراً لها. وتوقفت لرؤية هيلين في طريقها إلى قاعة الأساتذة لتصحيح الأوراق.

قالت بخجل: "شكراً على النصيحة التي قدّمتها لي في ذلك اليوم. لقد أجدت نفعاً".

"أتقصدين ركلهم على مؤخراتهم؟".

ضحكت فيكتوريا قائلة: "لا أظن أنني فعلت ذلك. لكنني أعطيت صفرين في صفي الأول بسبب عدم إنجاز الفرض المطلوب". كان هذا أصعب بكثير مما تصورت أنه سيكون عليه الأسبوع الثاني في المدرسة.

ابتسمت لها هيلين ابتسامة عريضة وقالت: "هذه بداية. أنا فخورة بك. سيوقظ ذلك الآخرين".

"أظن ذلك. وأنا أصادر أجهزة الآيبود والبلاكبيري عندما أراها".

أكدت هيلين: "إنهم يكرهون هذا. فهم يفضلون إرسال الرسائل النصية إلى أصدقائهم بدلاً من الإصغاء إليك أو إليّ". ضحكتا. "هل أمضيت عطلة نهاية أسبوع ممتعة؟".

"ممتعة كفاية. ذهبت إلى الحديقة العامة يوم السبت، وصححت الفروض يوم الأحد". وتناولت علبتين من البوظة، والبيتزا، وكيساً كاملاً من البسكويت. لكنها لم تقل ذلك لأنها عرفت أنه دليل على مدى إحباطها. فهي تأكل دوماً المزيد من الطعام حين تكون غير سعيدة، رغم أنها وعدت نفسها بألا تفعل ذلك. وعرفت أنها ستعود قريباً إلى المقاس أربعة عشر وستة عشر. أحضرت معها كل المقاسات الأربعة. أرادت تفادي الوصول إلى المقاس ستة عشر؛ الأمر الذي قد يحصل بسهولة وفق الوتيرة التي تأكل فيها الطعام. عرفت أن عليها الشروع في حمية غذائية مجدداً. إنها حلقة مفرغة مستمرة لا تستطيع أبداً الخروج منها. فمن دون أصدقاء، ومن دون حبيب، ومن دون حياة اجتماعية، ومع الإحساس بعدم الثقة بنفسها في وظيفتها، كانت تعرض وزنها للخطر في نيويورك، بالرغم من إصرارها على عدم فعل ذلك. إلا أن إصرارها لا يدوم أبداً. فعند أول إشارة إلى

وجود محنة، تلجأ مجدداً إلى الآيس كريم، أو كيس البسكويت، أو البيتزا. وقد فعلت كل ذلك في عطلة نهاية الأسبوع هذه، مما أدى إلى رن جرس الإنذار في رأسها لتوخي الحذر قبل أن تخرج الأمور عن السيطرة.

أحست هيلين أنها وحيدة، وبدت لها شابة جداً، وبريئة جداً، وفتاة لطيفة، فعرضت عليها: "يمكننا ربما الذهاب إلى السينما في عطلة نهاية الأسبوع المقبلة، أو حضور حفلة موسيقية في الحديقة العامة".

قالت فيكتوريا: "أحب ذلك". وبدت سعيدة. شعرت وكأنها الفتاة الجديدة في المدرسة، وكانت كذلك. فهي أصغر معلمة في المدرسة. هيلين في ضعف عمرها، لكنها أحبت فيكتوريا. رأت أنها ذكية، وعرفت هيلين أنها تحاول، وأنها تكرّس نفسها للتعليم. إنها ساذجة، لكن هيلين رأت أنها تستطيع التعلم مع الوقت. يكون التحدي كبيراً بالنسبة إلى الجميع في البداية، ولا سيما لدى تعليم أولاد كبار في السن. في الحقيقة، إنّ التلاميذ في الثانوي هم الأصعب. لكن فيكتوريا بدت وكأنها تستطيع تدبر أمرها إذا أبقت التلاميذ تحت السيطرة. سألت فيكتوريا بتفاؤل: "هل أنت ذاهبة إلى قاعة الأساتذة؟".

"لديّ صف آخر. أراك لاحقاً". أومأت فيكتوريا برأسها، ومشت في الرواق متوجهة إلى قاعة الأساتذة. كانت الغرفة مقفرة. فقد ذهب الجميع لتناول الغداء، وحاولت هي ألا تفعل ذلك. إذ سبق لها أن وضعت تفاحة في حقيبتها، وتعهدت لنفسها بالاكتفاء بها. أكلت التفاحة وهي تقرأ المقالات. ومرة أخرى، كانت المقالات جيدة جداً. هناك بعض التلاميذ الأذكياء جداً. أملت أن تكون ذكية كفاية لتعليمهم ولفت انتباههم طوال السنة، فهي تشعر بعدم الثقة بنفسها. وبعد أن واجهت الأن صفاً مليئاً بالأشخاص الحقيقيين، بدا الأمر أصعب مما توقعت، وسيكون الأمر أكثر من مجرد ضبطهم لإبقائهم في الصف. أعطتها هيلين بعض التلميحات المفيدة، وحضرت كارلا بيرنيني المنهج الدراسي قبل أن تغادر في إجازة الأمومة، لكن فيكتوريا عرفت أنّ عليها إشباع صفوفها بالحياة والحماسة

لإبقاء الأولاد مهتمين. وخافت كثيراً ألا تكون جيدة كفاية وأن تخفق. أرادت أن تكون جيدة أكثر من أي شيء آخر. لم تكن مهتمة بالراتب الضئيل لأن هذه رسالتها، وأرادت أن تكون معلمة جيدة، وأن يتذكرها الأولاد اللطفاء لسنوات طويلة. لا تعرف أبداً إذا كان في وسعها فعل ذلك، لكنها ستبذل كل جهدها. وهذه مجرد البداية. لقد بدأت السنة الدراسية للتو.

خلال الأسبوعين التاليين، سعت فيكتوريا بكدّ للفت انتباه تلاميذها. فصادرت الهواتف الخلوية وأجهزة البلاكبيري، وأعطتهم فروضاً صعبة. وفي أحد الأيام، عندما كان تلاميذ الصف الثاني الأول متململين جداً، أخذتهم في نزهة إلى المنطقة المجاورة وطلبت منهم كتابة موضوع عن ذلك. حاولت التوصل إلى كل فكرة مبدعة ممكنة، والتعرف إلى كل واحد من تلاميذها في الصفوف الأربعة. وبعد مرور شهرين بدأت تشعر بأن بعضهم يستلطفها. أجهدت نفسها كثيراً في عطلات نهاية الأسبوع وهي تبحث عن أفكار لهم، وكتب جديدة لقراءتها، ومشروعات جديدة. وفاجأتهم أحياناً باختبارات غير متوقعة. لم تكن صفوفها مملة على الإطلاق. وفي أواخر شهر نوفمبر، شعرت وكأنها قد بدأت تصل إلى مكان ما معهم وتفوز باحترامهم. لم يحبها كل التلاميذ، لكنهم باتوا على الأقل ينتبهون إليها ويستجيبون لها. وعندما صعدت على متن الطائرة للذهاب إلى المنزل في مناسبة الشكر، شعرت أنها حققت إنجازاً؛ إلى أن رأت والدها. نظر إليها بدهشة عندما لاقاها في المطار مع أمها وغرايسي، التي رمت نفسها بسرعة بين ذراعي فيكتوريا مبتسمة، فيما قبلتها أختها الكبرى.

قال وهو يبتسم ابتسامة عريضة: "يا الله! لا بد من أن البوظة لذيذة في نيويورك". وبدت أمها متألمة، ليس من تعليقه وإنما من مظهر فيكتوريا. فلقد استعادت كل الوزن الذي خسرته، في أثناء تصحيح الفروض ليلاً، وفي عطلات نهاية الأسبوع، وفي أثناء التحضير لصفوفها. كانت تعيش على الطعام الصيني الجاهز، والحصص المضاعفة من الميلك شايك. الحمية الغذائية التي أرادت الشروع بها لم تبدأ بها قطّ. تركيزها

الكلي كان على صفوفها وتلاميذها، وليس على نفسها. واستمرت بتناول كل الأطعمة غير المناسبة لتمنح نفسها الطاقة والراحة والقوة.

قالت فيكتوريا بغموض: "أظن ذلك بابا".

قالت أمها: "لمَ لا تسلقين السمك والخضار عزيزتي؟". ذهلت فيكتوريا لأنه بعد ثلاثة أشهر تقريباً من عدم رؤيتهم لها، لم يستطيعوا التفكير إلا في وزنها. نظرت إليها غرايسي وابتسمت ابتسامة عريضة. لم تكن تهتم مطلقاً بمقاس فيكتوريا، وإنما تحبها فقط. مشت الأختان – وهما تمسكان يدي بعضهما بسرور، وتشعران بالسعادة لأنهما التقتا مجدداً – نحو البساط المتحرك الذي وضعت فوقه الحقائب.

يوم الشكر، ساعدت فيكتوريا أمها على تحضير الحبش، وأحبت تمضية اليوم وتناول الطعام معهم، من دون سماع أي تعليقات سلبية من والدها. كان الطقس مشمساً ودافئاً، وجلسوا بعد ذلك في الفناء الخلفي للمنزل، وسألتها أمها عن التعليم.

"هل تحبين ذلك؟". كانت لا تزال محتارة لأن ابنتها أرادت أن تكون معلمة.

ابتسمت لأختها ابتسامة عريضة وقالت: "أحبه. وتلاميذي في الصف الثاني الأول مريعون. إنهم عبارة عن وحوش صغيرة مثلك. أصادر أجهزة الآيبود الخاصة بهم طوال الوقت، كي يستمعوا إليّ".

قالت غرايسي: "لمَ لا تطلبين منهم كتابة قصائد تصلح كأغانٍ؟ هذا ما فعلته معلمتنا، وأحببنا ذلك". فيما نظرت إليها أختها الكبرى بذهول.

"هذه فكرة لامعة!". تحرقت فيكتوريا شوقاً لتجربتها معهم. وكانت تنوي الطلب من تلاميذها في الصفين الثاني الثاني والثالث كتابة الشعر في الأسابيع التي تسبق الميلاد. لكن كتابة قصائد تصلح كأغانٍ بالنسبة إلى تلاميذ الصف الثاني الأول فكرة رائعة. "شكراً لك غرايسي".

قالت بفخر: "اسأليني أنا عن تلاميذ الصف الثاني". لأنها واحدة منهم.

www.mlazna.com-RAYAHEEN

نجح والدها في عدم التطرق إلى موضوع وزنها خلال بقية زيارتها، وقالت أمها بحذر إنه يجدر بها الذهاب إلى جمعية المفرطين في تناول الطعام؛ مما جرح فعلاً مشاعر فيكتوريا. لكن، باستثناء ذلك، كانت عطلة نهاية الأسبوع دافئة ومريحة، خصوصاً مع غرايسي. وأوصلوها جميعاً إلى المطار يوم الأحد. وكانت تنوي العودة بعد أربعة أسابيع لتمضية الميلاد معهم، ولذلك لم يكن الوداع هذه المرة مليئاً بالدموع. أرادت تمضية العطلة بكاملها معهم، لأن إجازة المدرسة ممتدة على فترة أسبوعين. وخلال رحلة العودة إلى نيويورك، فكرت مجدداً في اقتراح غرايسي بشأن الطلب من تلاميذ الصف الثانوي الأول كتابة كلمات أغانٍ.

عرضت الفكرة على الصف الثانوي الأول صباح يوم الأربعاء، فبدوا متحمسين جداً. إنه شيء يحبون فعلاً إنجازه، وبدوا لأول مرة متحمسين بشأن الفرض المنزلي. كانت حماسة تلاميذ الثانوي الثاني والثالث أقل عندما طلبت منهم كتابة الشعر، وبدأت تساعد بعضهم على كتابة المقالات لطلبات الجامعات. وشعرت أن لديها الكثير من العمل.

كلمات الأغاني التي كتبها تلاميذ الصف الثانوي الأول كانت رائعة. وأحضر أحد التلاميذ غيتاراً، وحاولوا تلحين بعض كلماته. لاقى الفرض نجاحاً كبيراً، وسألوها إذا كانوا يستطيعون تمديد المشروع حتى عطلة الميلاد فوافقت. وأعطت معظمهم علامات ممتازة على ما فعلوه. لم تعطِ يوماً هذا القدر من العلامات الممتازة. وفروض الشعر كانت جيدة أيضاً. وبحلول عطلة الميلاد، شعرت فيكتوريا أنها فازت بثقتهم، وباتوا جميعاً يتصرفون بشكل أفضل في صفها. ولاحظت هيلين ذلك أيضاً، فقد بدا التلاميذ سعداء ومتحمسين وهم يغادرون صفها.

"ماذا فعلت لهم؟ هل أعطيتهم مخدرات؟".

قالت فيكتوريا بفخر: "أخذت باقتراح أختي البالغة من العمر خمسة عشر عاماً، وطلبت من تلاميذ الصف الثانويّ الأول كتابة كلمات أغانٍ". وتأثرت هيلين بإبداعها.

"هذه عبقرية حقيقية. أتمنى لو أنني أستطيع فعل الشيء نفسه في صفي".

"سرقت الفكرة من معلمة أختي. لكنها نجحت. وكان التلاميذ الأكبر سناً يكتبون الشعر. يملك القليل منهم مواهب حقيقية".

قالت هيلين بنظرة إعجاب: "وأنت أيضاً. أنت معلمة جيدة جداً. أتمنى أن تعرفي ذلك. وأنا سعيدة لأنك تعلمت السيطرة على الصف. هذا أفضل لهم ولك. فحتى في سنهم هذه، إنهم يحتاجون إلى الحدود، والانضباط، والهيكلية".

قالت فيكتوريا بصراحة: "أنا أعمل على ذلك، لكنني أظن أحياناً أنني فاشلة فعلاً. هناك إبداع في التعليم أكبر بكثير مما ظننت قبلاً".

قالت هيلين ببراءة: "كلّنا نفشل، غير أن ذلك لا يجعلك معلمة سيئة. فأنت تستمرين بالمحاولة، وتجدين ما ينجح معك إلى أن تكسبي ثقتهم. هذا أفضل ما يمكنك فعله".

قالت بسعادة: "أحب ما أقوم به، حتى لو كانوا يدفعونني إلى الجنون أحياناً. لكنهم لم يعودوا مغرورين في الآونة الأخيرة. حتى إن أحد التلاميذ يريد الذهاب إلى نورث ويسترن لأنني قلت إنني أحب تلك الجامعة". كانت هيلين تبتسم وهي تصغي إليها. لاحظت في عيني فيكتوريا شغفها بمهنتها، مما أثّر فيها.

قالت هيلين بحنان: "أتمنى أن يكون إريك ذكياً كفاية لتوظيفك بصورة دائمة بعد عودة كارلا. سيكون مجنوناً إذا خسرك".

"أنا ممتنة لوجودي هنا. سنرى ماذا سيحصل في السنة المقبلة". عرفت أن العقود تقدم في شهري مارس وأبريل، ولا تعرف إذا كانوا سيقدمون لها عقداً. أملت ذلك، لكن ما من شيء أكيد. في الوقت الحاضر، الأمور جيدة؛ لها وللأولاد وللمدرسة. سمع إريك والكر، مدير المدرسة، أخباراً جيدة عنها من التلاميذ. وقال اثنان من الأهل إنهما يحبان فروضها، فهي تلهم الأولاد فعلاً، وتدفعهم إلى الأمام عند الضرورة، وتفكر خارج

المألوف، ولا تخاف من تجربة أمور جديدة. إنها بالضبط المعلمة التي يريدونها.

توقفت عن تناول الطعام بشراهة كبيرة بعد مناسبة الشكر. فتعليق والدها، والاقتراح الذي قدّمته أمها حول الذهاب إلى جمعية المفرطين في تناول الطعام، أبطآ شهيتها قليلاً. لم تباشر بعد في أي حمية قاسية، لكنها تنوي فعل ذلك خلال عطلة الميلاد. فكرت في الذهاب إلى *وايت واتشرز*، لكنها قالت لنفسها إنها لا تملك الوقت. وفي الوقت الحاضر، خففت من تناول البوظة والبيتزا، وباتت تشتري السلطات وصدور الدجاج المسلوقة لتتناولها في المطبخ مع الآخرين عند العودة إلى المنزل، وحرصت على تناول حصة من الفاكهة بعد الظهر. لم تطور بعد أي حياة اجتماعية، باستثناء حضور السينما بين الحين والآخر مع هيلين، لكنها استمتعت بصحبة رفاقها في الشقة. كانت ترى هارلان أكثر من أي شخص آخر، لأن بيل متواجد دوماً مع جولي، وباني تذهب إلى بوسطن في كل عطلة نهاية أسبوع تقريباً للتواجد مع صديقها، وكانت تفكر في الانتقال للعيش معه. لكن هارلان متواجد دوماً في الشقة بقدرها تقريباً. إنه عازب وغير مرتبط أيضاً. وهو يعمل بكدّ كبير مثلها. وعندما يعود إلى المنزل ليلاً، يكون مرهقاً ويفرح بالجلوس أمام شاشة التلفاز في غرفته، أو بلقائها لتناول وجبة خفيفة في المطبخ.

سألته ذات ليلة في أثناء شرب فنجان من الشاي: "إلى أين ستذهب في عطلة الميلاد؟".

"تلقيت دعوة إلى ساوث بيتش. لا أعرف إذا كنت سأذهب، فأنا لا أحب ميامي كثيراً". إنه رجل جدي يعمل بكدّ في المتحف. عرفت أنه ليس قريباً من عائلته، ولا ينوي العودة إلى الميسيسيبي لتمضية العطلة.

قالت فيكتوريا: "سأذهب إلى لوس أنجلوس لرؤية والدّي وأختي". وفكّرت أنها ليست أيضاً محط ترحيب كامل من قبل والديها. كانت منبوذة طوال حياتها. حتى إنّ حجمها قد أزعجهما وجعلها تبدو مختلفة. تفضل

أمها الموت على أن تكون بمقاسها، ولا تسمح أبداً بحصول ذلك. ولا يستطيع والدها مقاومة توجيه الملاحظات إليها، من دون أن يدرك كم هي مؤلمة لها. لم تظن يوماً أن قساوته مقصودة.

سألها هارلان، وهو يشعر بالفضول حيال عائلتها: "هل تشتاقين إليهم عند وجودك هنا؟".

"أحياناً. أنا معتادة عليهم. أشتاق خصوصاً إلى أختي الصغيرة. لطالما كانت صغيرتي". ابتسمت فيكتوريا لهارلان فيما سكب لهما فنجاناً آخر من الشاي.

"لدي أخ أكبر مني، وهو يكرهني. كان يضربني هو وأصدقاؤه طوال الوقت. لم أعرف السبب إلا عندما أصبح عمري خمسة عشر عاماً وفهمت سبب فعلهم ذلك. قبل ذلك الحين، كنت أظن أنني مختلف فقط. بعد ذلك، عرفت. غادرت المنزل عندما أصبح عمري ثمانية عشر عاماً، وجئت إلى الجامعة؛ إلى هنا. أظن أنهم ارتاحوا مثلما ارتحت أنا. أعود إلى هناك مرة واحدة كل بضع سنوات، عندما تنفد أعذاري". بدا حزيناً ووحيداً جدًّا بالنسبة إليها. إلا أن حياتها في المنزل قد تكون شبيهة بحياته لولا غرايسي.

اعترفت: "أنا الشخص الغريب في عائلتي أيضاً. فكلهم أشخاص نحيلون وذوو عيون بنيّة وشعر داكن. أنا الغريبة في العائلة. ولطالما ضايقني والدي بشأن وزني. أما أمي فتترك لي قصاصات على مكتبي بشأن حميات غذائية جديدة".

قال هارلان بحزن: "هذا حقير". بالرغم من أنه لاحظ الكميات التي تتناولها عندما تكون متعبة أو مكتئبة، ونوعية الأطعمة كذلك. رأى أنها تملك وجهاً جميلاً وساقين رائعتين، بالرغم من امتلاء جسمها عند الوسط. لكن، بالرغم من كل شيء، تبقى امرأة جميلة. وتفاجأ لأنها لا تواعد أحداً. قال: "يلحق بعض الأهل ضرراً كبيراً بأولادهم. أنا مسرور لأنني لن أنجب الأولاد أبداً. لا أريد أن أفعل بأحد ما فعلوه بي. أخي أخرق حقيقي وبليد

جدًا، وهو يعمل في مصرف. إنه متزوج، ولديه ولدان". ضحك هارلان حين قال ذلك. عمره ستة وعشرون عاماً، وهو مرتاح لما هو عليه. يأمل أن يصبح القيّم على متحف المتروبوليتان في النهاية، بالرغم من أن الراتب ليس كبيراً. لكنه متفانٍ جداً في عمله، تماماً مثل فيكتوريا المتفانية في التعليم. "هل الميلاد ممتع في لوس أنجلوس؟". سأل بتعبير حزين، وأومأت برأسها. إنه هكذا بفضل غرايسي.

"كنت أحبه عندما كانت أختي صغيرة، ولا تزال تعتقد بوجود سانتا. كنا نضع له البسكويت، والجزر والملح للرنة". ابتسم حين قالت ذلك.

سألها باهتمام: "هل لديك أي مشروع لسهرة رأس السنة؟". وهو يحاول تخيل حياتها هناك. لم تتحدث عن والديها قطّ، وإنما فقط عن أختها الصغيرة.

"ليس تماماً. أبقى عادة في المنزل مع أختي. وفي أحد الأيام، ستكون كبيرة كفاية ليكون لديها حبيب، وحينها سأبقى بمفردي".

قال: "يمكننا فعل شيء ربما إذا عدنا كلانا إلى هنا". وأحبت الفكرة. "يمكننا الذهاب إلى تايمز سكوايز ومشاهدة الكرة وهي تنزل مع كل السياح والساهرين". ضحكا حين تخيّلا ذلك.

قالت فيكتوريا: "قد أعود من لوس أنجلوس في الوقت المناسب لفعل ذلك. سأرى ماذا سيحصل هناك".

قال لها: "أرسلي إليّ رسالة نصية وأبلغيني بما تفعلينه". وأومأت برأسها، ثم وضعا الكوبين في غسالة الصحون.

تركت فيكتوريا هدايا صغيرة على سرير كل من رفاقها الثلاثة في الشقة عندما ذهبت إلى لوس أنجلوس، وأخذت هدايا لوالديها وغرايسي في حقيبتها. كانت مسرورة بالعودة إلى المنزل والتواجد مع عائلتها، وخصوصاً مع غرايسي. عندما وصلوا إلى المنزل، زينوا الشجرة جميعاً، وشربوا شراباً لذيذاً. كان الشراب لاذعاً وأحرق لسانها قليلاً، لكنها أحبته، وشعرت بدوار طفيف عندما خلدت إلى السرير. من الجيد العودة إلى

المنزل، واستلقت غرايسي على السرير قربها، وضحكتا معاً حتى خلدتا إلى النوم. بدت معنويات والديها جيدة. فقد قال والدها إنه حصل على زبون جديد مهم للشركة، وفازت أمها للتو بمسابقة بريدج. وتحمست غرايسي للعطلة ولوجود فيكتوريا معها. إنها سعيدة بوجودها هنا.

جرى كل شيء على ما يرام في عطلة الميلاد، وأحب والداها وغرايسي الهدايا. قدم لها والدها قلادة ذهبية طويلة، لأنه لا حاجة إلى القلق بشأن مقاسها حسبما قال. وقدمت لها أمها كنزة من الكشمير، وكتابين عن التمارين الرياضية وحمية غذائية جديدة. ولم يلاحظ أي منهما أنها فقدت بعض الوزن منذ مناسبة الشكر. إلا أن غرايسي لاحظت ذلك ومدحتها، بالرغم من أن هذا المديح لم يكن قوياً بقدر إهانات والديها.

بعد يومين من الميلاد، تلقت غرايسي دعوة لحضور حفلة في سهرة رأس السنة، ستقام في منزل إحدى صديقاتها في بيفرلي هيلز. لم يكن لدى فيكتوريا شيء لتفعله. فالأشخاص الذين تعرفهم يعملون جميعاً في مدن أخرى. وذهب اثنان من الذين لا يزالون يعيشون في لوس أنجلوس للتزلج. وكل ما فعلته فيكتوريا في العطلة هو تمضية الوقت مع غرايسي. عرضت عليها غرايسي البقاء معها في المنزل في سهرة رأس السنة، فقالت لها:

"لا تكوني سخيفة. يجب أن تكوني مع أصدقائك. وكنت أفكر في العودة إلى نيويورك على كل حال".

"من أجل موعد غرامي؟". نظرت إليها غرايسي باهتمام. إنه أول موعد تسمع به.

"لا. من أجل موعد مع أحد رفاقي في الشقة. لا أعرف إذا كان سيتواجد هناك، لكننا كنا نتحدث عن فعل شيء ليلة رأس السنة".

سألت غرايسي بنظرة احتيال: "هل يستلطفك؟". وضحكت فيكتوريا على السؤال.

"لا، ليس هكذا. لكنه صديق جيد، ونحن نستمتع مع بعضنا. إنه يعمل في متحف المتروبوليتان".

قالت غرايسي: "كم هذا مضجر". ونظرت إلى أختها نظرة سخط. خاب أملها لأنه لا يبدو واعداً. ولاحظت أن فيكتوريا لا تفكر فيه كحبيب.

في النهاية، غادرت فيكتوريا لوس أنجلوس صباح ليلة رأس السنة. إذ كانت غرايسي ستذهب إلى حفلة أصدقائها، وتمت دعوة والديها لتناول العشاء، مما يعني أنها ستبقى في المنزل بمفردها، ولذلك قررت العودة إلى نيويورك. عليها الاستعداد للمدرسة على كل حال. أرسلت رسالة إلى هارلان على أمل أن يعود إلى نيويورك. أوصلها والدها إلى المطار، فيما ذهبت غرايسي وأمها لتصفيف شعرهما. ودعت فيكتوريا وغرايسي بعضهما في ذلك الصباح.

سألها والدها في الطريق إلى المطار: "هل تظنين أنك ستعودين بعدما تنهين السنة في نيويورك؟".

"لا أعرف بعد بابا". لم ترغب في أن تقول له إنها لا تظن ذلك وإنها سعيدة هناك. فهي لا تملك بعد عدداً كبيراً من الأصدقاء، لكنها تحب رفاقها في الشقة، وشقتها، ومهنتها. هذه بداية.

كرر للمرة الألف: "يمكنك فعل شيء أفضل في مجال آخر".

قالت بهدوء: "أحب التعليم".

فضحك، وألقى نظرة سريعة عليها قائلاً: "أعرف على الأقل أنك لن تتضوري جوعاً". ذهلت لكونه لا يفوّت أبداً فرصة للسخرية منها أو تحطيمها. هذا جزء أساسي من سبب تواجدها في نيويورك. لم تقل له شيئاً بعد ذلك، وجلست بهدوء فيما توجها إلى مطار لوس أنجلوس. ومثلما يفعل دوماً، ساعدها على إنزال حقائبها، وأعطى الحمال بقشيشاً. ثم استدار لمعانقتها، كما لو أنه لم يصدر أي تعليق في السيارة. إنه لا يفهم أبداً ما يفعله بها.

"شكراً على كل شيء بابا".

قال لها: "اعتني بنفسك". وبدا صادقاً.

"وأنت أيضاً". عانقته، ثم توجهت إلى مركز الأمن. صعدت إلى الطائرة، وما إن فعلت ذلك حتى لاحظت أنها تلقت رسالة هاتفية من هارلان.

كتب لها: "سأكون في نيويورك عند الساعة السادسة". وسوف تصل هي عند الساعة التاسعة حسب التوقيت المحلي.

كتبت له: "سأكون في الشقة عند الساعة العاشرة".

كان جوابه: "تايمز سكوايز؟".

"حسناً".

"إنه موعد". ابتسمت وهي توقف عمل هاتفها الخلوي. إنّه شعور جميل أن تعرف أن لديها شيئاً لتقوم به ليلة رأس السنة، وأنّ هناك شخصاً لتمضية الوقت معه. تناولت الغداء في الطائرة، وشاهدت فيلماً سينمائياً، ونامت في الساعتين الأخيرتين من الرحلة. كان الثلج يتساقط عندما هبطت الطائرة في نيويورك، وجعلت ندف الثلج الصغيرة المشهد يبدو وكأنه بطاقة بريدية. تأمّلت المنظر فيما كانت متوجهة إلى المدينة في سيارة أجرة. كانت متحمسة للعودة، بالرغم من حزنها دوماً على فراق غرايسي، ووعدتها بالسماح لها بزيارتها في عطلة الربيع. وقال والداها إنهما قد يأتيان معها. أملت فيكتوريا ألا يفعلا ذلك.

كان هارلان في انتظارها في الشقة بعد أن اكتسب اسمراراً جميلاً وحديثاً من ميامي. قال إنه فرح بالعودة هو أيضاً.

"كيف هي لوس أنجلوس؟". سألها فيما دخلت الشقة.

"جيدة. استمتعت مع أختي". ابتسمت له، فيما فتح قنينة شراب وقدّم لها كأساً.

"هل تصرفوا معك جيداً؟".

"مثل المعتاد. أمضيت وقتاً جيداً مع أختي، لكنني مسرورة بالعودة".

"وأنا أيضاً". ابتسم ابتسامة عريضة وارتشف القليل من الشراب. "من الأفضل أن تتناولي جزمة الثلج للذهاب إلى تايمز سكوايز".

www.mlazna.com-RAYAHEEN

"هل ما زال المشروع قائماً؟". كان الثلج يتساقط في الخارج، لكنه ثلج خفيف يطير في الهواء قبل أن يصل إلى الأرض.

"طبعاً نعم. لن أفوّت ذلك أبداً. علينا أن نشاهد الكرة الكبيرة وهي تقع. نستطيع العودة والاستمتاع بالدفء بعد ذلك". ضحكت وأنهت كأس شرابها.

غادرا الشقة في سيارة أجرة عند الحادية عشرة والنصف، ووصلا إلى التايمز سكوار قبل عشر دقائق من منتصف الليل. ثمة حشود كبيرة تراقب كرة المرايا العملاقة، وابتسمت فيكتوريا لهارلان فيما تساقط الثلج على شعريهما وأهدابهما. بدت هذه الطريقة مثالية لتمضية الليلة. وعند حلول منتصف الليل، وقعت كرة المرايا وصاح الجميع بصوت عالٍ. وقفا هناك وهما يضحكان ويتعانقان، وقبلها على وجنتها.

قال: "كل عام وأنت بخير فيكتوريا". وابتسم بسعادة، فلقد أحب التواجد معها.

"كل عام وأنت بخير". قالت وهي تعانقه، ونظرا إلى السماء مثل ولدين صغيرين يشاهدان الثلج وهو يتساقط. بدا المكان مثل منصة مسرح، وبدت اللحظة مثالية لهما معاً. كانا شابين، وهذه ليلة رأس السنة في نيويورك. لم يحدث شيء أفضل من هذا، لغاية الآن على الأقل. وقفا هناك حتى غطى الثلج معطفيهما وشعرهما، ثم تجولا قليلاً حول تايمز سكوار بين الأشخاص والأضواء الساطعة، واستأجرا سيارة للعودة إلى المنزل. كانت أمسية رائعة لهما معاً.

الفصل 11

شعر تلاميذ فيكتوريا في الصف الثانوي الثالث بالتوتر في شهر يناير. إذ كان لديهم أسبوعان فقط بعد العطلة للانتهاء من طلبات الجامعات، لكن العديد منهم لم ينجزوها بعد، ويحتاجون إلى المساعدة. لذا، بقيت فيكتوريا بعد دوام المدرسة كل يوم لتقديم النصائح لهم، وشعروا بالامتنان لنصائحها وإرشاداتها الممتازة. جعلها ذلك أقرب إلى التلاميذ الذين عملت معهم، وتحدث بعضهم عن آمالهم ومشروعاتهم، وعائلاتهم، وحياتهم في المنزل، وأحلامهم. حتى إنّ بيكي أدامز طلبت المساعدة، وكذلك فعل عدد من الصبيان. اعترف البعض منهم بأنهم بحاجة إلى منح دراسية، لكن معظم الأولاد في ماديسون لا يقلقون بشأن المال. شعروا جميعاً بالارتياح عندما أنهوا طلباتهم وأرسلوها عبر البريد. لن يسمعوا الأجوبة قبل شهر أبريل، وكل ما عليهم فعله الآن هو إنهاء السنة الدراسية من دون الوقوع في مشكلة.

في آخر يومين من شهر يناير، شاركت فيكتوريا في مؤتمر حول التربية في مركز جافيس مع عدد من الأساتذة الآخرين. كان هناك عدد من الهيئات التي يمكن الانضمام إليها، والمناقشات الجماعية، والمحاضرات التي ألقاها أساتذة مشهورون. وجدت الأمر ممتعاً جداً، وشعرت بالامتنان لأن المدرسة سمحت لها بالمشاركة. كانت خارجة للتو من محاضرة حول إشارات التحذير لقابلية الانتحار عند المراهقين وكيفيّة تعرّف هذه الإشارات باكراً، ألقاها طبيب نفسي متخصص في الأولاد، عندما ارتطمت برجل لم يكن ينظر أمامه وكاد أن يوقعها أرضاً. اعتذر منها بشدة

وساعدها على جمع أغراضها التي أوقعها من يدها، وعندما وقف، ذهلت بمدى وسامته.

قال بمرح مع ابتسامة ساحرة: "عذراً. لم أقصد أن أوقعك أرضاً". يصعب عدم التحديق إليه، ولاحظت أنّ العديد من النساء ينظرن إليه أيضاً. قال بابتسامة ودودة: "كانت محاضرة رائعة، أليس كذلك؟". فتحت المحاضرة آفاقاً جديدة من التفكير أمامها. فهي لم تظن يوماً أن أحد تلاميذها قد يفكر في الانتحار، أو أنه قد يعاني سراً من المشاكل، لكنها أدركت الآن أنه خطر حقيقي.

وافقته الرأي: "نعم، هذا صحيح".

"أنا أعلم الصف الثاني الثاني والثالث، ويبدو تلاميذ هذين الصفين الأكثر عرضة للخطر".

"وأنا أيضاً". قالت ذلك فيما كانا متوجهين معاً نحو بوفيه أقيم لهم خلال الاستراحات. إنها محاضرة مذهلة لغاية الآن.

"أين تدرّسين؟". بدا مرتاحاً تماماً في التحدث إليها، وأراد متابعة الحديث فيما توقفا أمام البوفيه.

قالت بفخر، وهي تبتسم له: "مدرسة ماديسون".

"سمعت بها. أولاد متكلفون، أليس كذلك؟ أنا أعلم في مدرسة رسمية. هذا عالم آخر تماماً".

تحدثا إلى بعضهما لبضع دقائق، وعرّفها إلى امرأة انضمت إليهما وتدعى أريدث لوكاس، ثم دعا فيكتوريا للجلوس إلى طاولة معهما. كان الجميع يبحثون عن مقاعد ليرتاحوا قليلاً قبل الانتقال إلى المحاضرة التالية. وكان هناك عدد من الطاولات الموزعة في أرجاء الغرفة مع كتيبات مجانية وكتب للبيع. كان يحمل كيساً ممتلئاً، وأخذت فيكتوريا كدسة من الكتيبات التي تهمها، والتي أوقعتها أرضاً وساعدها على جمعها. قال إن اسمه جون كيلي، وبدا أكبر منها ببضع سنوات. أمّا أريديث فكانت أكبر سناً، وتتحرق شوقاً للتقاعد. قالت إنها أمضت عمرها

في التعليم طوال أربعين عاماً وتتوق لتصبح حرة. أما فيكتوريا وجون فقد بدآ للتو.

تحدثوا هم الثلاثة خلال الغداء. كان جون وسيماً على نحو مذهل، ولطيفاً جداً، وذكياً جداً. وبعد الغداء، دوّن لها رقم هاتفه وعنوان بريده الإلكتروني، وقال إنه يحب لقاءها مجدّداً. لم تشعر أنه يطلب موعداً غرامياً، وإنما أراد أن يكونا صديقين. أعطته رقم هاتفها وعنوانها البريدي هي أيضاً. لم تكن تعرف إن كانت ستسمع أخباره مجدداً، فنسيت أمره، وتفاجأت بعد أسبوع عندما اتصل بها ودعاها لتناول الغداء يوم السبت.

كان ثمة معرض جديد حول الفن الانطباعي في متحف المتروبوليتان، وأرادا حضوره. التقته في الردهة، وذهبا معاً إلى المعرض، واستمتعا به، ثم ذهبا إلى المقهى لتناول الغداء. إنها تمضي وقتاً ممتعاً معه، وذكرت له أن أحد رفاقها في الشقة يعمل في معهد الأزياء ويحضر لمعرض جديد في ذلك اليوم. بعد الغداء، قررا الذهاب لرؤية هارلان الذي بدا متفاجئاً لدى رؤيته فيكتوريا، وتأثر بصديقها الجديد. تستحيل عدم ملاحظة وسامة جون، وجسمه الرياضي، وعندما رأتهما ينظران إلى بعضهما تبادر إلى ذهنها أمر ما. لقد انجذب الرجلان إلى بعضهما مثل مغنطيسين. أخذهما هارلان في جولة خاصة في معهد الأزياء، وعندما غادرا، بدا جون وكأنه كره المغادرة. وفيما نزلا درج المتحف، قال إن هارلان شاب مذهل، ووافقته فيكتوريا الرأي. وأحبت فكرة تعريفهما إلى بعضهما. وعلى الفور، قررت دعوة جون لتناول العشاء في الشقة ليلة الأحد. بدا سعيداً جداً ووافق مباشرة، ثم استقل الحافلة إلى وسط المدينة حيث يعيش، وعادت فيكتوريا إلى المنزل سيراً على الأقدام.

لم يعد هارلان إلى المنزل إلا عند الساعة الثامنة مساء من تلك الليلة، أي بعد الانتهاء من التحضير للمعرض، ودخل غرفتها ما إن وصل. وكانت تستلقي على سريرها وتشاهد التلفاز.

"من هذا الرجل الرائع الذي أحضرته إلى معهد الأزياء اليوم؟ كاد يغمى عليّ حين دخلتما. كيف تعرفت إليه؟".

ضحكت فيكتوريا على مظهره وأجابت: "التقيته خلال مؤتمر للأساتذة في الأسبوع الماضي. كاد يوقعني أرضاً".

"كم أنت محظوظة! يبدو رجلاً رائعاً فعلاً".

قالت وهي تبتسم لهارلان: "نعم، أظن ذلك".

"لماذا دعاك للخروج معه إذاً؟". بدا هارلان مشككاً.

"لنكون صديقين برأيي. صدقني". لا يفعل الرجال ذلك أبداً، حسب خبرتها الشخصية على الأقل. "وبالمناسبة، دعوته لتناول العشاء غداً". ضحكت بصوت عالٍ حين شاهدت رد فعل هارلان، والنظرة التي ارتسمت على وجهه. إذ بدا وكأنها أخبرته للتو أنه فاز بالجائزة الكبرى في اليانصيب.

"هل سيأتي؟".

"نعم. ومن الأفضل أن تحضر أنت العشاء. فإذا فعلت أنا ذلك، فسنتسمم جميعاً، إلا إذا طلبنا البيتزا الجاهزة".

"أود ذلك". قال هارلان بسعادة، وعاد إلى غرفته وهو يبدو وكأنه طافٍ على غيمة. لم يرَ أي شخص بوسامة جون من قبل قطّ. وكان هارلان رجلاً وسيماً أيضاً. تساءلت إذا كان الحس الباطني لديها هو ما دفعها إلى تعريفهما إلى بعضهما. كانت فكرة عفوية لكنها تبدو الآن مثل إلهام كبير لها، ولهارلان أيضاً.

كان هارلان طاهياً محترفاً جداً، وأمضى كل اليوم التالي في المطبخ، بعد شراء فخذ غنم، وبطاطا، ولوبياء، وكيك بالشوكولاته من مخبز مجاور. وبحلول موعد العشاء، كانت الروائح المنبعثة من المطبخ لذيذة. وصل جون كيلي في الوقت المحدّد. وأحضر معه باقة صغيرة من الأزهار وقنينة من الشراب الأحمر. قدّم الأزهار إلى فيكتوريا، وأعطى هارلان الشراب، ففتح القنينة وسكب كأساً لكل منهم، ثم ذهبوا للجلوس في غرفة

الجلوس. انسجم الرجلان مع بعضهما كثيراً، ولم يتوقفا عن التحدث إلا بحلول موعد العشاء، الذي كان بعد ساعة. وكان هارلان قد حضّر المائدة بشكل جميل مع شراشف من الكتان وشموع على الطاولة في غرفة الجلوس. في نهاية العشاء، قالت إنه يجدر بها تصحيح أوراق المدرسة، وأغلقت الباب بهدوء بعدما أخبرت هارلان أنها ستساعده على غسل الأطباق لاحقاً، وشغلت جهاز التلفاز واستلقت على سريرها. كانت تغط في النوم عندما طرق جون على بابها ليودّعها ويشكرها. وعندما سمعت الباب الأمامي ينغلق، خرجت إلى المطبخ لمساعدة هارلان على التنظيف.

سألته فيكتوريا بابتسامة: "إذاً، كيف جرت الأمور؟".

قال هارلان وهو يبتسم ابتسامة عريضة: "واو! إنه أروع رجل رأيته في حياتي. عمره ثمانية وعشرون عاماً، وبدا مهذباً جداً ومسؤولاً".

قالت بحنان: "وأنت أيضاً".

"لم أشعر هكذا حيال نفسي قطّ. لطالما شعرت أن الجميع أفضل مني، وأكثر ذكاء، ولطفاً، ووسامة، وروعة". بدا متوتراً حين قال ذلك.

"وأنا أيضاً". قالت بحزن. كانت تعرف هذا الشعور، وتعرف لماذا يراودها. إنه ناجم عن سنوات طويلة من قول والديها لها إنها غير كفوءة، واستمرار والدها بالقول لها إنها بدينة وبشعة. حطّم ذلك ثقتها بنفسها وتقديرها لنفسها منذ الولادة. وفي أعماق نفسها، لطالما اعتقدت أنه محق.

قال هارلان بهدوء: "أظن أن أهلنا يفعلون هذا بنا باكراً. لا أظن أنه أمضى وقتاً سهلاً هو أيضاً، فقد انتحرت أمه عندما كان ولداً صغيراً". شكرها كثيراً مجدداً، ثم أطفأ الأنوار وذهب كل منهما إلى غرفته. كان العشاء لذيذاً والسهرة جميلة. وفرحت بالتحدث إلى كلا الرجلين، ولكن ليس بقدر ما فرح الرجلان بالتحدث إلى بعضهما.

غادرت باكراً في صباح اليوم التالي، ولم ترَ هارلان في ذلك اليوم، أو في اليوم التالي. كان يوم الأربعاء عندما صادفته في المطبخ بعد

عودتهما من العمل. خافت أن تسأله إن كان قد رأى جون، لكنه سارع إلى إعطائها المعلومات.

قال وهو يبتسم: "تناولت العشاء مع جون في الليلة الماضية".

"كيف كان؟".

"مذهلاً".

التقت جون مجدداً في المطبخ في عطلة نهاية الأسبوع. كان يطهو العشاء مع هارلان، وأحضر معه مقلاته وقرر تركها في مطبخهم. دَعَوا فيكتوريا لتناول العشاء معهما، لكنها قالت إن لديها مشروعات أخرى، وذهبت لمشاهدة فيلم في السينما بمفردها. وعندما عادت كانا خارج المنزل. لم تعرف إلى أين ذهبا. ابتسمت لنفسها عندما فكّرت في الأمر وذهبت إلى غرفتها. وكما هي العادة في عطلات نهاية الأسبوع، كان الجميع خارج الشقة. ذكّرها ذلك بأنها لا تملك صديقاً منذ أن جاءت إلى نيويورك. إذ لم يسألها أحد الخروج معه منذ الصيف الماضي في لوس أنجلوس، أي قبل ستة أشهر على الأقل.

وهي لم تذهب إلى أي مكان يحتمل أن تلتقي فيه رجالاً، باستثناء مؤتمر الأساتذة حيث التقت جون. وباستثناء ذلك، لم تكن تذهب إلى نادٍ رياضي، أو تنتمي إلى نادٍ اجتماعي، أو تذهب إلى الملاهي. ولا يوجد أساتذة عازبون وفي عمر ملائم لها في مدرستها. لم يعرّفها أحد إلى أي كان، ولم تتعرف إلى أحد من تلقاء نفسها. رأت أنّ الأمر سيكون رائعاً لو فعلت ذلك. لكن، لغاية الآن لا يوجد لديها إلا عملها ليملأ حياتها. وهذه المرة، كان دور هارلان، وجون. إنها سعيدة من أجلهما. وعرفت أنها ستلتقي شخصاً ما عاجلاً أم آجلاً. فهي في الثانية والعشرين من عمرها، ومن المستبعد أن تبقى وحدها لبقية حياتها، مهما رأى والدها أن وزنها زائد. تذكرت قول جدتها الغريب؛ وهو أنّ هناك غطاء لكل طنجرة. أملت أن يكون هارلان قد عثر على غطائه. وتأمل أن تعثر يوماً ما على غطائها.

الفصل 12

في شهر مارس، جاء والداها وغرايسي لزيارتها في نيويورك خلال عطلة الربيع. مكثوا لمدة أسبوع، وفرحت الأختان كثيراً بلقائهما بعضهما، فيما زار والداها الأصدقاء وأبقيا نفسيهما مشغولين. وفي مرات عدة، تناولوا العشاء مع بعضهم. اختارت فيكتوريا المطاعم من دليل أعطاها إيّاه شخص ما، واستمتعوا جميعاً مع بعضهم. وأحبت غرايسي التواجد في نيويورك معها، ومكثت في الشقة مع فيكتوريا، فيما نزل والداها في فندق كارليل، القريب جداً من المدرسة حيث تعلّم. كانت عطلة الربيع في المدرسة قد بدأت أيضاً، وبالتالي لديها الكثير من الوقت لتمضيه معهم. جاءَ والداها إلى شقتها مرات عدة، والتقيا رفاقها في الشقة. أحب والدها بيل، ورأى أن باني جميلة، لكنه لم يتحمس لهارلان.

عندما غادروا، بانت غرايسي مقتنعة بأنها تريد الانتقال إلى نيويورك أيضاً، والذهاب إلى الجامعة هناك إذا تم قبولها. لم تكن علاماتها مهمة بقدر علامات أختها، وشكّت فيكتوريا في أن يتم قبولها في جامعة نيويورك أو بارنار. وبالرغم من ذلك، هناك العديد من الجامعات الأخرى الرائعة في نيويورك. حزنت فيكتوريا لرؤيتها تغادر في نهاية الأسبوع الذي كان ممتعاً لهما معاً.

بعد مرور أسبوعين على مجيئهم، استدعاها إريك والكر إلى مكتبه، وشعرت وكأنها فتاة صغيرة ارتكبت خطأ ما. تساءلت إن كان أحدهم قد تقدّم بشكوى ضدها، أو إن كان أحد الأهالي قد تذمّر. عرفت أن العديد من الأهالي يرون أنها تعطي الكثير من الفروض المنزلية، لذا ربما استدعاها

للتفاوض معها. إنها غير مستعدة للتفاوض في هذا السياق. يجدر بتلاميذها إنجاز الفروض التي تطلبها منهم. لقد علّمتها هيلين شيئاً مهماً، وبات شعارها كوني صارمة. لم تكن فيكتوريا قاسية بقدر هيلين، لكنها جعلت تلاميذها يحترمون النظام، وباتوا يحترمونها بسبب ذلك خلال الأشهر الستة الماضية. لم تعد لديها أي مشاكل مع أي منهم في الصف، بفضل نصيحة هيلين الجيدة.

سألها مدير المدرسة بتعبير لطيف: "كيف تجري الصفوف برأيك فيكتوريا؟". لم يكن غاضباً أو منزعجاً، ولم تستطع أن تتخيل سبب وجودها في مكتبه. إنه يمهد للأمور ربما. ستنتهي السنة الدراسية قريباً، وسينتهي عملها في ماديسون في شهر يونيو.

قالت: "أظن أنها على ما يرام". إنّها تعتقد ذلك فعلاً، وأملت أن تكون محقة، فهي لا تريد أن تنتهي فترة عملها هنا بأمر مخزٍ. عرفت أنه إن لم يجددوا العقد معها للسنة المقبلة، فسيتوجب عليها البحث عن مدرسة جديدة قريباً. لكنها استاءت من ترك الوظيفة التي تشغلها. ماديسون هي المدرسة التي تحبها، ولقد أحبت مدى ذكاء التلاميذ، وستشتاق إليهم جميعاً.

تابع المدير القول: "مثلما تعرفين، ستعود كارلا بيرنيني إلى المدرسة في الخريف. نحن سعداء جداً بعودتها، لكنك أنجزت عملاً رائعاً فيكتوريا. كل الأولاد يحبونك، ويحبون صفوفك كثيراً". أخبرها أيضاً عن رأي الأهل الجيد فيها، بالرغم من مخاوفهم من الفروض المنزلية الكثيرة. "في الواقع، طلبت منك الحضور اليوم لأننا قررنا تغيير خططنا. سوف يأخذ فريد فورساتش استراحة في السنة المقبلة. فهو يريد أن يتلقى دروساً في أوكسفورد، وأن يمضي بعض الوقت في أوروبا. وبطبيعة الحال، نحتاج إلى أحد ليحلّ مكانه. إنه أستاذ اللغة الإسبانية. إلا أن ميغ فيليبس تملك اختصاصين وترغب في استلام صفوفه، ما يجعلنا نعاني نقصاً في أساتذة قسم اللغة الإنكليزية. إنها تعلم الصف الثانوي الثالث فقط، مثلما تعلمين، وسمعت أنك تملكين موهبة رائعة معهم، وتساءلت إن كنت ترغبين في أن

تحلي مكانها في السنة المقبلة، إلى أن يعود فريد. يعني هذا أنه يمكنك البقاء لسنة أخرى، ومن يعرف بعد ذلك؟ ما رأيك في هذا؟". اتسعت عيناها وهي تصغي إليه، وكان هذا أفضل خبر لها منذ حصولها على الوظيفة قبل عام. كانت متحمسة.

"آه! هل تمزح؟! أود ذلك. هل أنت جدي؟". بدت وكأنها واحدة من تلاميذها، فضحك.

"لا، إنني لا أمزح. نعم، أنا جدي، ونعم أنا أعرض عليك وظيفة للسنة المقبلة". كان مسروراً لحماستها الكبيرة. هذا هو بالضبط ما أمل سماعه. تحدثا معاً لبضع دقائق إضافية، ثم عادت إلى قاعة الأساتذة، وأخبرت الجميع هناك بالأمر.

شكرت أستاذ اللغة الإسبانية كثيراً عندما رأته في وقت لاحق من بعد الظهر، فضحك عندما رأى مدى سعادتها. وكان مسروراً أيضاً لذهابه إلى أوروبا لسنة كاملة. إنه أمر أراد فعله منذ زمن بعيد.

كانت فيكتوريا تطير فرحاً في أثناء عودتها إلى المنزل، وأخبرت رفاقها في الشقة عن الأمر عندما وصلت، فهتفوا جميعاً. وعندما اتصلت بوالديها في تلك الليلة لإبلاغهما الخبر، كان رد فعلهما مثلما توقعته نوعاً ما، لكنها أرادت إخبارهما على كل حال. إذ كانت لا تزال تشعر بأنها مجبرة على إبلاغهما بما يجري في حياتها، بالرغم من ردود أفعالهما المخيبة للأمل. ولم يكن الوضع مختلفاً هذه المرة.

قال والدها: "أنت تؤجلين الحصول على وظيفة حقيقية، فيكتوريا. لا يمكنك العيش بهذا الراتب إلى الأبد". لكنها في الواقع كانت تعيش به. لم تطلب منه المساعدة قطّ منذ أن غادرت المنزل. كانت تنتبه جداً إلى ما تنفقه، ولا يزال لديها بعض المدخرات. فالإيجار الذي تدفعه أبقى ميزانيتها في حالة جيدة في معظم الوقت.

"إنها مهنة حقيقية بابا. أنا أحب مهنتي والأولاد والمدرسة". قالت بإصرار، لكنها أدركت أنه من غير المجدي إقناعه.

www.mlazna.com-RAYAHEEN

"يمكنك جني ثلاثة أو أربعة أضعاف ما يدفعونه لك، في أي وكالة إعلانات هنا، أو في أي شركة أخرى توظفك". بدا غير موافق، ولم يتأثر بفكرة أنّ أفضل مدرسة خاصة في نيويورك قد عرضت عليها توظيفها لسنة جديدة وأنها مسرورة من أدائها.

قالت فيكتوريا، وهي تبدو خائبة الأمل: "لا يتعلق الأمر بالمال. أنا جيدة في ما أفعله".

"يمكن لأي كان أن يعلّم فيكتوريا. كل ما تفعلينه هو حضانة أولئك الأولاد الأغنياء". بعبارة واحدة، قضى على قدراتها ومهنتها. وهي تعرف أن ما قاله ليس صحيحاً. لا يستطيع أي كان أن يعلّم. إنها مهارة محددة جداً، وهي موهوبة في ذلك. لا يستطيع أي كان أن يفعل ما فعلته. لكن هذا لا يعني أي شيء على الإطلاق بالنسبة إلى والديها. لم تتحدث إلى أمها لأنها كانت تلعب البريدج، لكن فيكتوريا عرفت أنها لن تتأثر. فهي لا تتأثر أبداً، وتأخذ تلميحاتها من زوجها. إنها تردد كل رأي من آرائه، في كل الموضوعات. ألح عليها بالقول: "أريدك أن تفكري ملياً قبل أن توقعي العقد". تنهّدت فيكتوريا بقوة ثم قالت:

"لقد فكرت ملياً. هذا ما أريده، وأريد أن أعيش هنا".

قال: "ستنزعج أختك كثيراً لأنك لن تعودي إلى المنزل". وحاول أن يلعب البطاقة الرابحة، إلا أن فيكتوريا كانت قد حذرتها خلال عطلة الربيع من أنها قد تبقى سنة أخرى إذا أتيحت لها الفرصة، وتفهمت غرايسي الأمر. عرفت أيضاً سبب تعاسة فيكتوريا في المنزل. فوالداها لا يفوتان فرصة لجعلها تشعر بالسوء. شعرت غرايسي دوماً بالذنب لأنهما لطيفان جداً معها، وليسا كذلك أبداً مع ابنتهما الكبرى. لقد راقبت غرايسي ذلك طوال حياتها. ولا عجب في أن تظن أنه تم تبني فيكتوريا عندما كانتا أصغر سناً. يصعب التصديق أنهما يمكن أن يكونا انتقاديين وغير ودودين مع ابنتهما، لكن هذه هي الحقيقة. ما من شيء تفعله يؤثر فيهما، أو يكون جيداً كفاية، وليس هذا مختلفاً. كان والدها منزعجاً، وغير فخور بها.

وكالمعتاد، وحدها غرايسي فرحت من أجلها ومعها عندما اتصلت بها لتخبرها عن الوظيفة.

تناولت العشاء مع جون وهارلان في تلك الليلة، وأخبرتهما عن رد فعل والدها، وقالت إن الأمر ليس جديداً.

قال جون بهدوء: "يجدر بك الذهاب إلى طبيب نفسي والتحدث عن الموضوع". فبدت فيكتوريا مصدومة. فهي لا تملك أي مشاكل نفسية، ولا تعاني الاكتئاب، ولطالما نجحت في معالجة مشاكلها وحدها.

قالت: "لا أظن أنني أحتاج إلى ذلك. أنا بخير". وبدت مذعورة ومتألمة قليلاً.

قال جون، وقد صدقها: "طبعاً عزيزتي. لكن مثل هؤلاء الأشخاص قد يكونون مؤذين لنا جداً في حياتنا، ولاسيما أهلنا. إذا كانوا يقولون لك مثل هذه الأمور طوال حياتك، فإنك تدينين لنفسك بالتخلص من الرسائل التي تركوها في دماغك وقلبك. فهي قد تعرقلك وتؤذيك على المدى الطويل". وكانت قد أخبرت هارلان سابقاً أنه تمت تسميتها تيمناً بالملكة فيكتوريا، وسبب ذلك، لذا وافق جون الرأي وقال: "قد تجدين الأمر مفيداً جداً". وكانا مقتنعين أيضاً بأنّ مشكلة وزنها تعزى إلى تحطيمات والدها المستمرة. بدا الأمر جلياً بالنسبة إليهما. ولا تبدو أمها أفضل حالاً حسبما قالته فيكتوريا عنها. لم يحب هارلان القصص التي أخبرتها عن والديها وعن طفولتها، والإساءة العاطفية التي تحملتها طوال أعوام. فهما لم يسيئا إليها جسدياً، وإنما بالكلمات.

"سأفكر في الأمر". قالت بهدوء، ونسيت الموضوع بأسرع ما يمكن. فقد كانت فكرة الذهاب إلى معالج نفسي مزعجة فعلاً بالنسبة إليها. ولم يتفاجأ أي منهما حين تناولت وعاء من الآيس كريم بعد العشاء، من دون تفكير، بالرغم من أن أياً منهما لم يتناول الحلوى بعد العشاء. لم يصرّ أي منهما بشأن الطبيب النفسي، ولم يتطرق هارلان إلى الموضوع مجدداً.

قبل الصيف، تدبرت فيكتوريا أمر الحصول على وظيفة صيفية لشهري يونيو ويوليو كي لا تضطر إلى العودة إلى المنزل. فقد حصلت على وظيفة مقابل راتب ضئيل جداً لتعليم الأولاد المشردين في مأوى حيث يعيشون ريثما يتم نقلهم إلى منازل للرعاية. شعر هارلان بالاكتئاب عندما أخبرته بذلك لكنها كانت متحمسة للأمر. بدأت العمل هناك في اليوم التالي لإغلاق مدرسة ماديسون أبوابها في فصل الصيف.

حصلت غرايسي على وظيفة صيفية في ذلك العام أيضاً. إنها أول وظيفة لها، في عمر السادسة عشرة، وعملت في مكتب الاستقبال في نادي السباحة والتنس الذي تنتمي إليه. كانت متحمسة كثيراً، وبدا والداها مسرورين. فقد اعتبرا وظيفة فيكتوريا كريهة، وطلبت منها أمها غسل يديها كثيراً كي لا تلتقط مرضاً من الأولاد الذين تعلمهم. شكرتها على النصيحة، وانزعجت لأن الوظيفة التي ستؤديها لم تؤثر فيهما، تماماً مثل عملها كأستاذة، لكن عمل غرايسي في مكتب الاستقبال في نادي التنس كان سبباً للاحتفال والمديح اللامتناهي. لم تغضب من غرايسي، وإنما منهما فقط.

وكانت غرايسي تنوي زيارة فيكتوريا في نيويورك قبل أن تبدأ العمل.

هذه المرة، جاءت غرايسي بمفردها من دون والديها، واستمتعتا أكثر مما فعلتا خلال شهر مارس. أبقت غرايسي نفسها مشغولة خلال النهار، فذهبت إلى المعارض والمتاحف، وتسوقت، واصطحبتها فيكتوريا إلى دور السينما والمطاعم ليلاً، حتى إنهما ذهبتا لحضور مسرحية في برودواي.

كالعادة، كانت فيكتوريا تنوي الذهاب إلى المنزل في شهر أغسطس. وهي أطول فترة تمضيها معهم كل سنة. لكنها هذه المرة تنوي البقاء لمدة أسبوعين فقط، وهذا أكثر من كافٍ بالنسبة إليها. عند وصولها إلى هناك، انتقدها والدها باستمرار بشأن وظيفتها، وتذمرت أمها باستمرار من وزنها الذي ازداد بعد انخفاض بسيط في الربيع. قبل أن

تغادر نيويورك، اعتمدت فيكتوريا حمية الملفوف الغذائية التي ساعدتها على التخلص من الوزن. كانت الحمية مزعجة جداً لكنها نجحت. غير أنها بعد فترة وجيزة استعادت كل الوزن مجدداً. إنها معركة لن تفوز فيها على ما يبدو. الأمر محبط.

عندما عادت إلى نيويورك، كانت محطمة الفؤاد بسبب الأشياء التي قالها لها والداها، والوزن الذي استعادته، وفكرت في اقتراح هارلان وجون في الذهاب إلى طبيب نفسي. وفي أحد الأيام، مباشرة قبل بدء المدرسة كانت في مزاج سيئ، فاتصلت باسم طبيبة أعطاها إيّاه. إنها امرأة التقاها، وقال إن صديقاً له ذهب إليها وأحبها كثيراً. قبل أن تغير فيكتوريا رأيها، اتصلت وأخذت موعداً للأسبوع المقبل. لكنها شعرت بالخوف الشديد ما إن فعلت ذلك. فقد بدا لها الأمر جنوناً، وفكرت في إلغاء الموعد، لكنها لم تملك الشجاعة لفعل ذلك أيضاً. شعرت أنها عالقة. تناولت نصف قالب تشيزكيك في المطبخ في الليلة التي سبقت الموعد. ماذا لو اكتشفت المرأة أنها مجنونة، أو أن والديها محقّان بشأنها، وأنها إنسانة فاشلة جداً؟ ما منعها من إلغاء الموعد هو الأمل بأن يكونا مخطئين.

عندما ذهبت فيكتوريا إلى الموعد مع الطبيبة النفسية، كانت ترتجف فعلاً، وشعرت بانقباض في معدتها طوال اليوم. لم تتذكر سبب أخذها الموعد، وتمنت لو أنها لم تفعل ذلك، وكان فمها جافاً جداً عندما جلست بحيث شعرت بأن لسانها معلق بسقف حلقها.

بدت الدكتورة واتسون حساسة ولطيفة. إنها في بداية العقد الرابع من عمرها، وترتدي بذلة كحلية جميلة. كانت قد سرّحت شعرها بطريقة جيّدة، كما وضعت على وجهها مستحضرات التجميل، وبدت أكثر أناقة مما توقعت فيكتوريا، وكشفت عن ابتسامة دافئة بدت في عينيها. سألت فيكتوريا عن بعض التفاصيل بشأن المكان الذي ترعرعت فيه، وعن المدرسة والجامعة اللتين ذهبت إليهما، وعن عدد إخوتها، وإذا كان والداها متزوجين أو مطلقين. إنها أسئلة تسهل الإجابة عنها، خصوصاً السؤال

المتعلق بغرايسي. أشرق وجه فيكتوريا مثل المصباح الضوئي عندما أجابت عن السؤال المتعلق بالإخوة، ووصفتها وقالت إنها جميلة جدًا. أخبرت الطبيبة حينها كم تبدو مختلفة عنهم جميعاً، وكيف أنها ظنت يوماً أنها ابنة بالتبني، وظنت أختها الشيء نفسه أيضاً.

"ما الذي يجعلك تفكرين في شيء كهذا؟". سألتها الطبيبة بعفوية وهي تجلس قبالتها على كرسيّ مريح. لا توجد أريكة في مكتبها، وإنما فقط علبة مناديل ورقية، بدت عصلاقة جداً بالنسبة إلى فيكتوريا، وجعلتها تتساءل إن كان الناس يبكون غالباً في أثناء وجودهم هنا.

شرحت فيكتوريا: "لطالما كنت مختلفة عنهم جميعاً. لا أبدو مثلهم في أي شيء. يملكون جميعاً شعراً داكناً، فيما شعري فاتح اللون. يملك والداي وأختي عيوناً بنية، فيما عيناي زرقاوان. أنا إنسانة بدينة، فيما هم نحيلون. لا يزداد وزني بسهولة فقط، وإنما أتناول أيضاً الطعام بإفراط عندما أكون منزعجة. لطالما كانت لديّ مشكلة مع... مع وزني. حتى أنوفنا لا تتشابه، لكنني أبدو مثل جدة والدي". ثم قالت شيئاً لم تتوقع قوله. "شعرت أنني غريبة عنهم طوال حياتي. أسماني والدي تيمناً بالملكة فيكتوريا لأنه قال إنني أشبهها. لطالما ظننت أنها جميلة لأنها ملكة، ثم رأيت صورة فوتوغرافية لها عندما كنت في السادسة، وأدركت ما كان والدي يقصده. كان يقصد أنني بدينة وبشعة مثلها".

سألتها الطبيبة بهدوء وبتعبير متعاطف: "ماذا فعلت حينها عندما عرفت ذلك؟".

"بكيت. كاد قلبي يتحطم. لطالما اعتقدت أنه يراني جميلة؛ حتى ذلك الحين. وبعدها، عرفت الحقيقة. كان يسخر مني. وعندما ولدت أختي وكنت أنا في السابعة، قال إنني كنت كيك الاختبار للتحقق من الوصفة، ويجب رمي كيك الاختبار، وإعادة تجربة الأمر لينجح في المرة التالية. لطالما كانت غرايسي الطفلة المثالية، وهي تبدو مثلهما. أما أنا فلا. كنت كيك الاختبار الذي أرادا رميه. وهي الجائزة".

"كيف شعرت نتيجة لذلك؟". بقيت النظرة الهادئة والباردة محدقة إلى وجه فيكتوريا. لم تعرف فيكتوريا أن الدموع تنهمر على وجنتيها ولم تشعر بذلك.

"شعرت أنني مريعة، لكنني أحببت أختي الصغيرة كثيراً لدرجة أنني لم أبالِ. لكن، لطالما عرفت رأيهما بي. لست جيدة أبداً كفاية مهما فعلت. وربّما كانا محقَّيْن. أقصد، انظري إليّ، أنا بدينة. وكلما خسرت بعض الوزن، أعيد اكتسابه على الفور. تنزعج أمي كلما نظرت إليّ وتقول لي إنه يجدر بي اعتماد حمية غذائية، أو الذهاب إلى النادي الرياضي. ويعطيني والدي البطاطا المهروسة ويسخر مني عندما آكلها". ما تقوله يمكن أن يرعب أي شخص، لكن لم يظهر أي شيء على وجه الطبيبة النفسية. أصغت فقط، وتمتمت بتعاطف بين الحين والآخر.

"لماذا يقولان لك مثل هذه الأشياء برأيك؟ هل تظنين أن المشكلة فيك أو فيهما؟ ألا يوحي ذلك بشخصيتيهما؟ هل من الممكن أن تقولي أنت مثل هذه الأمور لولد صغير؟".

"أبداً. ربما يريدان أن أكون أفضل مما أنا عليه. إنهما يريان أن ساقيّ هما الشيء الوحيد الجميل فيّ. يقول والدي إنني أملك ساقين رائعتين".

"ماذا عن الداخل؟ ماذا عن طبيعتك أنت كشخص؟ تبدين لي شخصاً جيداً".

"أظن... أتمنى... أحاول بكدّ أن أفعل الأشياء الصحيحة؛ باستثناء الأكل. أقصد مع الأشخاص الآخرين. فلطالما اعتنيت بأختي". بدت فيكتوريا حزينة حين قالت ذلك.

قالت الدكتورة واتسون وقد بدا عليها الحنان للمرة الأولى: "أصدق ذلك، أصدّق أنك تفعلين الأشياء الصحيحة. ماذا عن والديك؟ هل تظنين أنهما يفعلان الأشياء الصحيحة، لك أنت مثلاً؟".

"ليس تماماً... أحياناً... لقد دفعا كلفة تعليمي. ولم يتم حرماني من أي شيء قطّ. يقول والدي فقط أشياء تؤذيني. فهو يكره مظهري، ويظن أن وظيفتي غير جيدة كفاية".

"وماذا تفعل أمك حينها؟".

"تكون دوماً إلى جانبه. أظن أنه لطالما كان أكثر أهمية بالنسبة إليها مني أنا وأختي. إنه كل شيء في حياة أمي. وجاءت أختي عن طريق الخطأ. لم أفهم ما يعنيه ذلك إلى أن أصبحت في عمر الخامسة عشرة. سمعتهم يقولون ذلك قبلاً عندما ولدت، وظننت أنها ستولد معوقة. وطبعاً لم يحصل ذلك. كانت أجمل طفلة أراها في حياتي. شاركت في إعلانات تجارية وحملات دعائية بضع مرات".

الصورة التي رسمتها فيكتوريا عن عائلتها كانت واضحة جداً، ليس فقط بالنسبة إلى الطبيبة النفسية، وإنما أيضاً لنفسها فيما كانت تصغي إلى ما تتفوّه به. إنها صورة الرجل الرجسي وزوجته المطيعة، اللذين كانا فظين جداً مع ابنتهما الكبرى، فرفضاها وسخرا منها طوال حياتها، لأنها غير ملائمة لهما. وجاءت أختها الصغرى لتتطابق تماماً مع طموحاتهما. المفاجأة الوحيدة هي أن فيكتوريا لم تكره أختها الصغيرة قطّ، وإنما أحبتها كثيراً. وهذا دليل على طبيعتها الحنون وقلبها الكريم. استمتعت بمدى جمال غرايسي. وقبلت الأشياء المريعة التي قالها والداها عنها. كانت مقيدة بوحشيتهما طوال حياتها. شعرت فيكتوريا بالإحراج من بعض الأشياء التي قالتها، لكنها كانت كلها صحيحة، وبدت صحيحة أيضاً بالنسبة إلى الطبيبة النفسية، ولم تشك فيها للحظة واحدة.

ثم ألقت نظرة سريعة على ساعة معلقة مباشرة فوق كتف فيكتوريا، وسألتها إن كانت تود العودة في الأسبوع المقبل. وقبل أن تتمكن من منع نفسها، أومأت فيكتوريا برأسها ثم قالت إنها ستأتي بعد الظهر، بعد انتهاء دوام المدرسة لأنها معلّمة، فوافقت الطبيبة النفسية. أعطتها موعداً وسلّمتها بطاقة كُتب عليها الموعد، وابتسمت.

"أظن أننا أنجزنا عملاً جيداً اليوم فيكتوريا. أتمنى أن تظني الشيء نفسه أيضاً".

"حقاً؟". بدت متفاجئة. كانت صريحة وصادقة تماماً معها. وشعرت فجأة أنها خانت والديها بسبب الأشياء التي قالتها. لكنها لم تكذب. لقد قالا لها كل تلك الأشياء على مرّ السنوات. لم يقصدا ربما أن يكونا فظين جداً مثلما فعلا. لكن، ماذا لو كانا يقصدان ذلك؟ ماذا يعني ذلك، لها ولهما؟ إنه لغز بالنسبة إليها الآن، ويجب أن ينتظر حتى الأسبوع المقبل ليتم حلّه، إلى أن تلتقي الطبيبة النفسية مجدداً. إلا أنها لم تشعر بالجنون عندما غادرت، مثلما كانت تخشى، بل شعرت بهدوء أكثر من أي وقت مضى، وبوضوح تام حيال والديها.

رافقتها الدكتورة واتسون إلى الخارج، وعندما خرجت فيكتوريا إلى نور الشمس، شعرت بالدوار قليلاً، وأعماها الضوء. أغلقت الطبيبة الباب وراءها بهدوء، فابتعدت فيكتوريا ببطء. أحسّت أنها فتحت بعد ظهر هذا اليوم باباً ألقى الضوء على الزوايا المعتمة في قلبها. ومهما يحصل الآن، عرفت أنها لن تغلق هذا الباب مجدداً. عندما فكرت في الأمر، بكت بارتياح وهي تمشي نحو المنزل.

الفصل 13

في السنة الثانية لفيكتوريا في مدرسة ماديسون، حصلت على علاوة محترمة جداً. لم يكن مبلغاً أثّر في والدها، وإنما جعلها تشعر بالارتياح أكثر في حياتها. وهي تعلّم الآن الصف الثانوي الثالث فقط، وهي مجموعتها المفضلة على كل حال. فتلاميذ الصف الثانوي الثاني أكثر توتراً، فيما تلاميذ الصف الثانوي الأول غير ناضجين ويصعب توجيههم. فهم لا يزالون صغاراً في العديد من النواحي، ويختبرون حدودهم ويتصرفون غالباً بفظاظة. أما تلاميذ الصف الثانوي الثالث فقد بدأوا يكتسبون بعض الرزانة وحس الدعابة في الحياة. وهم يستمتعون بآخر سنة لهم في المنزل كأولاد؛ ممّا جعل التعامل معهم أكثر إمتاعاً. بدأ الحنين يتأصل في الأشهر الأخيرة في الثانوية. استمتعت فيكتوريا بكونها جزءاً من ذلك وبمشاركتهم سنتهم الأخيرة.

عادت كارلا بيرنيني إلى المدرسة بعد إجازة أمومة امتدت سنة كاملة، وتأثرت بكل ما أنجزته فيكتوريا مع التلاميذ، فكنّت لها الكثير من الاحترام، بالرغم من صغر سنها. وأصبحتا صديقتين. أحضرت طفلها معها إلى المدرسة بين الحين والآخر، ورأت فيكتوريا أنه ظريف فعلاً. إنه طفل سعيد ومليء بالحيوية، ذكّرها بغرايسي حين كانت في العمر نفسه.

استمرت بزيارة الدكتورة واتسون في عيادتها مرة كل أسبوع. ورأت أنها تجري تعديلات طفيفة على طريقة نظرتها إلى الحياة، ونظرتها إلى نفسها، ورأيها في تجاربها مع والديها. لقد كانا مؤذيين لها طوال حياتها، وبدأت تدرك ذلك الآن وتواجهه. واتخذت بعض الخطوات الإيجابية منذ أن

بدأت العلاج. فعادت إلى الحمية الغذائية مجدداً، وانضمت إلى نادٍ رياضي. في بعض الأحيان، كانت الجلسات تذكرها بالأشياء التي فعلها بها والداها أو قالاها لها مما جعلها تشعر بإحباط شديد، فتعود إلى المنزل وتغرق نفسها بالأطعمة المريحة لها. لطالما كان الآيس كريم عقارها المفضل، وأفضل صديق لها أحياناً. لكن، في اليوم التالي، كانت تتناول مقداراً ضئيلاً من الطعام، وتمضي وقتاً إضافياً في النادي للتكفير عن ذنوبها. أرسلتها الدكتورة واتسون إلى اختصاصية في التغذية أعطت فيكتوريا نصائح جيدة بشأن التخطيط لوجباتها. جرّبت فيكتوريا أيضاً منوماً مغنطيسياً، لكنها لم تحبه ولم يفدها قطّ.

إلا أن أكثر ما استمتعت به هو وظيفتها والوقت الذي تمضيه مع التلاميذ الذين تعلمهم. إنها تتعلم الكثير؛ بشأن التعليم والحياة. وازدادت ثقتها بنفسها بعدما بدأت تزور الطبيبة النفسية، بالرغم من أنها لم تتغلب على مشكلاتها في الأكل بعد. أملت أن تفعل ذلك يوماً ما، بالرغم من إدراكها أنها لن تبدو أبداً مثل غرايسي أو أمها. ومنذ أن بدأت زياراتها للطبيبة النفسية، باتت راضية أكثر عن نفسها.

كانت في وضع جيد عندما بدأت المدرسة، وجاء أستاذ كيمياء جديد إلى المدرسة للحلول مكان أستاذ آخر تقاعد. بدا رجلاً لطيفاً، وكان مظهره مقبولاً. لم يكن وسيماً مثل نجم سينمائي، وإنما يملك أسلوباً لطيفاً ورقيقاً، وكان ودوداً مع الأساتذة والتلاميذ. أحبه الجميع، وبذل جهداً حقيقياً للتناغم معهم جميعاً. ذات يوم، جلس قرب فيكتوريا في غرفة الأساتذة. كانت تتناول السلطة من مطعم مجاور، وتحاول تصحيح بعض المسابقات التي تريد إعادتها إلى التلاميذ في ذلك اليوم، وكان لا يزال لديها بعض الوقت قبل صفها التالي، عندما فتح شطيرة كبيرة على الطاولة، وجلس قربها. لم تستطع منع نفسها من ملاحظة الرائحة اللذيذة، وشعرت أنها مثل الأرنب وهي تتناول السلطة. سكبت عصير الليمون الحامض على بعض أوراق السلطة، بدلاً من حصة الصلصة الكبيرة التي

www.mlazna.com-RAYAHEEN

كانت تفضلها. كانت تحاول أن تكون جيدة، وثمة موعد مع الطبيبة النفسية في اليوم التالي.

عرّف عن نفسه فيما كان يتناول الشطيرة: "مرحبا. لا أظن أننا التقينا قبلاً. أنا جاك بايلي". كان شعره أشيب، بالرغم من أنه في بداية العقد الثالث من عمره. وكان ذا لحية أعطته مظهراً ناضجاً أمام التلاميذ. يسهل أخذه على محمل الجد، فابتسمت له فيكتوريا وعرّفت عن نفسها فيما كانت تمضغ السلطة.

قال وهو يبتسم لها: "أعرف من تكونين. كل تلميذ في الصف الثاني الثالث في هذه المدرسة يحبك. يصعب عليّ أن أحذو حذوك عندما يأتون إليّ بعد صفك. إنهم يستمتعون كثيراً معك. لا أعرف كيف توصلت إلى بعض أفكارك. أنت نجمة هنا". هذا شيء لطيف، وشعرت بالسرور.

طمأنته: "ليسوا دوماً مفتونين بي. خصوصاً عندما أفاجئهم بالاختبارات".

"لم أستطع أن أقرر قطّ ما إذا كنت أريد أن أكون عالم فيزياء أو شاعراً فيما كنت أكبر. أظن أنك اتخذت الخيار الأفضل".

قالت ببساطة: "أنا لست شاعرة أيضاً. أنا مجرد معلمة. كيف حالك في المدرسة؟".

"أحبها. علّمت في العام الماضي في مدرسة ريفية صغيرة في أوكلاهوما. الأولاد أكثر تكلفاً هنا". وعرفت أن هذا ينطبق عليه أيضاً. سمعت أنه تخرج من معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا. "أستمتع كثيراً باكتشاف نيويورك. أنا أصلاً من تكساس. ولقد عشت في بوسطن لمدة سنتين بعد تخرجي، ثم هاجرت إلى أوكلاهوما. أحب التواجد في هذه المدينة". قال بحنان فيما أنهى شطيرته.

"أنا أيضاً. أنا من لوس أنجلوس. مضى على وجودي هنا عام كامل. هناك الكثير من الأمور التي لا أزال أرغب في فعلها ورؤيتها".

قال ونظرة تفاؤل مرتسمة على وجهه: "يجدر بنا فعل ذلك ربما مع بعضنا". وشعرت للحظة بالارتباك. لم تكن واثقة إن كان جدياً بشأن الاقتراح، أو إن كان يتصرف بلباقة فقط. إنها تحب الخروج مع شخص مثله. خرجت في بضعة مواعيد خلال الأشهر القليلة الماضية، ومن بينهم شخص ذهبت معه إلى الثانوية في لوس أنجلوس، لكنهم كانوا جميعاً مغفلين. حياتها العاطفية معدومة تقريباً، وكان جاك الرجل الوحيد المؤهل في المدرسة. كل المعلمات العازبات يتحدثن عنه منذ وصوله، ويقلن عنه إنه *الجذاب*. كانت فيكتوريا تدرك ذلك تماماً في أثناء تحدثهما إلى بعضهما.

"سيكون ذلك ممتعاً". قالت بطريقة عفوية في حال لم يكن يقصد ذلك فعلاً.

سألها: "هل تحبين المسرح؟". فيما وقفا. إنه أطول منها بكثير، إذ يتعدى طوله ست أقدام.

أجابت بصراحة: "كثيراً. لكنني بصراحة لا أستطيع تحمل الكلفة. أذهب بين الحين والآخر فقط لأدلل نفسي".

"ثمة مسرحية مهمة في برودواي كنت أنوي حضورها. إنها مُكتئبة قليلاً، لكنني سمعت أنها رائعة. التقيت كاتب النص. يمكننا الذهاب ربما في عطلة نهاية الأسبوع هذه، إذا كنت حرة". لم تشأ القول له إنها حرة لبقية حياتها؛ خصوصاً له. وشعرت بالإطراء من اهتمامه.

قالت وهي تبتسم بحنان: "يبدو هذا رائعاً". وهي واثقة بأنه لن يستمر بالدعوة. فقد اعتادت على الرجال الذين يتصرفون بودية معها، ولا يتصلون بها أبداً بعد ذلك. ولديها عدد ضئيل من الفرص للقاء رجال عازبين. فهي تعيش وتعمل بين النساء والأولاد والرجال المتزوجين. العازب المؤهل أمر نادر في عالمها. شجعتها الطبيبة النفسية على الخروج ولقاء المزيد من الأشخاص، وليس فقط الرجال. فعالمها محصور بالمدرسة.

وعدها قائلاً: "سأرسل لك بريداً إلكترونياً". ثم غادرا غرفة الأساتذة وعادا إلى العمل. إنهما يعلمان الصفوف في الوقت نفسه. لوّح لها واختفى في الاتجاه المعاكس، حيث توجد مختبرات العلوم، ومرّت أمام صف هيلين في طريقها إلى صفها. كانت تتحدث إلى كارلا بيرنيني، ونظرت إليهما المرأتان وابتسمتا عندما مرّت أمامهما، فتوقفت أمام الباب لدقيقة.

"مرحبا أيتها الصديقتان". كانت تحب الصحبة التي تتشاركها مع الجميع هنا. المرأتان أكبر منها، لكن العمل في مدرسة أشبه دوماً بالتواجد ضمن عائلة، مع الكثير من الإخوة الأكبر سناً؛ وهم في الواقع أساتذة زملاء لها، والإخوة الأصغر سناً؛ وهم التلاميذ. إنهم جميعاً في هذه المجموعة.

قالت كارلا مع ابتسامة عريضة: "سرت شائعة بأنك تناولت الغداء مع *الجذاب* في قاعة الأساتذة". فابتسمت فيكتوريا وبدت ساذجة.

"هل تمزحين؟ تناولنا الطعام فقط وجلسنا إلى الطاولة نفسها. اتركي الرجل المسكين وحده. نصف المدرسة تطارده. إنه مهذب فقط. هل تملكان راداراً، أو كنتما تتنصتان على غرفة الأساتذة؟". ضحكت النساء الثلاث. إنهن يعرفن جيداً أن المدارس عبارة عن طواحين للشائعات، حيث يتحدث الأساتذة عن بعضهم وكذلك التلاميذ، وعما يحصل في حياتهم، ويعرف الجميع بما يحصل.

قالت كارلا: "إنه ظريف". ووافقتها هيلين الرأي.

"صدقاني. إنه لا يسعى ورائي. أنا واثقة أن لديه فتاة أخرى أفضل مني". وبات معلوماً أن معلمة اللغة الفرنسية الجديدة تطارده. فأي فرصة ستكون أمامها؟

قالت كارلا بحنان: "سيكون محظوظاً بصحبتك". لقد أصبحت مولعة جداً بزميلتها الصغيرة، وهي تكنّ لها الكثير من الاحترام بصفتها معلّمة، بالرغم من أنه لا يزال أمامها الكثير لتعلمه. إلا أنها أنجزت عملاً جيداً جداً في سنتها الأولى.

قالت فيكتوريا مجدداً: "شكراً لك". وذهبت إلى صفها. من المذهل معرفة كيف تنتشر الأخبار بسرعة في الثانوية؛ أسرع من سرعة الضوء. تساءلت إن كان سيرسل لها فعلاً بريداً إلكترونياً، وشكّت في ذلك، لكنه كان لطيفاً خلال الغداء. لم تتوقع أي شيء، وأخبرت الطبيبة النفسية بذلك في اليوم التالي.

سألتها الطبيبة: "ولمَ لا؟ لِمَ تظنين أنه لن ينفّذ ما قاله؟".

"لأنها ليست مسألة مهمة، وإنما مجرد حديث عفوي خلال الغداء. ربما لم يكن يقصد ذلك".

"ماذا لو كان يقصد؟ ما الذي يعنيه ذلك بالنسبة إليك؟".

"أظن أنه يستلطفني، أو ربما يشعر بالوحدة فقط".

"إذاً، أنت تظنين أنك فقط بديلة مؤقتة لرجل وحيد؟ ماذا لو كان يستلطفك فعلاً؟".

قالت فيكتوريا بصرامة: "أظن فقط أنه مهذب". لقد خاب أملها سابقاً من رجال ظنت أنهم مهتمون بها لكنهم لم يتصلوا بها قطّ.

قالت الطبيبة النفسية باهتمام هادئ: "ما الذي يجعلك تفكرين هكذا؟ ألا تظنين أنك تستحقين رجلاً لطيفاً للخروج معه؟". ساد الصمت مطوّلاً فيما فكرت فيكتوريا في السؤال.

"لا أعرف. وزني زائد، ولست جميلة مثل أختي. أكره أنفي. وتقول أمي إن الرجال لا يحبون النساء الذكيات". ابتسمت الطبيبة النفسية حين سمعت جوابها، وضحكت فيكتوريا بعصبية.

"حسناً، يمكننا الاتفاق على أنك ذكية. هذه بداية جيدة. وأنا لا أوافق أمك الرأي. فالرجال الأذكياء يحبون النساء الذكيات. قد لا يفعل ذلك الرجال السطحيون لأنهم قد يشعرون بالتهديد منهنّ. لكنك لا تريدين واحداً من أولئك الرجال. يبدو لي أنفك مقبولاً، والوزن ليس عيباً في الشخصية، وهو شيء يمكنك تغييره. الرجل الذي يستلطفك فعلاً ويهتم بأمرك لن يبالي أبداً بوزنك. أنت امرأة جذابة جداً فيكتوريا، وأي رجل سيكون محظوظاً

بصحبتك". كان سماعها ذلك أمراً رائعاً، لكن فيكتوريا لم تصدقها تماماً. فالدليل في الجانب الآخر من الميزان كان ثقيلاً جداً لوقت طويل؛ إهانات والدها، وتحقير والديها المستمر لها، وإحساسها الشخصي بالإخفاق. "فلنر إذا كان سيتصل بك. لكن، حتى لو لم يفعل، فذلك يعني فقط أن لديه اهتمامات أخرى، ولا يعني أن أي رجل لا يريدك". إنها في الثالثة والعشرين، ولغاية الآن لم يغرم بها أي رجل بصورة جدية. لقد تم تجاهلها طوال سنوات، إلا من قبل أصدقائها. شعرت أنها قبيحة الشكل وشيء غير مرغوب فيه أبداً. في الحقيقة، إن قلب ذلك يحتاج إلى الكثير من العمل الجاد والتفاني. لهذا السبب، هي موجودة هنا. وقالت إنها راغبة في فعل كل ما هو مطلوب، حتى لو كانت العملية مؤلمة بالنسبة إليها. فالعيش مع إحساسها بالهزيمة أسوأ بكثير. إنه ما أورثها إياه والداها، لجعلها تشعر بأنها غير محبوبة، لأنهما لا يحبّانها. لقد بدأ ذلك يوم ولدت، ولديها ثلاثة وعشرون عاماً من الرسائل السلبية الواجب إبطالها الآن، الواحدة تلو الأخرى. وهي مستعدة أخيراً لمواجهة ذلك.

شعرت فيكتوريا ببعض الإحباط بعد الجلسة. فمن الصعب نبش ماضيها أحياناً، وإخراج كل تلك الذكريات البشعة إلى العلن والنظر إليها طويلاً. كانت لا تزال تشعر بالإحباط عندما وصلت إلى المنزل. تكره تذكر تلك الأشياء، وكل الأوقات التي آذى فيها والدها مشاعرها، وأدارت فيها أمها الأذن الصمّاء والعين العمياء ولم تدافع عنها قطّ. الشخص الوحيد الذي فعل ذلك هو غرايسي. ما الذي يدلّ عليه ذلك؟ أيدلّ على أنّ أمها لا تحبها!؟ وكذلك والدها؟ الشخص الوحيد الذي أحبها كان طفلة لا تعرف شيئاً آخر. أخبرها ذلك أنه ما من راشد عاقل يمكن أن يحبها، ولا والديها أيضاً. وعليها تذكير نفسها الآن أن هذا عيب في تكوينهما النفسي، وليس في تكوينها.

شغلت الحاسوب عندما وصلت إلى المنزل، وتحققت من بريدها الإلكتروني. تلقت رسالة من غرايسي تخبرها فيها بما يجري في المدرسة، وعن دراما مع شاب جديد أغرمت به. في عمر السادسة عشرة، يحوم

حولها شباب أكثر مما حصل مع فيكتوريا طوال حياتها، حتى لو كانوا مجرد أولاد. أشار الصوت الذي صدر عن حاسوبها إلى أنّها تلقت بريداً جديداً فيما أنهت قراءة رسالة غرايسي مع ابتسامة عريضة. ثم انتقلت لمعرفة مرسل الرسالة. لم تتعرف عنوان البريد الإلكتروني في البداية، وفيما قرأتها مجدداً، استوعبت الأمر فوراً. إنه جاك بايلي. أستاذ الكيمياء الجديد الذي كان يتناول الشطيرة في قاعة الأساتذة. ضغطت على رسالته بسرعة، محاولة عدم الشعور بالقلق. يمكن أن تكون شيئاً عن المدرسة أو عن أحد التلاميذ الذين يتشاركان تعليمهم، وجلست تحدق إلى البريد الإلكتروني بعدما قرأته:

مرحبا. سررت برؤيتك عند تناول الغداء أمس، وبالتحدث إليك لبعض الوقت. نجحت في الحصول على بطاقتين للمسرحية التي ذكرتها لك. هل يحتمل أن تنضمي إليّ يوم السبت؟ قبل العشاء أو بعده؟ من حواضر البيت، في مطعم مجاور يديره أستاذ كيمياء يتضور جوعاً. أبلغيني إن كنت حرّة، وإن كنت مهتمة. أراك في المدرسة.

جاك

جلست فيكتوريا محدقة إلى الرسالة لوقت طويل، ومتسائلة عما تعنيه. أهي صداقة؟ أم موعد غرامي؟ أم أنه شخص لا يملك أصدقاء في نيويورك ويشعر فقط بالوحدة؟ هل يستلطفها؟ شعرت وكأنها غرايسي مع قصصها الغرامية في المدرسة الثانوية فيما حاولت القراءة بين السطور، كما شعرت بالتوتر. عشاء ومسرحية ليلة السبت، بصحبة شاب لطيف. يمكنهما تصور التالي لاحقاً، إذا أرادا الخروج معاً مجدداً. تحرقت شوقاً لإخبار هارلان بالأمر عندما عاد إلى المنزل.

"هذا ما يسمونه مواعدة، فيكتوريا. يسألك رجل الخروج معه، ويعرض عليك الطعام، وربما التسلية، وهي في هذه الحالة مسرحية. وإذا

استمتعتما، تعيدان الكرّة. بمّ أجبته؟". سألها باهتمام، لكنه كان مسروراً من أجلها، فقد بدت متحمسة.

"لا شيء. لم أعرف ماذا أقول. كيف تعرف أنه موعد غرامي؟".

"التوقيت. عرض الطعام. توفير التسلية. ليلة سبت. رجل وامرأة. العمر. المهنة المشتركة! كلاكما عازبان. أستطيع القول إنني واثق تماماً بأنه موعد غرامي". كان يضحك، فيما بدت متوترة.

"ربما يريد أن نكون صديقين فقط".

"ربما. لكن العديد من العلاقات العاطفية تبدأ كصداقات. وبما أنكما تعملان في مدرسة مهمة فأنا لا أظن أنه مجرم سابق. ولا يبدو أنه مدمن على شيء خطير، أو أنه يسيء استعمال المواد. لم يتم اعتقاله في الآونة الأخيرة. أظن أنك ستكونين في أمان إن رافقته لتناول العشاء ومشاهدة المسرحية. وإلا، يمكنك أن تأخذي معك المسدس المسيل للدموع". ابتسمت ابتسامة عريضة على الاقتراح.

"بالإضافة إلى ذلك، ليس هذا الأمر متعلقاً به وحده، مثلما تعلمين. فقد تقررين أنت أنك لا تستلطفينه". أرادها أن تعرف أنها تملك قوة اتخاذ القرار هنا أيضاً.

"ولماذا أفعل ذلك؟ إنه ذكي، وجميل الطلة. ذهب إلى معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا. وضعه أفضل مني بكثير، ويستطيع الخروج مع أي فتاة يريدها".

"نعم، وأنت أيضاً. وبالإضافة إلى ذلك، طلب منك أنت الخروج معه. فلنبق مستوى اللعب هنا. أنت تملكين هنا خياراً حراً بقدر ما يملك هو. لم يمت أحد ويجعله ملكاً على الناس". إنها نصيحة جيدة، وأدركت أنه محق، وهذا تذكير لها بالحقيقة. تشعر أنها غير ملائمة وغير محبوبة في معظم الأوقات، لكنها تعرف الآن أنها نسيت أنها تملك صوتاً في هذا أيضاً. فالقرار ليس قراره فقط. "ولا تنسي عامل طبق اللحم". قال هارلان هذا بجدية، فيما حضّر لكليهما كوباً من الشاي.

"ما هذا؟". سألت فيكتوريا وهي تشعر بالذهول.

"تلتقين رجلاً فاتناً يصيبك بالذهول، وبالكاد تستطيعين التنفس عند رؤيته. إنه ذكي، وفاتن، ومضحك، وخفيف الظل أكثر من أي رجل عرفته في حياتك. حتى إنه ربما كان يقود سيارة فيراري. ثم تشاهدينه وهو يأكل طبق اللحم، كما لو أنه ولد في اسطبل ويأكل مثل الحيوان، ولا ترغبين أبداً في رؤيته مجدداً". انفجرت فيكتوريا في الضحك مما قاله.

سألت ببراءة: "ألا يمكنك تعليمه آداب التصرف؟".

هزّ هارلان رأسه بثقة: "أبداً. الأمر محرج جداً. ومن المحرج أيضاً تقديم مثل هذا الرجل إلى أصدقائك، فيما يكون جالساً إلى المائدة وهو يلتهم اللحم، ويشرب الحساء، ويلعق أصابعه. انسي أمر الرجال الذين يأكلون مثل طوم جونز. يمكنك التحقق من ذلك في أثناء العشاء". قال بجدية فيما ابتسمت فيكتوريا ابتسامة عريضة.

"حسناً، سأطلب طبق اللحم وأقدم له واحداً".

"ثقي بي. إنه الاختبار الأكثر أهمية. يمكنك تحمل أي شيء آخر". كانا يضحكان حينها، وكان يمازحها، لكن ثمة درجة من الحقيقة في ما قاله. تصعب في البداية معرفة ما يعجبك فعلاً في الشخص، أو ما يصدّك عنه. لطالما نفرت من الرجال الذين يتركون بقشيشاً سيئاً أو لا يتركون أي بقشيش على الإطلاق، أو يكونون فظين مع النادل. إلا أنها لم تفكر قطّ في طريقة تناول طبق اللحم.

سألها هارلان: "إذاً ماذا ستفعلين الآن؟ أقترح عليك أن تقبلي دعوته. لا أذكر متى خرجت في موعد غرامي للمرة الأخيرة، وربما أنت أيضاً لا تذكرين ذلك".

قالت بنبرة دفاعية: "بلى أذكر. خرجت في موعد غرامي في لوس أنجلوس هذا الصيف. كان شاباً كنت معه في الصف الثامن، وصادفته في نادي السباحة".

"إذاً؟ أنت لم تذكريه سابقاً".

"كان مضجراً جداً. فهو يبيع العقارات لأمه، وأمضى العشاء كله وهو يتحدث عن الألم الذي يشعر به في أسفل ظهره، وصداع الشقيقة، وأورامه الوراثية. كانت سهرة مضجرة جداً".

"لا بد من أنه لا يخرج كثيراً في مواعيد ثانية". كانا يضحكان على وصفها. "أتمنى ألا تكون علاقتكما قد تطوّرت كثيراً".

قالت فوراً: "لا. كان يعاني صداعاً. وأنا أيضاً عانيت الصداع مع وصول طبق الحلوى. تناولت العشاء وغادرت. اتصل بي مرتين بعد ذلك، وكذبت عليه وأخبرته أنني عدت إلى نيويورك. من حسن الحظ أنني لم أصادفه مجدداً".

"في ضوء هذه التجربة، أظن أنه يجدر بك الخروج مع أستاذ الكيمياء. إذا لم يذكر أمر العملية الجراحية لاستئصال الأورام، ولم يصب بصداع الشقيقة في أثناء تناول العشاء، فستكونين أنت في صدارة اللعبة".

قالت: "أظن أنك محق". وذهبت للإجابة عن رسالة جاك بايلي. أخبرته أنها تقبل الدعوة بسرور، وبدا الأمر ممتعاً. عرضت دفع ما يتوجب عليها، لأنهما من الأساتذة المصابين بالفقر. فأبلغها عبر البريد الإلكتروني أن هذا ليس ضرورياً، طالما أنها لا تمانع تناول العشاء في مطعم متواضع، وأخبرها أنه سيمرّ لاصطحابها ليلة السبت. حسم الأمر. أدركت وهي ذاهبة لإخبار هارلان أن كل ما عليها فعله الآن هو التفكير في ما سترتديه.

أجاب من دون تردد: "تنورة قصيرة جداً جداً جداً. فمع ساقين مثل ساقيك، يجدر بك دوماً ارتداء التنانير القصيرة. أتمنى لو كنت أملك مثل هاتين الساقين". قال ممازحاً، لكن ما قاله كان صحيحاً. فهي تملك ساقين طويلتين وجميلتين ورشيقتين تلفتان الانتباه وتحوّلانه عن جذعها البدين. ورأى أنها تملك وجهاً جميلاً بطريقة أميركية. إنها امرأة ذات مظهر محترم، ولطيفة جداً، مع ذكاء حاد وحيوي وإحساس كبير بالدعابة. ما الذي يريده الرجل أكثر من ذلك؟ أمل أن ينجح الموعد الغرامي معها.

أصبح هارلان أفضل صديق لها في نيويورك، والشخص الوحيد الذي تثق به بعد أختها. وأعطاها نصائح ممتازة.

عندما وصل جاك في تمام السابعة ليلة السبت، كانت الشقة فارغة بعد أن خرج الآخرون للسهر. دخل الشقة وتأمل جمالها ومساحتها.

قال بحسد: "حسناً، أنا أعيش في علبة حذاء مقارنة معك".

"إنه منزل بالإيجار. أنا محظوظة، وأعيش هنا مع ثلاثة أشخاص آخرين. وجدت الشقة ما إن انتقلت إلى نيويورك".

"كم أنت محظوظة!".

عرضت عليه كأساً من الشراب، وبعد دقائق قليلة، غادرا لتناول العشاء. استقلاّ القطار الكهربائي للوصول إلى المطعم الصغير في الغيلاج، وقال إن المسرحية تبدأ عند الساعة التاسعة، وبالتالي أمامهما متسع من الوقت لتناول العشاء.

أخذت بنصيحة هارلان، وتحقق من مظهرها قبل أن يخرج للقاء جون. كانت ترتدي تنورة سوداء قصيرة، وقميصاً قطنياً أبيض، وسترة من الدنيم، وتنتعل صندلاً عالي الكعب أظهر جمال ساقيها. وبدت أنيقة جداً. وضعت القليل من مستحضرات التجميل، وأسدلت شعرها الأشقر الطويل. قال هارلان إنها الطلة المثالية لموعد غرامي أول. فهي تبدو جذابة، وشابة، وبسيطة، من دون أن تكشف الكثير. قال إنه لا يجدر بها حتماً الكشف عن صدرها خلال الموعد الأول، بالرغم من أنها تملك صدراً رائعاً. وطلب منها الاحتفاظ بذلك لوقت لاحق. وهي لم تكن تنوي إظهار مفاتنها على كل حال. فهي سعيدة بارتداء القميص القطني الفضفاض. تحدثت إلى جاك باستمرار في أثناء توجههما إلى وسط المدينة. كان ممتعاً، ويملك حساً جميلاً بالدعابة. جعلها تضحك حين وصف المدارس التي عمل فيها. وبدا جلياً أنه يحب الأولاد فعلاً. كما بدا جلياً أنه يستلطفها.

عندما وصلا إلى المطعم، تأملت لائحة الطعام وهي تقطب وجهها. لطالما أحبت رغيف اللحم مع البطاطا المهروسة الذي يذكرها بطهو جدتها،

والذي كان أفضل شيء فيها. لكنها لا تريد الإفراط في تناول الطعام. يبدو الدجاج المقلي جيداً أيضاً. قررت أخيراً تناول شرائح الحبش مع اللوبياء الخضراء. وكان الطعام جيداً. كادت تنفجر في الضحك عندما طلب جاك طبق اللحم المفروم والبطاطا المشوية. تناول الطبق بالشوكة والسكين. لا أثر لطوم جونز. تستطيع القول لهارلان إنه نجح في الاختبار. وأملت أن تكون هي الأخرى قد نجحت. تشاركا قطعة من فطيرة التفاح منزلية الصنع. وعندما أنهيا الوجبة، قال: "أحب المرأة التي تملك شهية جيدة". وأخبرها أن آخر فتاة خرج معها كانت مصابة بمرض فقدان الشهية، مما دفعه إلى الجنون. فهي لم تكن تأكل قطّ، وكانت عصبية جداً في العديد من الأمور الأخرى. لم يرَ أي مشكلة في استمتاع فيكتوريا بتناول الطعام.

أحبا المسرحية، وتحدثا عنها طوال طريق العودة إلى منزلها على متن القطار الكهربائي. كانت مسرحية مسببة للاكتئاب، وإنما جيدة من حيث التمثيل والنص المكتوب. أمضت فعلاً أمسية رائعة معه، وشكرته فيما وقفا خارج المبنى في هواء الليل الدافئ. لم تدعه للصعود إلى الشقة في نهاية السهرة، إذ لا يزال الوقت مبكراً جداً على ذلك. لكنها شعرت حتماً بأنه موعد غرامي لها. بدا جاك سعيداً أيضاً، وقال إنه يودّ الخروج معها مرة أخرى. شكرته، وعانقها، وارتسمت الابتسامة على وجهها عندما دخلت الشقة الفارغة. تضايقت قليلاً لأنها لم تدعه إلى الأعلى لاحتساء كأس من الشراب، لكنها قررت أن الأمور أفضل بهذه الطريقة. وفاجأها حين اتصل بها في اليوم التالي.

قال إن هناك معرضاً فنياً في وسط المدينة يريد الذهاب إليه، وأراد أن يعرف إن كانت تود الانضمام إليه. وافقت، والتقيا في وسط المدينة، وتناولا العشاء معاً مجدداً. وعندما عادت إلى المدرسة صباح يوم الاثنين، كانا قد التقيا مرتين، وتحرقت شوقاً لإخبار طبيبتها النفسية بذلك. فقد شعرت وكأنه انتصار حقيقي لها، وإطراء كبير، وكانا منسجمين مع بعضهما في العديد من النواحي. صادفا بعضهما في قاعة الأساتذة عند

موعد الغداء، وقدّرت تكتمه، فهو لم يتطرق إلى موضوع مواعدتهما في عطلة نهاية الأسبوع. وهي لا تريد أن تعرف المدرسة كلها أنهما خرجا مع بعضهما خارج المدرسة، خصوصاً في موعد غرامي. كان عفوياً وودوداً، ولكن ليس أكثر. ثم اتصل بها تلك الليلة لدعوتها للخروج معه يوم الجمعة لتناول العشاء وحضور فيلم. كانت متحمسة فعلاً عندما أخبرت رفاقها في الشقة بذلك في أثناء تناول العشاء.

قال هارلان وهو يبتسم ابتسامة عريضة: "يبدو لي وكأننا نعيش قصة حيّة هنا. ولقد فاز في اختبار طبق اللحم المفروم. اللعنة، فيكتوريا، لقد علقت". ضحكت وشعرت بالسخافة، وكادت أن تتناول قطعة ثانية من الخبز بالثوم للاحتفال فقد كان جون طاهياً مذهلاً، لكنها منعت نفسها في اللحظة الأخيرة. ففي الواقع، أرادت التخلص من بعض الوزن الزائد، فهي تملك الآن سبباً وجيهاً لفعل ذلك. إنها تواعد!

كان موعدهما لحضور السينما يوم الجمعة ممتعاً بقدر الموعدين السابقين. والتقيا مجدداً يوم الأحد، للتنزه في الحديقة العامة، وأمسك كل منهما بيد الآخر فيما كانا يتنزهان. اشتريا الآيس كريم من رجل يجرّ عربة يدوية، لكنها أجبرت نفسها على رمي الآيس كريم قبل إنهائه. لقد خسرت باوندين هذا الأسبوع، وهي تمارس التمارين الرياضية كل ليلة أمام شاشة التلفاز. حتى إنّ طبيبتها النفسية تحمست لعلاقتها العاطفية الجديدة، بالرغم من أن فيكتوريا لم تبلغ العلاقة الكاملة بعد. فهو لم يجرّب ذلك بعد، وهي لا تريد فعل ذلك في وقت باكر. أرادت أن تكون واثقة من شعورها حياله، ومن أن هناك شيئاً حقيقياً بينهما قبل أن تفعل ذلك. أرادت علاقة، وبدأ جاك يبدو مثل المرشح المثالي لذلك، بعد أربعة مواعيد. عادا إلى شقتها بعد ظهر يوم الأحد، والتقى باني وهارلان، وكان لطيفاً جداً معهما، واستلطفاه.

كان شهر أكتوبر الأكثر حماسة وتفاؤلاً الذي عرفته منذ سنوات، واستمرت هي وجاك برؤية بعضهما في كل عطلة نهاية أسبوع، وقبلها في

www.mlazna.com-RAYAHEEN

ثالث عطلة نهاية أسبوع خرجا فيها معاً. تحدثا عن الأمر، واعترفا أنهما يفضلان الانتظار قليلاً قبل أن ينقلا العلاقة إلى مستوى آخر. أرادا توخي الحذر والتحلي بالنضوج والتعرف إلى بعضهما جيداً قبل أن يقدما على خطوة كبيرة. جعلها ذلك تشعر بالأمان والارتياح معه، إذ لم يلح عليها في أي شيء. كان محترماً معها، وكلما رأيا بعضهما، تقرّبا من بعضهما أكثر وأمضيا وقتاً رائعاً. وافقت طبيبة فيكتوريا النفسية تماماً على ما يجري.

أخبرته فيكتوريا قليلاً عن أهلها، ولكن ليس كثيراً. لم تخبره أنها كانت كبك الاختبار، أو أنه جرت تسميتها تيمناً بالملكة فيكتوريا، لكنها قالت له إن والديها لم يمدحاها قطّ، وإنّهما انتقدا مهنتها كثيراً.

فقال لها جاك: "هذا أمر مشترك بيننا. فلطالما أرادت مني أمي أن أكون طبيباً لأن والدها كان طبيباً. ولا يزال والدي يرغب في أن أكون محامياً مثله. أنا أحب أن أكون أستاذاً، وهما يحذرانني باستمرار من أنني لن أجني أبداً مالاً كافياً أو أتمكن من إعالة زوجة وأولاد. لكن أشخاصاً آخرين يفعلون ذلك، وهذا ما أريد فعله. عندما ذهبت إلى معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا، رأى والدي أنه يجدر بي أن أصبح مهندساً على الأقل".

"يقول والدي الشيء نفسه، باستثناء قدرتي على إعالة زوجة وأولاد. أظن أنه ما من أحد يهنئ أحداً آخر على مهنة التعليم. تبدو لي مهنة مهمة. فنحن نؤثر في الأولاد كثيراً".

"أعرف. يحصل بعض الناس على خمسة ملايين دولار إذا ضربوا كرة بايسبول خارج الملعب. لكن تعليم أولاد صغار لا يساوي أي شيء لأي كان، إلا لنا. هذا مقرف قليلاً". وافقا على ذلك. اتفقا على كل شيء تقريباً. وفي بداية شهر نوفمبر، أصبحت الأمور أكثر سخونة بينهما. فهما يتواعدان منذ أكثر من شهر، ويريان بعضهما مرة أو مرتين في عطلة نهاية الأسبوع، وأحست فيكتوريا أنهما سينقلان العلاقة إلى مستوى آخر عما قريب. إنهما يستعدان لذلك. شعرت بارتياح تام معه، وكانت تقع في

غرامه. إنه شاب مذهل، ومستقيم، وصريح، وذكي، وحنون، ومضحك. يملك كل شيء حلمت به في الرجل، وتعتقد أنه ظريف، مثلما تقول غرايسي. أخبرت أختها الصغيرة بكل شيء عنه، فتحمّست هذه الأخيرة من أجلها. لكنّ فيكتوريا لم تخبر والديها أي شيء عنه، وطلبت من غرايسي عدم فعل ذلك أيضاً. فهي لا تريد تحمل تعليقاتهما السلبية، أو توقعاتهما بالفشل. يستحيل بالنسبة إليهما أن يقع أي رجل في غرامها. لكنها عرفت أن جاك يراها جميلة، والدفء الذي يتشاركانه في علاقتهما جعل فيكتوريا تتفتح مثل حديقة في الربيع. بدت مرتاحة، وأكثر ثقة بنفسها، وسعيدة دوماً. وشعرت الدكتورة واتسون بالقلق، فهي لا تريد أن تأتي ثقتها بنفسها من رجل، وإنما تريدها أن تنبع من الداخل. إلا أن جاك يساعدها حتماً في شعورها حيال نفسها. وانخفض وزنها عشرة باوندات بفضل الانتباه إلى الحصص وإلى ما تأكله. تذكرت تحذير اختصاصية التغذية لها بعدم تفويت الوجبات، وبضرورة تناول الطعام الصحي. لم تحصل هذه المرة أي هفوات في حميتها الغذائية، ولم تتناول أيّ شاي بالأعشاب، أو أيّ أدوية مقرفة. إنها فقط سعيدة، وكل شيء في مكانه. كانا يتحدثان عن مشروعاتهما، وقرّرا أن يذهب كل منهما إلى منزله لتمضية مناسبة الشكر، وأن يعودا إلى نيويورك خلال عطلة نهاية الأسبوع، كي يمضيا جزءاً من العطلة مع بعضهما.

كانت تفكر في الأمر ذات مساء عندما دخلت المطبخ ورأت جون وهارلان يفكران ملياً ويتحدثان بجدية وتركيز. كانا منزعجين. بدا وكأنهما يواجهان مشكلة. وأوقفها هارلان قبل أن تعود إلى غرفتها مع كوب الشاي.

"هل لديك دقيقة؟". سألها فيما ترددت. لاحظت أن جون منزعج. تساءلت إن كانا يتشاجران، وأملت ألا تكون المسألة جدية.

"طبعاً". أجابت فيكتوريا عن سؤاله، من دون أن تعرف كيف يمكنها مساعدتهما، لكنها أرادت التجربة. أشار هارلان إلى كرسي أمام طاولة المطبخ، فيما تنهد جون. قالت بنبرة متعاطفة: "يبدو أنكما تواجهان مشكلة".

اعترف جون: "نعم، نوعاً ما. إنها معضلة نوعاً ما".

بدت متفاجئة. "بينكما؟".

أجاب هارلان: "لا. إنها بشأن صديق. أكره التدخل في شؤون الآخرين، ولطالما كنت أتساءل عمّا سأفعله إذا عرفت شيئاً يؤذي شخصاً أحبه ومع ذلك يجدر به معرفته. إنه وضع لا أرغب أبداً في التواجد فيه".

"وهل أنت هكذا الآن؟". سألت فيكتوريا ببراءة، فأومأ برأسيهما في الوقت نفسه. تنهد جون مجدداً، وتولى هو الكلام هذه المرة. كان يعرف أن الأمر صعب جداً بالنسبة إلى هارلان، كما أنه هو الشخص الذي حصل على المعلومات أولاً. إنهما يتحدثان عن الأمر منذ أسبوع أو أسبوعين، وأملا أن تحل المشكلة وحدها. لكن، لم يحصل ذلك، بل أصبح الوضع أسوأ. ولا يريد أي منهما أن يرى فيكتوريا ترتطم بحائط مسدود. إنهما يحبانها كثيراً كصديقة، وكأخت تقريباً.

"لا أعرف كل التفاصيل. لكن الأمر متعلق بجاك. جاك صديقك. الحياة غريبة جداً أحياناً، لكنني كنت أتحدث إلى معلمة أعمل معها في مدرستي. لم أستلطفها قطّ، وهي كذلك لم تستلطفني. إنها مغرورة جداً وتتلاعب دوماً برجل ما. كانت تتحدث كثيراً في الآونة الأخيرة عن أستاذ تقيم معه علاقة. إنه يعمل في مدرسة أخرى. وهي تراه في كل عطلة نهاية أسبوع، لكن لليلة واحدة على ما يبدو، وهي ممتعضة. إنهما يريان بعضهما لليلة واحدة، وبعد ظهر يوم واحد، وهي تظن أنه يخدعها، بالرغم من نفيه ذلك. وباستثناء ذلك، ترى أنه رجل رائع، وتقول إنه مفتون بها. وهما ينويان تمضية مناسبة الشكر معاً بدلاً من الذهاب لزيارة عائلتيهما، وأخبرها أنه سيذهب لرؤية عائلته يوم السبت بعد مناسبة الشكر لتمضية عطلة نهاية الأسبوع. عندها، ولا أعرف لماذا، رنّ شيء في رأسي. سألتها ما اسم الرجل، وأين يعلّم. لم أزعج نفسي قطّ في سؤالها من قبل، لأنني لم أكن أهتم فعلاً. قالت إن اسمه جاك بايلي ويعلم الكيمياء في مدرسة ماديسون". نظر جون بعينين حزينتين إلى

فيكتوريا، وبدت وكأنها على وشك الإغماء أو الانفجار في البكاء. "يبدو أن رجلك يلعب على الحبلين، أو يحاول ذلك. أردت قول شيء قبل أن تغوصي أكثر. يبدو أنه يقسم وقته في كل عطلة نهاية أسبوع، والآن عطلة مناسبة الشكر، بينكما أنتما الاثنتين، وهذا أمر حقير لأنه لم يخبرك أنه يفعل هذا. وبصراحة، هذه الفتاة حقيرة. ليست إنسانة محترمة. لا أعرف ماذا يفعل معها عندما تكون لديه واحدة مثلك". شعر جون وهارلان بالقرف، والضيق من أجلها، وشعرت هي الآن بالشيء نفسه أيضاً. بدأت تبكي فيما جلسوا إلى طاولة المطبخ، وأعطاها هارلان منديلاً ورقياً. شعرا بالاستياء لأنهما أخبراها الحقيقة لكنهما رأيا أنه يجدر بها معرفة ما تواجهه، ومع من.

سألتهما عبر دموعها: "ماذا يجب عليّ أن أفعل؟".

قال جون ببساطة: "أظن أنه يجدر بك التحدث إليه في هذا الموضوع. لديك الحق في معرفة ما يفعله. إنه يراك ويراها على ما يبدو في كل عطلة نهاية أسبوع. وهي تقول إنها معه منذ شهرين". ولم يصبّ الزيت على النار بإخباره فيكتوريا أن المرأة الأخرى قالت إنه رائع. فهي لا تحتاج إلى سماع ذلك أيضاً، خصوصاً وأنها لم تصل إلى العلاقة الكاملة معه بعد، لكنهم عرفوا جميعاً أن هذا سيكون قريباً. فلقد فكّرت أن هذا سيحصل بصورة طبيعية خلال عطلة الشكر. فمع وجود كل رفاقها في الشقة بعيداً، كانت تنوي دعوته للبقاء في الشقة عندما يعودان من عطلتهما مع عائلتيهما. بالرغم من أنها تعرف الآن أنه ينوي تمضية العطلة مع المرأة الأخرى، وأنه كان يكذب عليها بشأن مكان تمضيته عطلة نهاية الأسبوع. إنه محظوظ لأنّ المدينة كبيرة ولم يصادف أياً منهما فيما كان مع الأخرى. لكن العالم صغير على كل حال، وبمحض الصدفة، كان يواعد امرأة تعمل مع أحد أفضل أصدقائها. كان احتمال حصول ذلك ضئيلاً، لكنه حصل. لقد تدخلت العناية الإلهية.

"ماذا سأقول له؟ هل تظنان أن هذا صحيح؟". كانت لا تزال تأمل ألا يكون الأمر صحيحاً، لكن جون كان صريحاً معها مجدداً، بالرغم من أن الأمر مؤلم.

"نعم. إنها حقيرة، لكنها لا تملك سبباً للكذب أو لتلفيق الخبر. أظن أنه هو الشخص غير الصريح. وهذا أمر حقير فعله بك، حتى لو لم تصلي معه إلى العلاقة الكاملة. فأنت تواعدينه في الوقت نفسه الذي بدأ بمواعدتها فيه. يبدو وكأنه يلعب معكما معاً". شعرت فيكتوريا بالقرف وهي تصغي إليه، وجلست متجمدة على مقعدها. شعرت فجأة بالبرد، ورآها الرجلان وهي ترتجف.

سألت بتعاسة: "هل تظن أنه سيخبرني الحقيقة الآن؟".

"ربما. تم ضبطه بالجرم المشهود. وسيكون مثيراً سماع ما لديه، وكيفية شرحه للأمر. سيكون التبرير أو التملص صعباً".

قالت فيكتوريا بصراحة: "لم أسأله قطّ إن كان يواعد امرأة أخرى. لم أظن أنه يجدر بي فعل ذلك. افترضت أنه لا يفعل".

أضاف هارلان بحزن: "إنه سؤال جيد لطرحه. لا يعترف بعض الأشخاص إلا بعد سؤالهم. لكن، في هذه المرحلة، وبعد رؤيتكما بعضكما في كل عطلة نهاية أسبوع والبدء بتأسيس علاقتكما، كان يجدر به إخبارك سواء أسألته أم لا". أومأت برأسها وشكرت جون على المعلومات، بالرغم من أنها استاءت من سماعها، وبدا حزيناً جداً لأنه أخبرها. لكنهم عرفوا جميعاً أن هذا هو الأمر الصحيح، إذ يجب أن تعرف. جلست معهما في المطبخ لوقت طويل، وهم يتحدثون عن هذا في الأمر، ويراجعون ما يعرفونه، وما هو مريك ومؤلم ومثير للغضب في الأمر. نجحت في تفادي جاك في المدرسة طوال اليوم التالي، إذ لم تشعر أنها جاهزة لمواجهته. واتصل بها تلك الليلة.

قال وهو يبدو حنوناً أكثر من أي وقت مضى: "أين كنت اليوم؟ بحثت عنك في كل مكان ولم أعثر عليك". إنه يوم الخميس ويفترض أن

يتناولا العشاء معاً في اليوم التالي. حاولت إبقاء صوتها عادياً، لكن هذا كان صعباً. فهي لم تكن ترغب في مواجهته بشأن ما سمعته إلى أن يتقابلا وجهاً لوجه. فليست هذه محادثة تريد إجراءها عبر الهاتف. شعرت بالقرف طوال اليوم، ولم تنم طوال الليلة الفائتة. يصعب التصديق أن شخصاً اهتمت به إلى هذا الحد وكانت صريحة معه إلى هذا الحد، ووثقت به إلى هذا الحد، كان كاذباً معها إلى هذا الحد. إنها حقيقة محطمة للفؤاد. عادت إليها كل مخاوفها بأنها غير جيدة كفاية لكي تحب. وأملت أن يملك تفسيراً منطقياً لذلك. لكنها لم تستطع تخيل أي واحد. إنها راغبة في الإصغاء إلى ما يريد قوله، وتريد سماعه، لكن الدليل الذي أعطاها إيّاه جون كان قاطعاً.

أخبرت جاك أنها كانت مشغولة طوال اليوم بلقاء التلاميذ وأهلهم بشأن طلبات الجامعات، ودعته للمجيء إلى الشقة لتناول كأس قبل العشاء في الليلة التالية. قال إن هذه فكرة رائعة، وكان حنوناً أكثر من أي وقت مضى. لم تلحّ عليه قطّ بشأن تمضية ليلتي عطلة نهاية الأسبوع معها، ولم ترغب قطّ في أن تكون ضاغطة، لكنها قررت تجربة ذلك الآن ومعرفة ما سيقوله.

قالت ببراءة: "يمكننا فعل شيء ليلة السبت أيضاً ربما. هناك بعض الأفلام السينمائية الرائعة".

قال بنبرة ندم: "يمكننا فعل ذلك بعد ظهر يوم الأحد. إذ يجدر بي تصحيح الامتحانات طوال يوم السبت وليلة السبت. لديّ الكثير من العمل". هذا هو الجواب. تستطيع الحصول على ليلة الجمعة وبعد ظهر الأحد، ولكن ليس يوم السبت أو ليلة السبت. وبقلب حزين وانقباض كبير في معدتها، عرفت أن ما أخبرها إيّاه جون صحيح. لم تشك في الأمر أصلاً، غير أنها أملت أن يكون هناك خطأ نوعاً ما. ولكن، يبدو أنه ليس خطأ.

كانت شاردة الذهن ومتوترة في المدرسة طوال يوم الجمعة، ورأت جاك في غرفة الأساتذة لوقت وجيز في أثناء استراحة الغداء. هربت منه تقريباً، وأخبرته أنها تأخرت على اجتماع للتلاميذ. وصل إلى شقتها في

الموعد المحدد ليلة الجمعة. بدا جذاباً ومرتاحاً أكثر من أي وقت مضى. ثمة ميزة فيه تجعله يبدو صريحاً وصادقاً. فهو يوحي بالاستقامة بحيث يبدو وكأنه شخص يمكن الوثوق به. وقد وثقت به، من كل قلبها. لكن، يبدو أن حقيقته الباطنية ليست مثل مظهره. إنها حقيقة مرّة بالنسبة إليها. كانا في الشقة بمفردهما بعد أن خرج الجميع. وعرف هارلان وجون بما تنوي أن تفعله، فلقد أخبرتهما. لذا كانا في شقة جون ليفسحا لها المجال، لكنهما أخبراها أنهما جاهزان للمساعدة إذا احتاجت إليهما.

لم تعرف كيف تبدأ الحديث فيما سكبت له كأساً من الشراب بيدين مرتجفتين. ارتدت سروالاً وكنزة قديمة، وشعرت فجأة بأنها ليست جميلة، بالرغم من أنها كانت تشعر غالباً بأنها جميلة حين تكون معه. شعرت أنها بشعة، وغير محبوبة، ومعرضة للخيانة. إنه شعور مريع. لم تزعج نفسها بغسل شعرها أو وضع مستحضرات التجميل، ففكرة التنافس مع امرأة أخرى كانت غريبة بالنسبة إليها. تحطمت معنوياتها وثقتها بنفسها كما لو أنها منزل من ورق. إنّ ما حصل معها يثبت أن والدها محق، فهي لا تستحق أن تكون محبوبة.

كان جاك ينظر إليها بعناية فيما أمسك كأس الشراب. لاحظ أنها منزعجة، ولم يعرف السبب.

سأل ببراءة: "هل من مشكلة؟".

كانت يدها ترتجف وهي تضع كأسها، وانقبضت معدتها. قالت بهدوء وهي تنظر إلى عينيه: "ربما. أنت قل لي. لم أذكر الأمر قطّ من قبل. لكنّ جون صديق هارلان يعمل في مدرسة أغيليرا في البرونكس. ويبدو أن صديقة لك تعمل هناك أيضاً. أظن أنك تعرفها أكثر مما أفعل أنا. فهي تقول إنها تقيم علاقة معك منذ شهرين، وهي تراك في كل عطلة نهاية أسبوع. أظن أن هذا يجعلني غبية تماماً، وأنت غير صادق، أو شيئاً من هذا القبيل. ما الأمر جاك؟ ما القصة؟". نظرت إليه مباشرة، وحدّقت إلى عينيه، فبادلها تحديقها لدقيقة، ثم وضع كأسه جانباً، ومشى في الغرفة

للنظر إلى خارج النافذة، ثم استدار نحوها مجدداً، ولاحظت أنه غاضب. فقد تم ضبطه بالجرم المشهود.

"لا يحق لك التجسس عليّ". قال للدفاع عن نفسه، لكنه لم ينجح. لم تصدقه.

"لم أتجسس عليك. وصل الخبر إليّ وحده. أظن أنني محظوظة لأن جون أخبرني. كانت تتفاخر بك. إنه عالم صغير جاك، حتى في مدينة بحجم نيويورك. إلى متى تنوي اللعب على الحبلين، ولماذا لم تخبرني بذلك؟".

قال بغضب: "لم تسأليني قطّ. ولم أكذب عليك مطلقاً، فأنا لم أخبرك قطّ أنك الوحيدة في حياتي. وإذا كنت راغبة في معرفة ذلك، فقد كان يجدر بك سؤالي".

"ألا تظن أنه كان يجدر بك قول ذلك من تلقاء نفسك؟ نحن نرى بعضنا في كل عطلة نهاية أسبوع منذ شهرين تقريباً. ويبدو أنه الوقت نفسه الذي بدأت فيه علاقتك معها. ما الذي يجري معها؟".

قال وهو يبدو غاضباً: "لم أخبرها قطّ أنها الوحيدة هي الأخرى. وليس هذا من شأنك على كل حال. لم أصل إلى العلاقة الكاملة معك فيكتوريا. أنا لا أدين لك بأي شيء، باستثناء الصحبة الجميلة حين نخرج معاً، والسهرات اللطيفة".

"أهكذا تجري الأمور؟ ليست هذه هي القواعد التي أعتمدها. لو كنت أواعد شخصاً آخر، لكنت أخبرتك، ولكنت شعرت بأنني أدين لك بذلك، كي لا ترتبك أو تتألم. لديّ الحق في معرفة ذلك جاك. أستحق ذلك بصفتي إنسانة وبصفتي شخصاً يفترض أنك تهتم به. لم تكن المسألة مجرد عشاء. كنت تحاول إقامة علاقة. وأظن أنك كنت تفعل الشيء نفسه معها. ومن هناك أيضاً؟ هل لديك علاقات خلال أيام الأسبوع أيضاً؟ يبدو أنك رجل مشغول جداً، ولست رجلاً صادقاً. هذا أمر حقير جاك، وأنت تعرف ذلك". تلألأت الدموع في عينيها حين قالت ذلك.

قال: "نعم، لا يهم". وبدا منزعجاً منها للمرة الأولى، وبارداً الآن. لم يعجبه أن يتم فضحه أو يتم لومه على سلوكه. أراد أن يفعل ما يشاء، أياً كان الشخص الذي يتأذى، طالما أنه ليس هو. ليس الرجل الذي فكّرت فيه بأي شكل من الأشكال. لم يكن طبق اللحم المفروم مشكلة، لكن استقامته هي المشكلة، فهو لا يملك شيئاً منها. وحقيقة أنها لم تسأله قطّ ليست عذراً له لكي يخدعها. قال لها: "لا أدين لك بأي شرح". ونظر إليها بطريقة غير لطيفة. "إنها مواعدة. هذا كل في ما الأمر، وإذا كنت لا تحبين الحرارة، اخرجي من المطبخ. أو في هذه الحالة، أنا سأخرج. شكراً على الشراب". توجه بسرعة إلى الباب، وأغلقه وراءه بقوة. هكذا كان. شهران مع رجل استلطفته وصدقته، فيما كان يخدعها ويكذب عليها؛ ومن دون أي ندم على الإطلاق. لم يكترث بها. بدا ذلك جلياً. جلست فيكتوريا على الكرسي وهي ترتجف بعدما غادر، لكنها كانت فخورة بنفسها لأنها واجهته. لقد كان الأمر بشعاً وموجعاً، غير أنها قالت لنفسها إنه من الأفضل معرفة الحقيقة الآن. لكنها شعرت وكأن شخصاً ما قد مات عندما دخلت غرفتها، واستلقت على السرير، وبكت بقوة على وسادتها. كرهت ما فعله بها، والأسوأ من ذلك أنها شعرت بالقرف من نفسها. كل ما استطاعت التفكير فيه هو تلك النظرة في عينيه قبل أن يغادر، والتي كانت تقول لها إنها لو كانت تستحق ذلك لأحبها، ولكنه لم يحبها.

www.mlazna.com
^RAYAHEEN^

الفصل 14

كانت فيكتوريا لا تزال محطمة بسبب خيبة أملها بجاك بايلي عندما غادرت إلى لوس أنجلوس لتمضية مناسبة الشكر. كانت رؤية غرايسي، ومشاركة العطلة مع عائلتها أمراً حسناً، لكنها شعرت بالقرف من نفسها. لاحظت غرايسي ذلك، وحزنت عليها. عرفت كم هي غاضبة من الطعام الذي أكلته. ولاحظ الجميع أن وزنها قد ازداد. وعادت فيكتوريا إلى نيويورك يوم السبت، إذ لم يعد في وسعها تحمل المزيد.

اتصلت بالدكتورة واتسون صباح يوم الاثنين بعد مناسبة الشكر وذهبت لرؤيتها. كانتا تتحدثان عن جاك خلال الأسابيع القليلة الماضية. ومهما حاولت النظر إلى الموضوع من زوايا مختلفة، كانت لا تزال تشعر بأنها تتحمل جزءاً من اللوم نوعاً ما، وأنها لو كانت تستحق فعلاً أن تُحَبّ، لتصرف جاك بطريقة مختلفة.

قالت طبيبتها النفسية بلطف مجدداً: "ليست المشكلة في من تكونين أنت، وإنما المشكلة فيه هو؛ في افتقاده إلى الاستقامة، وعدم صراحته. ليس هذا نتيجة فشلك، وإنما فشله". عرفت فيكتوريا ذلك في عقلها، لكنها لم تستوعب الأمر عاطفياً. بالنسبة إليها، يعتمد كل شيء على ما إذا كانت تستحق الحب أم لا. وإذا لم يحبها والداها فمن سيفعل؟ حاولت ملء الفراغ بتناول علب البوظة عندما عادت إلى لوس أنجلوس في الميلاد. كانت لا تزال مكتئبة وغير قادرة على استيعاب المسألة. لم يعرف والداها أي شيء عن علاقتها مع جاك.

ولم تخبرهما عن الموضوع قطّ، وعرفت أنها لو فعلت ذلك، لكانا وجدا طريقة للومها عندما فشلت العلاقة. طبعاً لا يستطيع أن يحبها إذا كانت بدينة جداً، والمرأة الأخرى في حياته نحيلة ربما. وفي مكان ما في قرارة نفسها، اعتقدت فيكتوريا الشيء نفسه أيضاً. لم تملك قطّ الشجاعة لتسأل جون عن شكل المرأة الأخرى. وثقت برسائل والديها العلنية. الرجال يحبون فقط الفتيات اللواتي يبدون مثل غرايسي، وما من رجل يرغب في امرأة ذكية، وهي فتاة ذكية ولا تبدو مثل غرايسي. من سيرغب فيها إذاً؟ كانت لا تزال مكتئبة بشدة عندما عادت إلى نيويورك ليلة رأس السنة. كانت في الطائرة عندما أعلن القبطان عن بدء عام جديد في منتصف الليل، فوضعت فيكتوريا البطانية فوق رأسها وبكت.

كانت رؤية جاك في المدرسة مؤلمة بين الشكر والميلاد. لذا، لم تعد فيكتوريا تتناول الغداء في قاعة الأساتذة مطلقاً. وكانت تبقى في صفها، أو تقوم بنزهات في الخارج على طول النهر الشرقي. إنه تذكير قوي بضرورة عدم الانخراط في علاقة عاطفية مع شخص في العمل. فلملمة الأشلاء لاحقاً ستكون متعبة. وساد الهمس بين الأساتذة والتلاميذ، وقيل إنهما كانا يتواعدان وإنه تخلص منها. كان الأمر مذلاً فوق التصور. فعلت فيكتوريا كل ما في وسعها للاختفاء، بالرغم من أن اللوم يفترض أن يلقى على جاك. وسمعت مباشرة قبل الميلاد أنه يواعد معلمة اللغة الفرنسية التي كانت تطارده منذ أول يوم في المدرسة. شعرت بالأسف عليها، لأنها افترضت أنه لا يزال يواعد المرأة الأخرى في مدرسة جون، وليس صادقاً مع معلمة اللغة الفرنسية أكثر مما كان معها. أو ربما كانت معلمة اللغة الفرنسية أذكى منها، وعرفت كيف تطرح الأسئلة الصحيحة مثل: "هل نحن لبعضنا فقط؟"، أو ربما كذب عليها. على كل حال، لم تعد هذه مشكلة فيكتوريا على الإطلاق. لم يعد جون بايلي في حياتها. إنه حلم كاد أن يتحقق، لكنه انهار قبل أن يحصل ذلك. بالنسبة إلى فيكتوريا، إنها خسارة أمل أكثر من أي شيء آخر. حاولت هيلين وكارلا مواساتها بأكبر قدر

ممكن من اللطف، لكنها تجنبتهما أيضاً. فهي لا تريد مناقشة المسألة مع أي كان، سواء أكان في المدرسة أو خارجها. وهي لا تتحدث إلى جون وهارلان بشأن الموضوع أيضاً؛ فلقد انتهى. لكنهما لاحظا كم أثر الأمر فيها سلباً.

شعرت بالامتنان عندما ذهبت في رحلة مدرسية مع غرايسي في شهر يناير، خلال عطلة نهاية أسبوع طويلة. ذهبتا لزيارة ثلاث جامعات في الشرق، لكن غرايسي كانت مصممة على البقاء في الساحل الغربي. إنها فتاة كاليفورنية، لكنهما استمتعتا بالرحلة على كل حال. إنها فرصة رائعة لتكونا معاً. ولم تقل غرايسي أي شيء عندما تناولت فيكتوريا طبقاً عملاقاً من اللحم والبطاطا المشوية مع الكريما الحامضة، ومن ثم بوظة صانداي عندما خرجتا لتناول العشاء، فقد عرفت كم هي حزينة على فراق جاك. كانت فيكتوريا نفسها مدركة أن أكبر السراويل لديها بات ضيقاً بعد مناسبة الشكر. وعرفت أنّ عليها فعل شيء حيال ذلك، لكنها غير مستعدة بعد. ليست مستعدة للتخلي عما أسمته طبيبتها النفسية *القنينة تحت السرير* وهي في حالتها الأطعمة المسببة للبدانة. على المدى الطويل، أدى تناولها هذه الأطعمة إلى شعورها بسوء أكبر، تماماً مثل المدمن على الكحول، لكنه منحها الراحة لبعض الوقت.

إحدى أبرز محطات زيارة غرايسي لأختها كانت تمضية يوم مع فيكتوريا في المدرسة. فقد دخلت صفوفها، واستمتعت بالتحدث إلى التلاميذ. وتعرف التلاميذ أكثر إلى فيكتوريا عندما التقوا أختها الصغرى. لقيت غرايسي ترحيباً كبيراً في الصف، وتحدثت إلى الآخرين بسهولة، وكانت محط تركيز كل الشباب الذين أرادوا عنوان بريدها الإلكتروني، ومعرفة إن كانت مشتركة في الفايسبوك، وهي كذلك فعلاً. أعطتهم عنوان بريدها الإلكتروني كما لو أنه هدية، وتمسكوا به. شعرت فيكتوريا بالارتياح لأن غرايسي غادرت قبل أن تقلب صفوفها رأساً على عقب. باتت جميلة أكثر من أي وقت مضى مع اقترابها من الثامنة عشرة من

www.mlazna.com-RAYAHEEN

عمرها، ممّا جعل فيكتوريا تشعر فجأة بأنها كبيرة وعملاقة. شعرت بالاكتئاب لدى تفكيرها في أنها ستبلغ الخامسة والعشرين بعد أشهر قليلة. ربع قرن. وماذا فعلت خلاله؟ كل ما استطاعت التركيز عليه هو أنه لا يوجد رجل في حياتها ولا تزال تحارب وزنها. لديها وظيفة وأخت تحبها ولا شيء آخر. لا تملك حبيباً، ولم تملك يوماً واحداً جدياً، واقتصرت حياتها الاجتماعية على هارلان وجون. لا يبدو هذا كافياً في عمرها. وانتقدتها الدكتورة واتسون عندما رأتها في المرة التالية، حين أخبرتها فيكتوريا عن الجولة الجامعية التي قامت بها مع غرايسي وكم كانت ممتعة بالنسبة إليها.

قالت طبيبتها النفسية بهدوء: "أريد أن أطرح عليك سؤالاً لتفكري فيه". بانت فيكتوريا معتمدة عليها في العام ونصف العام الماضي وتقدر كثيراً ما تقوله. "هل تظنين أنك تحتفظين بالزيادة في وزنك كي لا تتنافسي مع أختك الصغيرة الجميلة؟ أنت تهربين من نفسك بالاختباء في جسمك. فربما كنت تخشين أنك إذا خسرت الوزن، فلن تتمكني من منافستها، أو لا تريدين ذلك".

رفضت فيكتوريا رفضاً قاطعاً ما قالته وأجابت: "لست مجبرة على التنافس مع أختي التي تبلغ من العمر سبعة عشر عاماً، ولا يجدر بي ذلك. إنها صغيرة وأنا راشدة".

"كلتاكما من النساء، ولقد حرّضكما والدكما على بعضكما. كما أخبرك والداك أنك لست جيدة كفاية، فيما هي بلى، منذ اليوم الذي ولدت فيه. هذا عبء ثقيل عليكما معاً، وخصوصاً عليك أنت. لذا، انسحبت من المنافسة". إنها نقطة مثيرة لا تريد فيكتوريا سماعها.

أصرّت فيكتوريا: "كنت بدينة قبل أن تولد".

"بدينة مقارنة مع أختك. لا تخلطي الأمور. لكن الوزن الزائد مختلف". كانت الطبيبة النفسية توحي بأنه غطاء واقٍ تضعه؛ بذلة تمويه تمنع الأشخاص من رؤيتها كامرأة، بالرغم من أنها فتاة جميلة. لكنها ليست

جميلة بقدر غرايسي. لذا، انسحبت من المنافسة واختفت في جسم جعلها غير منظورة بالنسبة إلى معظم الشباب، باستثناء الشاب الصحيح في النهاية. إلا أن طبيبتها النفسية أملت أن تتخلص من وزنها الزائد قبل ذلك، لأن هذا يجعلها غير سعيدة.

سألت فيكتوريا، وهي تبدو غاضبة قليلاً: "هل تقولين إنني لا أحب أختي؟".

أجابت طبيبتها بهدوء: "لا. أنا أقول إنك لا تحبين نفسك". صمتت فيكتوريا هنيهة طويلة، فيما انهمرت الدموع على وجنتيها. عرفت منذ وقت طويل سبب وجود علبة المناديل الورقية، ولماذا يستخدمها الأشخاص غالباً.

في ربيع السنة الثانية لفيكتوريا في مدرسة ماديسون، عرضوا عليها وظيفة دائمة في قسم اللغة الإنكليزية. وشعرت بالارتياح عندما عرفت أنه لم يتم تجديد عقد جاك بايلي. سرت شائعة حوله، وقيل له إنه غير جيد *كفاية*. لكن علاقته الساخنة مع معلمة اللغة الفرنسية بانت بشعة، وكانا يتشاجران في الممرات، وضربته المجنونة الباريسية في قلب المدرسة. بعد ذلك، أقام جاك علاقة عاطفية مع والدة أحد التلاميذ، وهذا أمر ممنوع في المدرسة. شعرت فيكتوريا بالارتياح لأنه سيغادر. فقد كانت تتألم كلما صادفته في الممرات، فقد كان ذلك تذكيراً لها بأنها غير ملائمة نوعاً ما وغير كافية له ليحبها، وكان هو غير صادق وحقيراً.

تحمست للحصول على وظيفة دائمة وعدم القلق بشأن المسألة كل سنة. أصبحت مستقرة الآن في ماديسون، ويمكنها الإحساس بنوع من الاستقرار في عملها. شعرت هيلين وكارلا بالحماسة عندما أخبرتهما ودعتهما لتناول الغداء خارجاً. واحتفلت بالخبر تلك الليلة مع هارلان وجون. كان بيل قد غادر المنزل للعيش مع جولي، واستلم جون غرفته القديمة وبات يستعملها بمثابة مكتب. كان جون إضافة جيدة إلى المجموعة،

وأحبته باني أيضاً، وباتت تمضي المزيد من الوقت في بوسطن، وأحست فيكتوريا أنها ستغادر الشقة قريباً هي أيضاً وربما ستتزوّج. بما أنهم عازبون، كانوا يتنقلون باستمرار، لكنها لن تذهب هي وجون وهارلان إلى أي مكان. لم تزعج نفسها بالاتصال بوالديها بشأن الوظيفة، لكنها أخبرت غرايسي التي باتت على مسافة شهرين من التخرج، وكانت مسرورة كثيراً لقبولها في جامعة جنوب كاليفورنيا. وهي تنوي العيش في مباني الجامعة. سيفرغ منزل والديها في النهاية، ولم يكونا سعيدين بذلك، لكنها أصرت فاستسلما لها في النهاية. صعقت فيكتوريا لأنهما انزعجا عندما عرفا بانتقال غرايسي إلى مباني الجامعة أكثر من انزعاجهما من انتقالها هي مسافة ثلاثة آلاف ميل. مهما يحصل، تبقى غرايسي صغيرة والدها وحبيبته، وفيكتوريا كبك الاختبار. لم يتخلصا منها، لكنهما قد يفعلان ذلك. افتقادهما إلى العاطفة تجاهها أحدث ضرراً كبيراً. وبالنسبة إلى فيكتوريا، إنها حقيقة علاقتها معهما.

www.mlazna.com
^RAYAHEEN^

الفصل 15

كان تخرج غرايسي احتفالاً كبيراً. ففيما تم التعاطي مع تخرج فيكتوريا، حتى من الجامعة، بهدوء كبير، سمح والداها لغرايسي بدعوة مئة شخص للاحتفال معها في الفناء الخلفي للمنزل، فيما تولى والدها الشواء وتحضير الدجاج وشرائح اللحم والبرغر والهوت دوغ. وكان هناك عدد من الندل الذين ارتدوا قمصاناً قطنية وسراويل جينز. فرح الأولاد كثيراً. وذهبت فيكتوريا إلى منزلها لحضور الحفلة والتخرج في اليوم التالي. بدت غرايسي رائعة في ثوب التخرج. وبكى والدها فعلاً عندما حصلت على شهادتها. لم تتذكر فيكتوريا أنه شعر بذلك تجاهها، ربما لأنه لم يبك. وكانت أمها متأثرة جداً. إنها مناسبة عاطفية جداً. وتعانقت الأختان بعد ذلك وبكتا.

ضحكت فيكتوريا عبر دموعها فيما عانقت أختها: "لا أصدق ذلك. لقد كبرت طفلتي الصغيرة! كيف تجرؤين على الذهاب إلى الجامعة؟ أنا أكره ذلك!".

تمنت أيضاً لو أن غرايسي حاولت بكدّ أكبر دخول جامعة في نيويورك، بدلاً من البقاء في لوس أنجلوس. فقد كانت تود لو بقيت قريبة منها، لتكون لديها عائلة في نيويورك. لكنها أحبت أيضاً فكرة ابتعاد أختها الصغيرة عن تأثير والديها الكبير. لقد سيطرا عليها، وكان والدها قوة كبيرة في حياتها، وحاول التأثير في كل رأي من آرائها. لم تستطع فيكتوريا تحمل ذلك مطلقاً، لكن غرايسي تشبعت من ذلك؛ من أسلوب عيشهما، وآرائهما، وسياساتهما، وفلسفتهما بشأن الحياة، وهناك الكثير من

الأمور التي تتفق فيها معهما، لا بل تعجبها فيهما. لكن غرايسي تملك والدين مختلفين تماماً عن والدي فيكتوريا. تملك غرايسي والدين يعشقانها ويحبانها كثيراً، ويدعمان كل خطواتها وقراراتها. وهذا أمر مهم جداً. فهي لا تملك سبباً للتمرد عليهما، أو حتى للانفصال عنهما. لقد فعلت كل شيء رأى والدها أنه يجدر بها فعله. كان مثلها الأعلى. أما فيكتوريا فامتلكت والدين تجاهلاها، وسخرا منها، ولم يوافقا مطلقاً على أي خطوة من خطواتها. تملك فيكتوريا سبباً جيداً للابتعاد عنهما، فيما تملك غرايسي العديد من الأسباب المقنعة للبقاء قرب المنزل. يستحيل التصديق كم أن حياتيهما وخبراتهما مختلفة مع الوالدين نفسيهما. الأمر مثل الليل والنهار، مثل الإيجابي والسلبي. يتوجب على فيكتوريا أحياناً تذكير نفسها كم كانت الحياة سهلة بالنسبة إلى غرايسي، وكم كان والداها أكثر لطفاً معها، ويتوجب عليها أن تشرح لنفسها لماذا لا تريد غرايسي الانفصال عنهما. إنه قرار كبير اتخذته غرايسي حين قرّرت العيش في مباني الجامعة بدلاً من البقاء في المنزل. تبدو هذه خطوة كبيرة، بالرغم من أنها خطوة صغيرة جداً مقارنة مع خطوة أختها الكبرى. لا تزال فيكتوريا تعتقد أن والديها مؤذيان، وأن والدها نرجسي، وكانت تفضل رؤية أختها وهي تحصل على مساحة تنفس أكبر من والديها، لكنها لا تريد ذلك. ففي الواقع، فضلت غرايسي البقاء قريبة منهما.

هدية التخرج من فيكتوريا كانت كبيرة. كانت حريصة على مالها، وادخرت كل ما في وسعها. لم تكن مبذرة بالرغم من أنها كانت تعيش في نيويورك. وعرضت على غرايسي اصطحابها إلى أوروبا كهدية للتخرج. فقد سبق لهما أن ذهبتا مع والديهما عندما كانتا أصغر سناً، لكن والديها لم يهتما بالسفر منذ أعوام عدة. لذا، قررت فيكتوريا اصطحاب غرايسي إلى باريس ولندن والبندقية في شهر يونيو، وإلى روما إذا كان لديهما الوقت. تحمست غرايسي كثيراً بحيث لم تصدق الأمر، وكذلك الأمر بالنسبة إلى فيكتوريا. وكانتا تنويان السفر لمدة ثلاثة أسابيع، وتمضية أربعة أو خمسة

أيام في كل مدينة. ومع وظيفة فيكتوريا الجديدة في ماديسون، حصلت على علاوة أتاحت لها عدم العمل هذا الصيف. بعد الذهاب إلى أوروبا مع غرايسي في شهر يونيو، كانت تنوي القيام برحلة إلى ماين مع هارلان وجون في شهر أغسطس.

خططت غرايسي لمليون مشروع قبل أن تبدأ الجامعة في أواخر شهر أغسطس. أدركت فيكتوريا، مثلما فعلت غرايسي، أن الأمور ستتغير الآن معهم جميعاً. فلقد نضجت، وفيكتوريا تعيش بعيداً. وصار والداها يملكان فرصة ليكونا أكثر استقلالية وليفعلا أشياء بمفردهما. سيجتمعون كلهم في عطلات الأعياد، لكن باستثناء ذلك سيعيش كل واحد منهم حياته. باستثناء فيكتوريا التي تملك وظيفة، ولكنها لا تملك حياة. فهي لا تزال تحاول إيجاد واحدة لنفسها. في عمر الخامسة والعشرين، لا تزال تشعر بأن الطريق طويلة جداً أمامها. وهي تتساءل أحياناً إذا كانت ستصل إلى مرادها، وبدأت تقول عن نفسها عن طريق المزاح إنها الأخت العانس لغرايسي. يبدو أحياناً وكأن هذا قدرها.

من جهة أخرى، لدى غرايسي عشرات الشباب الذين يطاردونها طوال الوقت، والذين تستلطف بعضهم، ولا تستلطف بعضهم الآخر، وتشعر بالافتتان تجاه واحد أو اثنين منهم، ولا تعرف أياً منهم تختار. لم يكن العثور على الشباب مشكلة بالنسبة إليها في يوم من الأيام. أما فيكتوريا فتثبت أن والديها كانا محقين في كل مرة. فهي ليست جميلة كفاية للعثور على رجل حسب والدها، وبدينة جداً للفت أنظار أحد. وبالنسبة إلى أمها، إنها ذكية كفاية ممّا لا يتيح لها فرصة الاحتفاظ بواحد. على كل حال، لا تملك أحداً في حياتها.

غادرتا إلى باريس في اليوم الذي تلا إغلاق مدرسة فيكتوريا في نيويورك. وجاءت غرايسي إلى نيويورك مع حقيبتين مليئتين بالثياب الصيفية، وغادرت الفتاتان إلى المطار في وقت مبكر من صباح اليوم التالي. أخذت فيكتوريا حقيبة واحدة، وتحققت من أمتعتهما في المطار، فيما

تحدثت غرايسي إلى أصدقائها عبر الهاتف الخلوي. شعرت فيكتوريا وكأنها مرشد سياحي في رحلة مدرسة ثانوية، لكنها كانت متشوقة فعلاً للسفر مع أختها. صعدتا إلى الطائرة بمعنويات مرتفعة، وكانت غرايسي لا تزال تكتب الرسائل الهاتفية عندما طلبت منها مضيفة الطائرة إيقاف هاتفها عن العمل. كانت فيكتوريا تحمل جوازي السفر الخاصّين بهما، وتشعر أحياناً أنها أم غرايسي وليست أختها.

تحدثتا، وأكلتا، ونامتا، وشاهدتا فيلمين في الرحلة إلى باريس، والتي امتدت ست ساعات. انتهت الرحلة قبل أن تدركا ذلك، وهبطت الطائرة في مطار شارل ديغول عند الساعة العاشرة ليلاً. إنها الساعة الرابعة من بعد الظهر بالنسبة إلى توقيتهما، لقد نامتا قليلاً عندما كانتا على متن الطائرة، ولذلك لم تشعر أي منهما بالتعب، وكانتا متحمستين للنظر حولهما فيما توجهتا إلى المدينة في سيارة أجرة. ستنفق فيكتوريا قسماً كبيراً من مدخراتها في الرحلة، وأرسل لها والدها شيكاً بمبلغ كبير لمساعدتها، فشعرت بالامتنان لذلك.

بناء على طلب فيكتوريا بلغة فرنسية متعثرة، أخذهما سائق السيارة إلى ساحة الفاندوم، مروراً أمام فندق الريتز. شاهدتا بحماسة جمال ساحة الكونكورد، مع كل الأضواء على النوافير، ثم انتقلتا إلى الشانزيليزيه في اتجاه قوس النصر. انعطفتا نحو الجادة العريضة فيما انفجر برج إيفل بالأنوار المتلألئة، وهذا ما يحصل على مدى عشر دقائق كل ساعة. ذهلتا من جمال كل ذلك، ونظرت غرايسي حولها بدهشة كبيرة. وكان هناك علم فرنسي عملاق يرفرف فوق قوس النصر.

قالت غرايسي، وهي تنظر إلى أختها: "يا الله. لن أعود إلى المنزل أبداً". ابتسمت فيكتوريا، وأمسكتا بيدي بعضهما، فيما أخذهما السائق في جولة وسط الازدحام الكبير حول قوس النصر، ثم عادتا إلى الشانزيليزيه مجدداً، نحو نهر السين، وشاهدتا الإنفاليد الذي يحتوي قبر نابوليون، ثم عبرتا جسر ألكسندر الثالث وصولاً إلى الضفة الغربية. ستنزلان في فندق

صغير سمعت فيكتوريا عنه، في شارع جاكوب. كانتا تنويان السفر بأقل كلفة ممكنة، والنزول في فنادق صغيرة، وتناول الطعام في المقاهي، والذهاب إلى المعارض والمتاحف. فميزانيتهما صغيرة بالنسبة إلى رحلة تعرف الفتاتان أنهما ستذكرانها طوال حياتهما. إنها هدية رائعة من فيكتوريا إلى أختها.

تناولتا حساء البصل تلك الليلة في مطعم صغير عند زاوية فندقهما. وبعد العشاء، تنزهتا حول الضفة الغربية، ثم عادتا إلى الفندق، وصعدتا إلى غرفتهما، وتحدثتا حتى نامتا. بدأت غرايسي تتلقى رسائل هاتفية من أصدقائها ما إن أعادت تشغيل هاتفها في المطار، واستمرت تلك الرسائل طوال الليل.

تناولت الفتاتان الكرواسان والقهوة بالحليب في ردهة الفندق في صباح اليوم التالي، ثم ذهبتا سيراً على الأقدام إلى متحف الرودين في شارع فارين، ومن هناك إلى بولفار سان جيرمان، النابض بالحيوية، حيث شربتا القهوة في مطعم الفنانين القدامى **أو دو ماغو**. بعد ذلك، ذهبتا إلى اللوفر، وأمضتا فترة بعد الظهر وهما تشاهدان الكنوز الشهيرة.

أرادت غرايسي رؤية متحف بيكاسو، وهذا ما فعلتاه في اليوم التالي. تناولتا العشاء في **بلاس دي فوج**، إحدى أقدم ساحات المدينة، في الماريه. وبعد ذلك، ركبتا الباتو موش في نهر السين الذي تضيئه الأنوار.

شاهدتا معرضاً فنياً في **الغران باليه**، وتنزهتا في **البوا دو بولون**، وزارتا ردهة فندق الريتز، وتجولتا في شارع السلام. شعرتا بأنهما تنزهتا في كل باريس في الأيام الخمسة التي مضت على وجودهما فيها. لقد رأتا كل ما أرادتا رؤيته قبل أن تغادرا إلى لندن، وكانتا هناك بالحيوية نفسها. فقد ذهبتا إلى معرض **تايت**، ومتحف **فيكتوريا وألبرت**، ومتحف **مدام توسو** للشمع في أول يومين. ورأتا المجوهرات الملكية في برج لندن، وتبديل الحرس في قصر بكنغهام، وزارتا الاسطبلات، وذهبتا إلى دير **ويستمنستر**، وتنزهتا في عظمة شارع **نيو بوند**، ونظرتا إلى كل المتاجر

الباهظة التي لا تستطيعان دخولها. دللت فيكتوريا نفسها بحقيبة يدوية باهظة من محلات **برنتان دو باري**، واشترت غرايسي القمصان القطنية وسراويل الجينز الغربية من **كينغس رود** في لندن، لكنهما أحسنتا التصرف وأنفقتا المال بحكمة. في الليل، تناولتا العشاء في مطاعم صغيرة، وتوقفتا أمام محلات الشطائر خلال النهار. نجحتا في فعل كل شيء ورؤية كل شيء، وتحقق والداهما من برنامجهما بشكل يومي لأن غرايسي كانت معها، مثلما أدركت فيكتوريا، وقالا إنهما مشتاقان إليها.

مضى على غيابهما أسبوعان تقريباً عندما سافرتا من لندن إلى البندقية، وتباطأت وتيرتهما بشكل جذري عند وصولهما إلى هناك. كان وصولهما إلى القناة الكبرى مبهراً فعلاً، ودفعت فيكتوريا المال للذهاب بالجندول إلى فندقهما، فيما استلقت غرايسي بسعادة في القارب وبدت مثل أميرة. منذ لحظة وصولهما إلى إيطاليا، كان كل رجل في الشارع ينظر إليهما، وعندما تنزهتا في مدينة البندقية، لاحظت فيكتوريا مرات عدة رجالاً يلحقون بهما ويحدقون إلى أختها الصغرى.

تنزهتا لساعات طويلة في الشوارع الضيقة، ودخلتا الكنائس. وعندما توقفتا أخيراً لتناول الغداء، طلبت فيكتوريا طبقاً عملاقاً من المعكرونة وأكلته كله، فيما تذوقت غرايسي القليل من طبقها وقالت إنه لذيذ. كانت متحمسة كثيراً لتناول الكثير، وكان الطقس حاراً. لم تتوقفا عن الحركة لدقيقة واحدة. وأجمعتا بعد ذلك على أن البندقية هي مدينتهما المفضلة. تنزهتا، وأكلتا، واسترختا هناك، وتحركتا بوتيرة أبطأ، وأمضتا ساعات في المقاهي الخارجية، واكتفتا بتأمل الأشخاص. أصرّت غرايسي على شراء مشبك صغير لأمهما، الأمر الذي لم يخطر لفيكتوريا، لكنها اعترفت بأنه مشبك جميل جداً، وأن الفكرة رائعة فعلاً. اشترتا ربطة عنق لوالدهما من محلات **برادا**، وتذكارات سخيفة لنفسيهما. رأت فيكتوريا سواراً ذهبياً في أحد المتاجر وأحبته كثيراً، لكنها قررت أنها لا تستطيع شراءه، واشترت غرايسي علبة موسيقية على شكل جندول تعزف أغنية إيطالية لا تعرفانها.

كانت أيامهما ولياليهما في مدينة البندقية رائعة فعلاً. زارتا قصر **دوج**، وكل دار عبادة مهمة مذكورة في الدليل السياحي. ركبتا في الجندول تحت جسر الأمنيات، وتعانقتا عندما أصبحتا تحته، وهذا ما يفترض أن يعني أن تبقيا معاً إلى الأبد، بالرغم من أن هذا الوعد مخصص للعشاق فقط. إلا أن غرايسي أصرّت على أن الأمر ينطبق عليهما أيضاً. وفي سهرة أنيقة، ذهبتا إلى **هاريس بار**، حيث تناولتا وجبة عملاقة. الطعام في مدينة البندقية رائع، وتناولت فيكتوريا في كل وجبة طعام الأرز أو المعكرونة مع صلصات لذيذة، فيما تناولت التيراميسو للتحلية. ليس للأمر علاقة بالطعام المريح لها، وإنما بالمطبخ الإيطالي اللذيذ، بالرغم من أن التأثير في جسمها هو نفسه تقريباً.

حزنتا عندما حان وقت المغادرة والسفر إلى روما لإنجاز آخر قسم من الرحلة. هناك، تنزهتا، وتسوقتا، وزارتا دور العبادة والمعالم الأثرية. تنزهتا حول **الكولوزيوم**. وكانتا مرهقتين وإنما سعيدتين في نهاية الرحلة. إنها رحلة لا تنسى مثلما أملت فيكتوريا، ومحطة في حياتيهما وذكرى عرفتا أنها ستبقى محفورة في قلبيهما إلى الأبد. رمت كل منهما قطعة نقود معدنية في نافورة **تريفي**، ووجدتا طريقهما إلى مقهى خارجي في **فيا فينيتو**، حيث اتصل بهما والدهما. كان يتحرق شوقاً لعودتهما إلى المنزل، وبدت غرايسي متحمسة لرؤيته أيضاً. وكانتا تنويان السفر من روما إلى نيويورك. إذ ستمضي غرايسي يومين مع أختها في نيويورك، ثم تعود إلى لوس أنجلوس بمفردها. وعدتها فيكتوريا بالذهاب لمساعدتها على الاستقرار في المبنى الجامعي في شهر أغسطس، لكنها لا تنوي أبداً تمضية الوقت في لوس أنجلوس هذه السنة. أصبحت حياتها الآن في نيويورك، وعرفت أن غرايسي ستكون مشغولة مع أصدقائها قبل أن يذهب كل واحد منهم إلى جامعة مختلفة. شعرت فيكتوريا بالارتياح لأنها لن تمضي أسبوعين أو ثلاثة أسابيع مع والديها. فقد احتاجت إلى الوقت للاسترخاء في نيويورك.

في الرحلة من روما إلى نيويورك، تحدثتا عن كل ما فعلتاه ورأتاه. وشعرت فيكتوريا بالارتياح لعدم وجود لحظة سيئة واحدة في الرحلة. كانت الرحلة ممتعة مع غرايسي. وبالرغم من اختلاف آرائهما حول والديهما، فقد حرصت فيكتوريا على عدم التطرق إلى الموضوع. تحدثتا عن أمور أخرى. وشكرتها غرايسي كثيراً على الرحلة المذهلة. كانتا في منتصف الطريق إلى نيويورك عندما أعطتها غرايسي علبة صغيرة ملفوفة بورق هدايا إيطالي، مع شريط أخضر صغير. بدت غامضة ومتحمسة عندما أعطت أختها الكبرى الهدية، وشكرتها مجدداً على الرحلة المذهلة، وقالت إنها أفضل هدية تخرج في العالم.

فتحت فيكتوريا العلبة بعناية، وشعرت بشيء ثقيل داخلها. ثمة كيس من المخمل الأسود الناعم، وعندما فتحته، رأت السوار الذهبي الجميل الذي أحبته في البندقية، وقررت عدم شرائه لنفسها.

"آه! غرايسي، هذا جنون!". كرم غرايسي قطع أنفاسها، ووضعت غرايسي السوار حول معصم فيكتوريا.

قالت لأختها بفخر: "اشتريته من أموالي، ومن المال الذي أعطاني إياه بابا للرحلة".

قالت فيكتوريا: "لن أنزعه أبداً". فيما انحنت صوب أختها وقبّلتها.

قالت غرايسي بسعادة: "لم أقضِ قطّ مثل هذا الوقت الرائع في حياتي، ولن أفعل ذلك أبداً مجدداً. أنا حزينة لأن الرحلة قد انتهت".

اعترفت لها فيكتوريا: "وأنا أيضاً. نستطيع ربما تكرارها مجدداً في وقت ما، عندما تتخرجين من الجامعة". ابتسمت بحزن. بدتا وكأن هناك حياة كاملة تفصل بينهما الآن، لكن فيكتوريا عرفت كيف ستمرّ السنوات بسرعة. يبدو تخرّجها من الثانوية وكأنه حصل البارحة، وها قد أصبح عمرها الآن خمسة وعشرين عاماً، ولقد تخرجت من الجامعة قبل ثلاثة أعوام. وعرفت أن الأمور ستحصل بالسرعة نفسها مع أختها الصغرى.

تحدثتا لوقت طويل خلال الرحلة، ثم خلدتا إلى النوم أخيراً. استيقظتا عند هبوط الطائرة في نيويورك. من المحزن التفكير في أن الرحلة قد انتهت. الوقت الذي أمضتاه معاً كان رائعاً، فنظرتا إلى بعضهما وابتسمتا بحزن عند هبوط الطائرة، وتمنّتا لو أنهما تستطيعان تكرار الرحلة كلها مجدداً.

احتاجتا إلى ساعة كاملة لإحضار حقائبهما والانتهاء من ترتيبات الأمن، وإلى ساعة أخرى للوصول إلى المدينة بواسطة سيارة أجرة. وعندما وصلتا إلى أمام مبنى فيكتوريا، بدت روما والبندقية ولندن وباريس وكأنها على مسافة دهر كامل.

قالت غرايسي بحزن: "أريد العودة". فيما دخلت مع فيكتوريا الشقة. إنها نهاية الأسبوع، والجميع في الخارج، والمكان كله لهما.

قالت فيكتوريا: "وأنا أيضاً". فيما قرأت ملاحظة من هارلان الذي كان يرحب بعودتها إلى المنزل. ترك بعض الأغراض في البراد كي تتمكن من تحضير الفطور لغرايسي. ووضعت فيكتوريا حقائبهما في غرفة نومها وهي تشعر بأن العودة إلى المنزل أمر غريب.

خلدتا إلى السرير باكراً تلك الليلة، بعد الاتصال بوالديهما لإخبارهما أنهما وصلتا بخير. لطالما حرصت غرايسي على ذلك، فهي لا تريدهما أن يقلقا. لم تعش قطّ مرحلة التمرد، وتتمنى فيكتوريا أحياناً لو أنها فعلت ذلك. فهذا ربما أفضل من البقاء بالقرب من والديها. أملت أن تعثر غرايسي الآن على بعض الاستقلالية في الجامعة، لكنها أحست أن والديها سيرغبان في مكوثها في المنزل طوال الوقت. فرحت فيكتوريا لأنها ذهبت إلى نورث ويسترن، لكنهما لم يتعلقا بها قطّ بهذا القدر. فقد كانت غرايسي طفلتهما المدللة.

في صباح اليوم التالي، حضّرت فيكتوريا التوست الفرنسي للفطور، ثم استقلتا القطار الكهربائي إلى سوهو، وتنزهتا بين البائعين المتجولين والناس والسياح. كانت الشوارع مزدحمة، وتناولتا الغداء في مقهى صغير جانبي. لكن الأمر لم يكن شبيهاً بأوروبا مطلقاً، وأجمعتا على أنهما تتمنيان

العودة إلى البندقية؛ فقد كانت أجمل شيء في رحلتهما. ووضعت فيكتوريا بفخر السوار الذهبي الجميل الذي اشترته لها غرايسي.

أمضتا نهار الأحد في حضور حفل موسيقي في سنترال بارك، وتناولتا العشاء بعدما وضبت غرايسي حقائبها مجدداً. رتبت فيكتوريا كل أغراضها. وجلست الفتاتان تتحدثان أمام طاولة المطبخ حتى وقت متأخر من الليل. لن يعود الآخرون قبل يوم الاثنين، وعطلة نهاية الأسبوع القادمة هي عطلة الرابع من يوليو. تملك غرايسي مليون مشروع في لوس أنجلوس، فيما لا تملك فيكتوريا أي مشروع في نيويورك. إذ سيذهب جون وهارلان إلى فاير آيلند، وباني إلى كاب كود.

اصطحبت فيكتوريا أختها إلى المطار في صباح اليوم التالي، وبكت الفتاتان. إنها نهاية رحلة جميلة، ونهاية وقت رائع أمضتاه معاً، وشعرت فيكتوريا وكأن شخصاً ما قد مزق قلبها بعدما غادرت غرايسي، واستقلت الباص للعودة إلى المدينة. أرسلت غرايسي رسالة هاتفية إلى فيكتوريا قبل إقلاع الرحلة. "إنها أفضل إجازة في حياتي كلها، وأنت أفضل أخت. أحبك إلى الأبد. غ". تلألأت الدموع في عيني فيكتوريا عندما قرأت الرسالة، وعندما عادت إلى شقتها، اتصلت بالدكتورة واتسون. فرحت لدى معرفتها أن الطبيبة تستطيع استقبالها بعد الظهر.

فرحت فيكتوريا برؤيتها، وأخبرتها عن الرحلة، وقالت لها كم كانت غرايسي رائعة، وكم استمتعتا معاً، وأرتها السوار الذي وضعته حول معصمها، وضحكت عندما أخبرتها عن الرجال الذين طاردوا غرايسي في إيطاليا.

سألتها الطبيبة بهدوء: "وماذا عنك أنت؟ من طاردك؟".

"هل تمزحين؟ بيني أنا وغرايسي، من سيطاردون برأيك؟".

أكدت الدكتورة واتسون: "أنت أيضاً امرأة جميلة". فهمت الآن ما فعلته فيكتوريا لأختها الصغرى، وأملت أن تكون قد حصلت في المقابل على دعم عاطفي كافٍ لنفسها.

اعترفت فيكتوريا لطبيبتها: "غرايسي فاتنة. لكنني أخشى مدى قربها من والديّ. لا أظن أن الأمر صحي. إنهما لطيفان معها أكثر مما كانا معي، لكنهما يكبتانها، ويعاملانها وكأنها ملكٌ لهما. ويملأ والدي رأسها بكل أفكاره. إنها تحتاج إلى أفكارها الخاصة بها".

قالت الطبيبة بطريقة فلسفية: "إنها صغيرة. ستحقق ذلك، أو ربما لن تفعل. إنها تشبههما أكثر مما تظنين. قد يكون هذا مريحاً لها".

قالت فيكتوريا: "أتمنى ألا يحصل ذلك". ووافقت الطبيبة النفسية على ذلك، لكنها عرفت أيضاً أن الأمور لا تحصل دوماً بهذه الطريقة. وليس الجميع شجعاناً بقدر فيكتوريا، بحيث يملكون القدرة على التحرر والانتقال إلى نيويورك.

"ماذا عنك أنت؟ ما الذي تريدين فعله هذه الأيام فيكتوريا؟ ما هي أهدافك؟".

ضحكت حين سمعت السؤال. إنها تضحك غالباً حين تريد البكاء فعلاً. الأمر أقل رعباً هكذا. "أريد أن أنحف وأعيش حياتي، وأن ألتقي رجلاً يحبني، وأحبه أنا". ازداد وزنها خلال الرحلة، وأرادت التخلص منه في بقية الصيف.

سألتها الطبيبة النفسية بهدوء بشأن الرجل الذي تأمل فيكتوريا لقاءه: "وماذا تفعلين لكي يحصل ذلك؟".

"لا شيء في الوقت الحاضر. لقد عدت في عطلة نهاية الأسبوع هذه. ليس سهلاً التعرف إلى الأشخاص. كل الذين أعرفهم متزوجون، أو في علاقة عاطفية".

"ربما أنت بحاجة إلى التفتح أكثر، وتجربة أمور جديدة. أين أنت هذه الأيام من وزنك؟". فهي عادة إمّا تقوم بحمية غذائية أو في يأس تام.

"تناولت الكثير من المعكرونة في إيطاليا والكرواسان في باريس. أظن أنّ عليّ دفع الفاتورة الآن". اشترت كتاباً عن أحدث حمية غذائية شائعة قبل أن تسافر ولم تقرأه بعد. "إنها معركة على الدوام". ثمة شيء

www.mlazna.com-RAYAHEEN

يمنعها من خسارة الوزن الذي تريده. وهي واثقة بالرغم من ذلك أن رجل أحلامها يقف على الجانب الآخر من قوس قزح الوزن.

"أتعرفين؟ قد تجدين شخصاً في يوم من الأيام يحبك مثلما أنت. لست بحاجة إلى اعتماد حمية غذائية قاسية للعثور على رجل. لا شك في أن تخفيف الوزن جيد للصحة. لكن، لا يفترض بحب حياتك أن يعتمد على ذلك".

قالت بحزن: "لن يحبني أحد إذا كنت بدينة". إنها الرسالة التي لقنها إياها والدها طوال سنوات، على شكل لعنة تقريباً.

قالت الطبيبة النفسية بهدوء: "هذا ليس صحيحاً. الشخص الذي يحبك سيحبك وأنت بدينة أو نحيفة أو في أي شكل من الأشكال". لم تجب فيكتوريا، وبدا جلياً أنها لم تصدق ما قالته الدكتورة واتسون. إنها تعرف ذلك جيداً. لن يطرق أي رجل بابها، أو يوقفها في الشارع لطلب رقم هاتفها، أو يطلب الخروج معها. "يمكنك اللجوء دوماً إلى اختصاصية التغذية. نجح الأمر معك قبلاً". لقد ناقشتا برنامج وايت واتشرز مرات عدة، لكنها لم تذهب إلى هناك قطّ، فقد قالت إنها مشغولة جداً.

"نعم، أظن أنني سأتصل خلال أسابيع قليلة". أرادت الاستقرار أولاً. لكنها أرادت خسارة بعض الوزن قبل أن تعود إلى المدرسة. عادت إلى ملابسها الكبيرة مجدداً بعد الرحلة. تحدثت عن رحلتها مجدداً، وانتهت الساعة. وعندما خرجت، شعرت مجدداً بأنها عالقة. إذ لا تؤدي حياتها إلى أي مكان. اشترت لنفسها البوظة في طريقها إلى المنزل، وسألت نفسها عن الفرق الذي سيحدثه ذلك على كل حال، فهي ستبدأ الحمية الغذائية الصارمة غداً.

كان هارلان وجون في المنزل عندما عادت، وكذلك باني. فرحوا لدى رؤيتهم إيّاها وتناولوا العشاء معاً تلك الليلة عندما عادت باني من النادي الرياضي. حضّر جون طبقاً كبيراً من المعكرونة وسلطة الكركند، وكان الطعام لا يقاوم. لاحظ هارلان أن وزنها قد ازداد، لكنه لم يقل أي

شيء. فرحوا باجتماعهم مع بعضهم مجدداً، وأخبرتها باني أنها مخطوبة وأرتها خاتم الخطوبة. ستتزوج في الربيع التالي. لم يكن الأمر مفاجئاً لأي مهم، وفرحت فيكتوريا من أجلها.

وكانت غرايسي قد أرسلت لها رسالة هاتفية لتخبرها أنها عادت إلى المنزل، واتصلت بفيكتوريا تلك الليلة قبل الخلود إلى السرير. قالت إن والديها اصطحباها لتناول العشاء، وإنها ستذهب إلى ماليبو مع أصدقائها في اليوم التالي. أمامها صيف مزدحم. خلدت فيكتوريا إلى النوم وهي تحلم بمدينة البندقية، والجلوس في الجندول قرب غرايسي تحت جسر الأمنيات. وحلمت بطبق الأرز اللذيذ الذي تناولته في هاريس بار.

مرّت بقية الصيف بسرعة كبيرة. أمضت فيكتوريا عطلة الرابع من يوليو في فندق في الهامبتون مع هيلين ومجموعة من المعلمات العازبات من ماديسون. ذهبت إلى ماين مع هارلان وجون في شهر أغسطس. ومرّت بعض الأيام الحارة جداً في نيويورك بحيث لم تفعل أي شيء سوى الاستلقاء. كان الطقس حاراً جداً مما حال دون ذهابها لممارسة الركض، ولذلك ذهبت إلى النادي الرياضي بين الحين والآخر فقط. إنه جهد ضروري، لكنها ليست في مزاج جيد. إنها حزينة بعدما غادرت غرايسي بعد انتهاء رحلتهما. لقد أمضتا وقتاً رائعاً مع بعضهما. اشتاقت إليها فيكتوريا كثيراً، وشعرت بالوحدة من دونها. ذهبت إلى أحد لقاءات جمعية المفرطين في الأكل، ولم تعاود الكرّة مطلقاً.

مثلما وعدت، سافرت إلى كاليفورنيا لتمضية عطلة نهاية الأسبوع ولمساعدة غرايسي على الاستقرار في مبنى الطلاب في جامعة جنوب كاليفورنيا. كان يوماً مليئاً بالفوضى، والذكريات الحلوة والمرّة، ودموع اللقاء والوداع. ساعدتها فيكتوريا على إفراغ حقائبها، فيما ركب لها والدهما جهازي الستريو والحاسوب، وتولت أمهما ترتيب الثياب الداخلية في الدرج.

تملك غرايسي صديقتين في غرفة صغيرة جداً، ومن الصعب كثيراً ترتيب أغراض كل شخص في صناديق مقفلة، وخزانة واحدة، ومجموعة من ثلاثة أدراج، مع ثلاثة مكاتب وثلاثة أجهزة حاسوب مزدحمة في الغرفة. كان أهل الفتيات الثلاث وفيكتوريا يحاولون جميعاً مساعدة بناتهن. في وقت متأخر من بعد الظهر، أنجزوا كل ما في وسعهم، ورافقتهم غرايسي إلى الخارج. بدت وكأنها على وشك الهلع، وبدا والدها وكأنه على وشك البكاء. وشعرت فيكتوريا بألم في قلبها. لقد نضجت غرايسي فعلاً الآن، وعليهم فتح باب القفص لها حتى تطير. رفض والداها فعل ذلك، ولم يكن الأمر سهلاً على فيكتوريا أيضاً.

كانوا يقفون خارج باب مبنى الطلاب يتحدثون عندما مرّ شاب طويل ووسيم يحمل مضرب تنس في يده. توقف لحظة رأى غرايسي، كما لو أن صاعقة قد ضربته ولم يستطع التقدم خطوة أخرى. ابتسمت فيكتوريا حين رأت ملامح وجهه. لقد رأت شباناً يتفاعلون مع أختها بهذه الطريقة من قبل.

سألها: "سنة أولى؟". عرف ذلك من القاعة التي يوجد فيها، وأومأت له برأسها. ارتسمت في عينيها النظرة نفسها التي ارتسمت في عينيه، وكادت فيكتوريا تضحك. سيكون الأمر بسيطاً جداً إذا عثرت فيكتوريا على الرجل لحظة انتقالها إلى مبنى الطلاب. كم يسهل ذلك؟

"سنة ثانية؟ سنة ثالثة؟". سألته بنظرة متفائلة، وابتسم لها ابتسامة عريضة.

أجابها: "كلية إدارة الأعمال". مع ابتسامة عريضة، ما يعني على الأقل أنه أكبر منها بأربع سنوات، أو حتى بخمس أو ست سنوات. قال بعدها: "مرحبا". وألقى نظرة سريعة عليهم جميعاً. "أنا هاري وايلكس". لقد سمعوا جميعاً بقاعة وايلكس وتساءلوا إن كان من العائلة التي تبرعت بالقاعة. صافح والديها وفيكتوريا، ثم ابتسم بطريقة رائعة لغرايسي، وسألها إذا كانت تود لعب كرة المضرب في تمام الساعة السادسة. ابتسمت له

ابتسامة عريضة، وأعربت عن موافقتها. وعدها بالعودة إليها، ثم انطلق بعيداً.

قالت فيكتوريا بعد أن غادر: "حسناً، كان هذا سهلاً. كرة المضرب؟ لا تعرفين فعلاً كم أنت محظوظة".

أجابت غرايسي بنظرة حالمة: "بلى أعرف. إنه فعلاً ظريف". بعد ذلك، وكما لو أنه استولى عليها كائن غريب من الفضاء الخارجي، تحدثت إلى فيكتوريا بصوت منخفض: "سأتزوجه يوماً ما".

"لِمَ لا تمتحنينه في كرة المضرب أولاً؟". لقد رأت فيكتوريا كل الشبان الذين جاءوا وذهبوا خلال أيام الثانوية. إنها مجرد بداية أربع سنوات من الجامعة. أملت فقط ألا تحذو غرايسي حذو أمها وتمضي السنوات الأربع وهي تبحث عن زوج، بدلاً من الاستمتاع. فما من سبب للتفكير في الزواج في عمرها.

"لا، فعلاً. أنا جدية. شعرت بذلك لحظة قال لي مرحبا". قالت غرايسي بنظرة جدية جعلت فيكتوريا ترغب في رمي الماء عليها لإيقاظها.

"مرحبا. هذه الجامعة. أربع سنوات من المرح، والأشياء الواجب تعلمها، والشباب الرائعين. دعينا لا نتزوج في اليوم الأول".

"اتركي أختك تعثر على أغنى شاب في الجامعة"، قال والدها بفخر مفترضاً أنه من العائلة التي تبرعت بقاعة وايلكس، ثم تابع: "يبدو أنه مفتون بها فعلاً".

قالت فيكتوريا، محاولة أن تكون صوت المنطق: "وهكذا كانت نصف إيطاليا في شهر يونيو. دعونا لا نفقد عقولنا هنا". لكن، لم يصغ إليها أحد. لقد أثر اسمه كثيراً في والدها، فيما أثر مظهره الخارجي في غرايسي. وأثرت كلمة *زواج* في أمها. قالت فيكتوريا لنفسها مسكين هاري وايلكس إذا أمسكوا به هم الثلاثة. قالت لأختها الصغيرة: "اسمعي، حاولي ألا تعقدي خطوبتك قبل أن أعود في مناسبة الشكر". عانقتها بعدها بشدة،

وأمسكت الأختان ببعضهما، متمنيتين لو أنهما تستطيعان إيقاف الوقت وتجميد هذه اللحظة إلى الأبد. همست فيكتوريا في شعرها الداكن المجعد: "أحبك". بدت غرايسي مثل طفلة بين ذراعي أختها، ونظرت إليها غرايسي والدموع على أهدابها.

"أنا أحبك أيضاً. كنت أقصد فعلاً ما قلته قبلاً. راودني ذلك الشعور الغريب بشأنه".

قالت فيكتوريا وهي تضحك: "آه، اخرسي". وربتت على كتف أختها. "استمتعي بلعب كرة المضرب. اتصلي بي وأخبريني كيف كان". كانت فيكتوريا تنوي العودة إلى نيويورك في صباح اليوم التالي. فلا داعي للبقاء بعد مغادرة غرايسي المنزل، إذ لم يبقَ أي شيء لفيكتوريا هناك. لم يبقَ شيء منذ أعوام.

عادوا هم الثلاثة إلى مرأب السيارات العملاق، ووجدوا سيارة والدها. صعدت فيكتوريا إلى المقعد الخلفي، وعادوا جميعاً إلى المنزل بصمت، بحيث تاه كل منهم في أفكاره، مفكراً كيف جرت كل الأمور بسرعة. كانت غرايسي طفلة رضيعة؛ طفلة صغيرة تركض في أرجاء الغرفة بكل سرعتها، واصطحبتها فيكتوريا إلى أول صف مدرسي لها وودعتها، ثم أصبحت فجأة مراهقة، والآن هذا. وعرفوا جميعاً بحزن وثقة أن السنوات الأربع المقبلة ستمر أيضاً بسرعة كبيرة.

الفصل 16

تبين أن خوفهم الجماعي من أن تمرّ سنوات غرايسي في الجامعة بسرعة كبيرة كان صحيحاً فعلاً. فقد حصل كل شيء بومضة عين، وكل ما عرفوه هو أنها ستتخرج من جامعة جنوب كاليفورنيا. كانت ترتدي ثوب التخرج، ورأى والداها وأختها قبعتها تطير عالياً في الهواء مجدداً. أربع سنوات في الجامعة. حصلت على شهادة بكالوريوس في اللغة الإنكليزية والاتصالات، ولم تعرف كيف ستستخدم الشهادة بعد. أرادت العمل في مجلة أو صحيفة، لكنها لم تبدأ المقابلات بعد. ستأخذ إجازة خلال الصيف، وهي تنوي البحث عن وظيفة في شهر سبتمبر. نالت موافقة والدها. ستذهب إلى أوروبا مع أصدقائها في شهر يوليو، إلى إسبانيا وإيطاليا، وسيذهب صديقها معهم، ثم سيلتقيان هما الاثنان عائلته في جنوب فرنسا. يكاد ما توقعته في يومها الأول في جامعة جنوب كاليفورنيا أن يتحقّق. فهما لم يتزوجا، لكن هاري وايلكس كان صديقها طوال السنوات الجامعية الأربع، ووافق والد غرايسي على ذلك. إنهم بالفعل العائلة التي تبرعت بالقاعة التي تحمل الاسم نفسه. تخرج هاري من كلية إدارة الأعمال في العام الماضي، وهو يعمل مع والده في شركة استثمار مصرفية. أحب والده القول عنه إنه صلب مثل الصخرة، وهو ماهر جداً. كان معهم إضافة إلى نصف دزينة من أصدقائها عندما ذهبوا لتناول الغداء بعد التخرج، ولاحظتهما فيكتوريا وهما يتكلمان إلى بعضهما همساً في الطرف الآخر من الطاولة، ثم قبّلها وابتسم.

استلطفت فيكتوريا هاري، بالرغم من أنها رأته مسيطراً قليلاً، وتمنت لو أن أختها الصغرى كانت أكثر مغامرة عندما كانت في الجامعة. لقد كانت مع هاري على الدوام. تركت مباني الجامعة في السنة الثانية للعيش معه في شقة خارج مبنى الجامعة، ولا يزالان يعيشان مع بعضهما حتى الآن. رأت فيكتوريا أنها صغيرة جداً لتستقر في هذا الوقت المبكر؛ بعد تعرفها إلى رجل واحد. كما ذكّرها الشاب بوالدها قليلاً، ممّا جعلها تتوتر أيضاً. يملك هاري آراء في كل شيء، وتبنتها غرايسي كلها، من دون أن تخالف أيًّا منها. لم تكن فيكتوريا تريدها أن تصبح مثل أمهما يوماً ما؛ أي أن تكون ظلاً لزوجها، وموجودة فقط لدعمه وجعله يشعر بالرضى عن نفسه. ماذا عنها هي؟

لكن، لا مجال لإنكار أن غرايسي كانت سعيدة مع هاري. وصُدمت فيكتوريا عندما لم يعارض والداها أن يعيشا مع بعضهما. إنها واثقة بأنهما ما كانا ليفعلا الشيء نفسه معها. وعندما ذكرت الأمر لوالدها، طلب منها ألا تكون متزمتة وقديمة الطراز، لكن جزءاً من ذلك يعزى إلى امتلاك عائلة هاري الكثير من المال. كانت فيكتوريا واثقة بأنهما ما كانا ليتساهلا لو كان هاري وإيلكس فقيراً. لقد قالت ذلك لهيلين وهارلان وجون؛ عندما تحدثت إليهم. قلقت كثيراً بشأن غرايسي، وخافت دوماً من أن تتعرض غرايسي لغسل الدماغ من قبل والديها عبر اعتماد كل الأفكار غير الصحيحة.

بدأ احتفال الغداء في وقت متأخر بعد التخرج، واستمرّ حتى الساعة الرابعة من بعد الظهر. أخيراً، تركوا الطاولة، وذهبت غرايسي لإعادة ثوب التخرج المستأجر. أعطت فيكتوريا شهادتها لحفظها في مأمن، وقالت إن هاري سيوصلها إلى المنزل. فهما سيخرجان مع الأصدقاء في تلك الليلة. كان هاري يقود سيارة الفيراري التي قدمها له والداه عندما تخرج من كلية الأعمال. رأتهما فيكتوريا يقبلان بعضهما ما إن ابتعدا عنها، وبدا لها وقوفه حاملاً مضرب التنس خارج مبنى الجامعة لحظة وصلت إليها في السنة الأولى وكأنه قد حصل البارحة.

قالت فيكتوريا لوالدها فيما صعدوا إلى سيارته وانطلقوا بعيداً: "لا بدّ من أنني قد كبرت في السن. كان عمرها خمس سنوات قبل خمس دقائق. كيف وصلنا إلى هنا؟". أصبح عمرها تسعة وعشرين عاماً.

"لا أعرف. في الواقع، أشعر بالشيء نفسه مثلك". بدا عاطفياً وهو يقول ذلك، الأمر الذي فاجأ فيكتوريا.

خلال سنوات غرايسي الأربع في الجامعة، خرجت فيكتوريا مع عدد قليل من الرجال الذين التقتهم هنا وهناك. وهم محامٍ، وأستاذ، وسمسار بورصة، وصحافي. لكنّ أياً منهم لم يهمها فعلاً، واستمرت العلاقة بضعة أسابيع أو أشهر فقط. أصبحت الآن مسؤولة قسم اللغة الإنكليزية في ماديسون، ولا تزال تعيش في الشقة نفسها. وهي تتشاركها الآن مع هارلان وجون فقط. إنهما يستخدمان غرفة النوم الثانية بمثابة مكتب. تزوجت باني قبل ثلاثة أعوام وأنجبت ولدين. وانتقلت مؤخراً إلى واشنطن العاصمة، مع زوجها وطفليها. إنه يعمل في وزارة الخارجية، وشكوا جميعاً في أنه من السي أي أيه، فيما مكثت هي في المنزل. لا يزال هارلان يعمل في معهد الأزياء، ويعلّم جون في المدرسة نفسها في البرونكس. وتوقفت هي عن رؤية الدكتورة واتسون قبل عامين. فلم يعد هناك شيء لقوله لها. لقد تناولوا الموضوع نفسه مرات عدة، واتفقتا على الآراء. لم تعد هناك أمور مبهمة. تعامل معها والداها بقساوة، وأعطيا أختها كل حبهما، من دون أن يظهرا أيّ حبّ تجاهها، حتى قبل أن تولد غرايسي. باختصار، كانت منبوذة، لكنها أحبت أختها على كل حال. ولديها القليل من المشاعر تجاه والديها، لكنها ليست غضباً ولا عاطفة. إنهما شخصان أنانيان، ما كان يجدر بهما إنجاب الأولاد على الإطلاق، أو ليس هي على كل حال. غرايسي كانت مناسبة لهما، أما هي فلا. وأبلت فيكتوريا حسناً بالرغم من كل شيء. شعرت فيكتوريا بأن الدكتورة واتسون قد ساعدتها كثيراً. فهي لا تزال تملك الوالدين نفسيهما، والمشكلة مع وزنها نفسها، ولكنها تتعامل مع الأمور بنجاح أكثر من ذي قبل.

لم تعثر بعد على رجل أحلامها ولن تفعل ذلك أبداً ربما، لكنها أحبت مهنتها، ولا تزال تعلم تلاميذ الصف الثانوي الثالث، ولا يزال وزنها يتقلب صعوداً ونزولاً. ارتبطت عادات أكلها بالطقس، وطبيعة حياتها العاطفية أو غيابها، أو مزاجها. في الوقت الحاضر، هي أثقل وزناً مما تريد. لم تواعد رجلاً منذ عام تقريباً، لكنها أصرّت دوماً على أن وزنها لا علاقة له أبداً بحياتها العاطفية لأن الأمرين غير مرتبطين. عارضها هارلان على الدوام، وأشار إلى أنها تكتسب الوزن وتأكل المزيد عندما تكون وحيدة وتعيسة. وضعوا آلة مشي كهربائية في غرفة الجلوس، وآلة تجذيف ساهمت شخصياً في ثمنهما، لكنها لم تستعملهما قطّ. أما جون وهارلان ففعلا ذلك دوماً.

عادت فيكتوريا إلى نيويورك في صباح اليوم الذي تلا تخرج غرايسي، وتناولت العشاء مع والديها في المنزل تلك الليلة. إنها تضحية تقوم بها مرة واحدة في كل رحلة. كان والدها يتحدث عن التقاعد المبكر بعد أعوام قليلة. ولا تزال أمها لاعبة بريدج ماهرة. ويتضاءل فحوى الكلام الذي تقوله لهما فيكتوريا عاماً بعد عام. لم تكن نكات والدها بشأن وزنها مضحكة، وأضاف إليها الآن تعليقات عن عدم زواجها، وعدم وجود صديق لها، وعدم احتمال إنجابها الأولاد. ربط كل شيء بوزنها. لم تعد تتناقش معه قطّ، أو تحاول الشرح أو الدفاع عن نفسها. كانت تستمع فقط إلى التعليقات من دون الإجابة عنها. لم يتغير مطلقاً. ولا يزال يعتقد أن وظيفتها مضيعة تامة للوقت.

خلال العشاء، تحدث عن حصول غرايسي على وظيفة محررة في وكالة الإعلانات الخاصة به بعد عودتها من أوروبا. كانت فيكتوريا تساعد أمها على وضع الصحون في غسالة الصحون بعد العشاء عندما وصلت غرايسي إلى المنزل على نحو غير متوقع. لم تكن تأتي غالباً إلى المنزل منذ أن بدأت العيش مع هاري، وتفاجأوا جميعاً لدى رؤيتهم إيّاها، وفرحوا. كانت وجنتاها ورديتين، ورقصت عيناها فرحاً فيما وقفت في المطبخ

ونظرت إليهم. وشعرت فيكتوريا فجأة بانقباض في معدتها فيما لفظت غرايسي الكلمات التي خشيتها.

"أنا مخطوبة!". ساد صمت كبير في الغرفة لجزء من الثانية، ثم أطلق والدها صرخة عالية وحملها بين ذراعيه مثلما كان يفعل عندما كانت طفلة.

"برافو! أحسنتِ! أين هاري؟ أريد تهنئته أيضاً".

قالت بسعادة: "لقد أوصلني. وذهب لإخبار والديه". فيما عادت فيكتوريا إلى الأطباق من دون أي كلمة. وكانت أمهما تصفق وترقص وعانقت ابنتها. بعد ذلك، مدّت غرايسي يدها الصغيرة، ورأوا خاتماً ماسياً كبيراً في إصبعها. الأمر حقيقة فعلاً.

قالت أمها بحماسة: "هذا ما حصل مع والدك ومعي. عقدنا خطوبتنا ليلة تخرجنا. وتزوجنا في الميلاد. متى موعد الزفاف؟". سألت كما لو أنها تريد الشروع في التخطيط على الفور. لم يسألا مطلقاً عمّا ستفعله، ولم يقولا إنها صغيرة جداً، لأسباب جلية مرتبطة بهاري، بل رأيا أنها فكرة رائعة، وضربة حظّ مهمة لابنتهما أن تتزوج هاري وايلكس. للأمر علاقة بأنانيتهما، وليس بما هو الأنسب لغرايسي. أخيراً، استدارت فيكتوريا نحوهم، ونظرت إلى أختها الصغرى بعينين قلقتين.

سألتها بصراحة: "ألا تظنين أنك صغيرة جداً؟". أصبحت غرايسي في الثانية والعشرين، وهاري في السابعة والعشرين، وهذا عمر صغير برأي فيكتوريا.

قالت غرايسي: "نحن نتواعد منذ أربعة أعوام". كما لو أن هذا يجعل الأمور صحيحة، لكن ليس بالنسبة إلى أختها. فهذا يجعل الأمور أسوأ. فغرايسي لم تمنح نفسها مطلقاً الفرصة لتنمو وحدها، ولتطور آراءها الخاصة، أو تتعرف إلى شبان آخرين في الجامعة، أو حتى تواعدهم.

قالت بصراحة: "بعض تلاميذي في الثانوية يواعدون أشخاصاً منذ أربعة أعوام. لكنهم ليسوا ناضجين كفاية للزواج. أنا قلقة عليك. أنت في

الثانية والعشرين. تحتاجين إلى مهنة حقيقية، إلى وظيفة، إلى بعض الاستقلالية، وإلى حياتك الخاصة قبل أن تستقري وتتزوجي. لمَ العجلة؟".

خافت قليلاً من أن تكون أختها حاملاً، لكنها لا تظن ذلك. لقد أعلنت غرايسي أنها ستتزوجه منذ أول يوم التقيا فيه. وهذا ما يحصل الآن. لقد أصبح حلمها حقيقة. هذا ما أرادته غرايسي، ونظرت بغضب إلى فيكتوريا بسبب الأسئلة التي طرحتها وعدم حماستها الواضح.

سألت بامتعاض: "ألا يمكنك أن تفرحي لي؟ هل يفترض أن يكون كل شيء مثلما تريدينه؟ أنا سعيدة. أنا أحب هاري. لا أبالي بشأن الوظيفة. لا أريد مهنة مثلك. أريد فقط أن أكون زوجة هاري!". لا يبدو هذا كافياً بالنسبة إلى فيكتوريا، لكن غرايسي محقة ربما. ومن هي لتقرر؟

قالت بحزن: "أنا آسفة". لم تتجادلا منذ أعوام. وآخر جدال بينهما كان بشأن والديهما، عندما دافعت عنهما غرايسي ضد أختها، وأخبرتها فيكتوريا أنها مخطئة. تراجعت أخيراً عن رأيها، لأن أختها كانت صغيرة جداً لتفهم، وهي واحدة منهم على كل حال. وشعرت هذه المرة بالشيء نفسه. فيكتوريا هي المختلفة مجدّداً، فهي التي لم تفرح من أجلها وخافت قول ذلك. "أريد فقط أن تكوني سعيدة، وأن تعيشي أفضل حياة ممكنة. وأظن أنك صغيرة جداً".

قال والدها وهو يشير إلى الخاتم: "يبدو لي أنها ستعيش حياة جيدة". شعرت فيكتوريا بالقرف عند رؤيتها ذلك. وعرفت أنها ليست غيوراً. إلا أن زواج ابنته من رجل غني سيكون تكملة مثالية لنرجسيّته. مع الخاتم في إصبعها، أصبحت غرايسي ميدالية؛ دليلاً على نجاحه كوالد، وعلى قدرته على تربية ابنة تستطيع الزواج من رجل غني. كرهت فيكتوريا ما يعنيه ذلك. ولم تلاحظ غرايسي هذا. كانت منغمسة كثيراً في حياتها الخاصة، وخائفة جداً من الخروج إلى العالم الحقيقي، والحصول على مهنة، والتعرف إلى أشخاص جدد، وتحقيق شيء بنفسها. لذا، ستتزوج هاري عوض ذلك. وفيما كانت فيكتوريا تفكر في ذلك، دخل هاري المطبخ،

وقفزت غرايسي بين ذراعيه. تسهل رؤية كم هي سعيدة، ولا يريد أحد إنكار ذلك عليها. ربّت والدهما على ظهر هاري، وذهبت أمهما لإحضار قنينة شراب، ففتحها جيم على الفور، وسكب كأساً لكل منهم، فيما نظرت فيكتوريا إليهم وابتسمت بحزن. الأمور تتحرك أسرع الآن. تخرّجت من الثانوية، والجامعة، وها هي الآن تعقد خطوبتها. يصعب استيعاب كل شيء دفعة واحدة. وضعت فيكتوريا معارضتها جانباً، ثم مشت في الغرفة وعانقت هاري، من أجل أختها، فيما نظرت إليها غرايسي بارتياح. فهي لا تريد أن يعرقل أحد ما تفعله، أو يحاول إيقافها، أو يتحداها. هذا هو حلمها.

سأل والدها: "متى اليوم الكبير؟ هل حددتما الموعد؟". فيما شرب الجميع نخب الثنائي، وارتشف كل واحد القليل من الشراب. كان هاري وغرايسي يبتسمان ابتسامة كبيرة لبعضهما، وأجاب هاري نيابة عنها، وهذا أحد الأمور التي لا تحبها فيكتوريا فيه. تملك غرايسي صوتاً أيضاً، وتريدها أن تستعمله. أملت ألا يكون الزفاف قريباً جداً.

قال هاري، وهو يبتسم لعروسه الصغيرة: "في شهر يونيو. لدينا الكثير من الأمور الواجب تنظيمها قبل ذلك. ستكون غرايسي مشغولة في التخطيط للزفاف". ألقى نظرة سريعة على حماته المستقبلية وابنة حميه المستقبلية، كما لو أنه يتوقع منهما التخلي عن كل شيء والشروع في التخطيط للزفاف أيضاً. قال بسعادة: "تنوي دعوة أربعمئة أو خمسمئة شخص". من دون استشارة أهل العروس ومعرفة ما إذا كان الأمر يناسبهم. لم يطلب يدها أيضاً. لقد سألها هي، لكنه عرف أن جيم داوسون سيوافق. بدت والدة غرايسي وكأنها على وشك الإغماء عندما سمعت عن عدد المدعوين إلى الزفاف. لكن جيم بدا مسروراً فيما فتح قنينة شراب أخرى، وسكب لهم المزيد.

قال وهو يبتسم لهاري أولاً، ومن ثم لزوجته وابنتيه: "عليكن أيها السيدات تدبر كل شيء. وما عليّ أنا سوى دفع الفواتير". وقفت فيكتوريا تراقب والدها، مفكرة في أنه تاجر. لكن، أهذا هو نوع الرجال الذي يريده

www.mlazna.com-RAYAHEEN

لابنته؟ من دون أن يسأل إن كانت صغيرة جداً أو إن كان ما تقوم به غلطة. وعرفت فيكتوريا أنها إذا قالت أي شيء لهم، فسيتم اتهامها بأنها الأخت الكبرى البدينة التي لا تملك حبيباً ولا تستطيع العثور على زوج، والتي تغار من أختها الصغرى الجميلة وتريد الوقوف في طريقها.

أنهوا ثاني قنينة شراب، وهنأ الجميع العروسين مجدداً. قال هاري إن والديه يريدان تناول العشاء معهم قريباً. وحصلت فيكتوريا على فرصة لمعانقة أختها مجدداً.

"أحبك. آسفة إذا أزعجتك".

همست غرايسي: "لا بأس. أريدك فقط أن تكوني سعيدة من أجلي". أومأت فيكتوريا برأسها وهي لا تعرف ماذا تقول. ثم ذهب العروسان في طريقهما، إذ سيلتقيان أصدقاءهما للذهاب معاً إلى حفلة، وأرادت غرايسي إظهار خاتمها. سمعت فيكتوريا جهاز البلاكبيري الخاص بها يعود إلى الحياة مجدداً بعدما غادرا، وتحققت منه. إنها رسالة من أختها. "أحبك. كوني سعيدة من أجلي". أجابت فيكتوريا بسرعة بالجواب الوحيد الممكن. كان جوابها: "وأنا أحبك أيضاً".

قال جيم لكريستين ما إن غادر غرايسي وهاري: "حسناً، أمامك سنة كاملة للتخطيط للزفاف. سيبقيك ذلك مشغولة. عليك أخذ بعض الاستراحة من البريدج". وفيما قال ذلك، تلقت فيكتوريا رسالة نصية أخرى. إنها من غرايسي مجدداً.

الفصل 17

ما إن عادت فيكتوريا إلى نيويورك، بعد يومين من تخرج غرايسي حتى اتصلت بالدكتورة واتسون. وكانت طبيبتها النفسية لا تزال موجودة في العيادة نفسها، ومع الرقم نفسه، وعاودت الاتصال بفيكتوريا على هاتفها الخلوي في تلك الليلة، وسألتها عن أحوالها. فقالت لها إنها بخير وتتوق إلى رؤيتها، فأعطتها الدكتورة واتسون موعداً في اليوم التالي. عندما دخلت فيكتوريا العيادة لاحظت الطبيبة أنها كبرت قليلاً، لكنها لا تزال مبدئياً هي نفسها؛ لم تتغير. كانت فيكتوريا ترتدي سروال جينز أسود، وقميصاً قطنياً أبيض، وتنتعل صندلاً. إنه يوم صيفي حار في نيويورك. وكان وزنها هو نفسه تقريباً مثلما كان في آخر مرة التقتا فيها؛ فهي ليست أفضل أو أسوأ.

سألتها الطبيبة النفسية: "هل كل شيء على ما يرام؟ فقد بدا الأمر ملحاً جداً". وبدت قلقة.

"أظن ذلك. أعاني نوعاً من نداء الاستيقاظ أو أزمة الهوية أو ما شابه". إنها منزعجة منذ يوم التخرج. كانت رؤية غرايسي وهي تتخرج صعبة بما فيه الكفاية، من دون إعلان خطوبتها في اليوم نفسه. "عقدت أختي الصغرى خطوبتها قبل أيام قليلة. عمرها اثنان وعشرون عاماً. عقدت خطوبتها يوم تخرجها من الجامعة، تماماً مثل والديّ. يظنان أن الأمر جيد لأن الرجل الذي ستتزوج به يملك الكثير من المال. أظن أنهم مجانين كلهم. إنها في الثانية والعشرين. لا تملك وظيفة، ولا يريدها أن تعمل. أرادت العمل في الصحافة، لكنها الآن لا تبالي. وستصبح في النهاية مثل أمي، مجرد ستارة خلفية له، تدعم كل آرائه، علماً أن خطيبها يملك

العديد منها، تماماً مثل والدي. ستخسر نفسها عند الزواج من هذا الرجل، ومجرد التفكير في ذلك يجعلني أجن. كل ما تريد فعله هو الزواج. أظن أنها صغيرة جداً، أو أنا غيور ربما لأنني لا أملك حياة. فكلّ ما أملكه هو مهنة أحبها، هذا كل شيء. وإذا قلت أي شيء بشأن ضرورة عدم زواجها، لها أو لوالديّ، فسيظنون أنني أغار". أثرت فيها القصة بشكل قوي جداً.

سألت الطبيبة النفسية بصراحة: "هل هي الغيرة فعلاً؟".

"لا أعرف". لطالما كانت فيكتوريا صريحة معها.

ألحت عليها الطبيبة: "ماذا تريدين فيكتوريا؟ ليس لها. وإنما لك". عرفت أن الوقت قد حان لفعل ذلك الآن. أصبحت فيكتوريا جاهزة.

قالت مجدداً: "لا أعرف". لكن الطبيبة عرفت أفضل.

"بلى، تعرفين. توقفي عن القلق بشأن أختك. فكري في نفسك. لماذا عدتِ إلى هنا؟ ماذا تريدين؟". ملأت الدموع عيني فيكتوريا فيما أصغت إلى السؤال. إنها تعرف. لكنها تخاف من قول ذلك، أو من الاعتراف به لنفسها.

قالت بهدوء: "أريد حياة. أريد رجلاً في حياتي. أريد ما تريده أختي. الفرق هو أنني كبيرة جداً للحصول عليه، ولن أحصل عليه أبداً". أصبح صوتها فجأة أقوى، وشعرت بشجاعة أكبر. "أريد حياة، رجلاً، وأريد خسارة خمسة وعشرين باوناً قبل شهر يونيو المقبل، أو على الأقل عشرين باوناً". هذا واضح.

بدت الطبيبة محتارة: "لماذا؟ ما الذي سيجري في شهر يونيو؟".

"زفافها. لا أريد أن يشعر الجميع بالأسف عليّ لأنني فاشلة؛ أختها العانس البدينة. ليس هذا ما أريد أن أكونه في زفافها".

قالت الطبيبة النفسية وهي تبتسم: "حسناً. هذا عادل. لدينا سنة لتحقيق ذلك. يبدو هذا منطقياً بالنسبة إليّ. هناك ثلاثة مشروعات. حياة، مثلما قلت، وعليك تحديد ما يعنيه ذلك لك. رجل. ووزنك. لدينا الكثير من العمل".

قالت فيكتوريا وصوتها يرتعش: "حسناً". إنها لحظة عاطفية بالنسبة إليها. فقد سئمت من عدم الحصول على ما تريده، أو حتى الاعتراف لنفسها لأنها تظن أنها لا تستحق ذلك، لأن والديها قالا لها ذلك. "أنا مستعدة".

"أظن ذلك". قالت الطبيبة وهي تبدو مسرورة فيما ألقت نظرة على الساعة الموجودة خلف كتف فيكتوريا. "هل سأراك في الأسبوع المقبل؟". أومأت فيكتوريا برأسها، وقد أصبحت مدركة فجأة لكل ما عليها فعله. هذا أكبر من زفاف. عليها الشروع في برنامج جدي لخسارة الوزن، وفعل كل ما يمكن للتخلص من الوزن في الوقت المطلوب. عليها بذل جهد للخروج إلى العالم والتعرف إلى الرجال، والاستعداد للحفلة، وفتح حياتها للفرص الأخرى، والأشخاص، والأماكن، والأشياء، وكل ما كانت تتوق إليه، من دون أن تملك الشجاعة لفعله. هذا مخيف أكثر من انتقالها إلى نيويورك، ويصعب تنظيمه أكثر من أي زفاف. لكنها عرفت أنّ عليها فعل ذلك. عندما تتزوج غرايسي، ستكون فيكتوريا في الثلاثين. وهي تريد أن يتحقق حلمها أيضاً، وليس فقط حلم غرايسي.

خرجت من عيادة الطبيبة وهي تشعر بالقوة. دخلت الشقة، وذهبت مباشرة إلى المطبخ، وبدأت تنظف البراد. بدأت بالثلاجة، فرمت كل البيتزا المجلدة وأوعية البوظة في سلة المهملات. وفيما كانت تفعل ذلك، دخل هارلان وجون. كان جون يعمل مع هارلان في المتحف هذا الصيف، خلال الإجازة الصيفية.

قال هارلان، وهو ينظر إليها بذهول: "آه، اللعنة! يبدو هذا جدياً". انتقلت بعدها علبة الشوكولاته التي أحضرتها إلى المنزل بعد حفلة مدرسية إلى سلة المهملات، ومن ثم نصف قالب تشيزكيك تركته في البراد. "هل من رسالة هنا، أم أنك تنجزين فقط تنظيف الربيع؟".

"عليّ خسارة خمسة وعشرين باوناً قبل شهر يونيو، والحفاظ على الوزن الجديد".

سأل بحذر، فيما ذهب جون إلى البراد وأخرج قنينتين من شراب الشعير: "هل من سبب لهذا القرار؟". فتح جون قنّينتي شراب شعير وأعطى هارلان واحدة وشرب قنينته. لم تكن فيكتوريا تحب شراب الشعير، وتفضل الشراب الفرنسي الذي يسبب البدانة أيضاً. سألها هارلان وهو يبدو متفائلاً: "أهو شاب جديد ربما؟".

"هذا أيضاً. لكنني لم ألتقِ بعد". استدارت لمواجهتهما فيما أغلقت باب الثلاجة. "ستتزوج غرايسي في شهر يونيو. لن أكون بجانبها في الزفاف مع خمسة وعشرين باونداً زائداً، ولن أعيش مثل عانس عجوز. عدت إلى طبيبتي النفسية".

قال هارلان وهو يبدو مسروراً من أجلها: "يبدو هذا مثل سباق شيرمان في جورجيا". هذا هو بالضبط ما تحتاج إليه، وما احتاجت إليه منذ أعوام. كانت عادات أكلها سيئة أكثر من أي وقت مضى، ولم يتغير وزنها مطلقاً. "هيا أيتها الفتاة! أبلغينا إذا كان في وسعنا فعل أي شيء".

"البوظة ممنوعة وكذلك البيتزا. سأركض على آلة المشي الكهربائية، وسأذهب إلى النادي الرياضي، وربما إلى برنامج وايت واتشرز. وسأقصد اختصاصية تغذية، ومنوّماً مغنطيسيًّا. سأفعل أي شيء ضروري".

"بالمناسبة من ستتزوج غرايسي؟ ألا تزال صغيرة؟ لقد تخرجت في الأسبوع الماضي".

"إنها صغيرة، وغبية جداً. يحبه والدي لأنه غني. إنه الرجل نفسه الذي تواعده منذ أربعة أعوام".

"هذا مؤسف جداً. لكن، لا تعرفين أبداً. قد ينجح الزواج".

"أتمنى لها ذلك. ستتخلى عن كل هويتها للزواج منه. لكن، هذا ما تريده، أو تظن ذلك".

"لا يزال هناك وقت حتى شهر يونيو. قد تحصل الكثير من الأمور قبل ذلك الحين".

"هذا صحيح". قالت مع وجود بريق في عينيها لم يره منذ أعوام، أو ربما لم يرَه مطلقاً. إنها في مهمة كبيرة. "أراهن على ذلك. أمامي سنة لتحسين حياتي وجسمي".

قال هارلان باقتناع: "يمكنك فعل ذلك".

أجابت "أعرف ذلك". وكانت أخيراً مقتنعة بذلك، وتساءلت لِمَ احتاجت إلى كل هذا الوقت. طوال تسعة وعشرين عاماً، صدقت والديها اللّذين جعلاها تفكر في أنها بشعة، وبدينة، ومحكوم عليها بالإخفاق لأنها غير محبوبة. وأدركت فجأة أنهما إن قالا ذلك، أو اعتقدا ذلك، فهذا لا يعني أنه صحيح. إنها مصممة الآن على التخلص من القيود التي وضعاها حولها. وكل ما تريده الآن هو أن تكون حرّة.

تسجلت في برنامج وايت واتشرز في اليوم التالي، وعادت إلى المنزل مع تعليمات وميزان للطعام. وتسجلت في نادٍ رياضي جديد في اليوم التالي. ثمة آلات جميلة، وغرفة للوزن، واستوديو للرقص، وسونا، وحوض سباحة. ذهبت فيكتوريا إلى هناك كل يوم، وركضت في الهواء الطلق كل يوم. اتبعت حميتها الغذائية بحذر، وذهبت لقياس وزنها مرة كل أسبوع. تحدثت إلى غرايسي كل يوم تقريباً بخصوص الزفاف، وإلى أمها أكثر مما أرادت. إنه كل ما يفكرون فيه الآن. قالت فيكتوريا إنها حمى الزفاف. خسرت تسعة باوندات بحلول أول يوم مدرسي، وشعرت بالرضى. كان جسمها جيداً. لا تزال الطريق طويلة. لقد وصلت إلى مرحلة استقرار في الوزن، لكنها مصممة على عدم فقدان العزيمة. لقد وصلت إلى هذه المرحلة قبلاً؛ مرات عدة. لكنها لن تستسلم هذه المرة، وكانت تزور طبيبتها النفسية بانتظام. إنهما تتحدثان عن والديها، وآمالها، وراحتا تتحدثان أخيراً عما تريده لنفسها. لم تفعل ذلك من قبل قطّ.

أحسّ تلاميذها بالفرق فيها أيضاً. فقد باتت أقوى وأكثر ثقة بنفسها. وقالت لها هيلين وكارلا إنهما فخورتان بها.

www.mlazna.com-RAYAHEEN

انزعجت فيكتوريا لأن أختها لا تعمل ولم تعمل منذ التخرج. فهي لم تبحث حتى عن وظيفة بعد أن أصبحت مخطوبة، ورأت فيكتوريا أن هذا غير جيد لها، أو لثقتها بنفسها. قالت إنها لا تملك الوقت، لكن فيكتوريا عرفت أن الحياة فيها شيء أكثر من التخطيط للزفاف، والزواج من شخص غني. أخبرتها طبيبتها النفسية أن هذه ليست مشكلتها، وأنّ عليها التركيز على نفسها، وهذا ما فعلته. لكن قلقها على أختها أزعجها أيضاً.

خسرت باوندين فقط في شهر سبتمبر. لكنها خسرت في الإجمال أحد عشر باونداً، وأصبحت بالتالي في منتصف الطريق نحو تحقيق هدفها، وبدت رشيقة عندما أعلنت غرايسي في شهر أكتوبر أنها ستأتي في عطلة نهاية الأسبوع للبحث عن فستان الزفاف، واختيار فساتين مرافقاتها، ورغبت في أن تساعدها فيكتوريا. لم تكن فيكتوريا واثقة بأنها مستعدة لفعل ذلك، لكن غرايسي هي أختها الصغرى التي تحبها ولا يمكنها رفض أي شيء لها، ولذلك وافقت، بالرغم من كدسة الأوراق التي يتوجب عليها تصحيحها في عطلة نهاية الأسبوع. سألتها طبيبتها النفسية لمَ لم تطلب من أختها المجيء في وقت آخر، فالزفاف في شهر يونيو.

قالت فيكتوريا بصراحة: "لا أستطيع فعل ذلك".

"لِمَ لا؟".

"لا أجيد قول لا لها. لا أفعل ذلك أبداً".

"لِمَ لا ترغبين في مجيئها في عطلة نهاية الأسبوع هذه؟". إنهما في غاية الصراحة.

"لديّ عمل يجب إنجازه". قالت فيكتوريا فيما نظرت إليها الطبيبة بتمعن.

"هل هذا هو السبب فعلاً؟".

"لا. لم أخسر وزناً كافياً بعد. وأخاف أن تختار لي فستان مرافقة أبدو مريعة فيه. كل صديقاتها بالحجم نفسه؛ مثلها تقريباً. إنّ مقاسهنّ اثنان أو أربعة. لم يسمعن بالمقاس ستة عشر مطلقاً".

طمأنتها الطبيبة: "أنت من أنت. لن يكون مقاسك أربعة عشر في شهر يونيو المقبل". لم تتبدد عزيمة فيكتوريا.

قالت بذعر: "ماذا لو حصل ذلك؟". كانت تحلم بأن يصبح مقاسها ثمانية. لكن، حتى المقاس عشرة سيكون جيداً إذا استطاعت الحفاظ على وزنها.

"لماذا تظنين أنك لن تنجحي؟".

"لأنني أخاف أن يكون والدي محقاً، وأن أكون فاشلة. أثبتت غرايسي أنه محق مجتدداً. فهي ستتزوج في الثانية والعشرين من عمرها من الرجل المثالي. سأكون في الثلاثين عندما تتزوج. ولا أزال غير متزوجة، ولا أملك صديقاً حتى أو حبيباً. وأنا مجرد أستاذة في مدرسة".

ذكرتها الطبيبة: "وأستاذة جيدة. أنت مسؤولة قسم اللغة الإنكليزية في أفضل ثانوية خاصة في نيويورك. ليس هذا أمراً سهلاً". ابتسمت فيكتوريا حين سمعت ما قالته. "بالإضافة إلى ذلك، أنت المرافقة الرئيسة. يمكنك ارتداء فستان مختلف أو أي شيء آخر، إذا اختارت لك شيئاً لا يبدو مناسباً لك. إنها تعطيك فرصة للاختيار".

قالت فيكتوريا: "لا". إنها تعرف أختها الصغرى. صحيح أنها ترغب في جعل هاري يستلم الأمور، لكنها تملك أفكارها الخاصة في بعض الأمور. "إنها تعطيني فرصة لأراقبها وهي تختار".

اقترحت الطبيبة النفسية: "إذاً إنها فرصة لفعل الأشياء بطريقة مختلفة معها".

"سأحاول". لكن فيكتوريا لم تكن مقتنعة.

وصلت غرايسي صباح يوم الجمعة فيما كانت فيكتوريا لا تزال في المدرسة، وعادت مسرعة إلى الشقة للقائها بأسرع ما يمكن. وكانت قد تركت المفتاح تحت السجادة الأمامية خارج الشقة، لذا كانت غرايسي في الداخل في انتظارها، وهي تمشي بسرعة كبيرة على آلة المشي الكهربائية.

قالت غرايسي وهي تبتسم لأختها: "هذه الآلة جيدة جداً". بدت مثل القزم أو الطفلة الصغيرة على الآلة الكبيرة.

أجابت فيكتوريا: "يفترض بها أن تكون كذلك. لقد كلفتنا ثروة".

قالت غرايسي وهي تنزل عنها: "يجدر بك تجربتها يوماً ما".

قالت فيكتوريا: "لقد جربتها". وهي فخورة بالوزن الذي فقدته لغاية الآن، وخاب أملها لأن غرايسي لم تلاحظ. كان تفكيرها محصوراً فقط في الزفاف، فيما عانقت أختها الكبرى. أرادت النزول فوراً والبدء بالتسوق. وكانت لديها لائحة بالمتاجر التي تريد زيارتها. كانت فيكتوريا في المدرسة طوال اليوم، وشعرت بأنها في فوضى. فقد توجب عليها الذهاب إلى هناك باكراً بسبب اجتماع للقسم. لكنها أصبحت مستعدة بعد خمس دقائق، ونزلتا إلى وسط المدينة. كان من الصعب بالنسبة إليها عدم رؤية الماسة الكبيرة في إصبعها. "ألا تخافين أن تتلقي ضربة على رأسك وأنت تضعين هذا؟". وكانت لا تزال تقلق عليها. فهي ستبقى دوماً أختها الصغرى، وغير مختلفة عن اليوم الذي أوصلتها فيه إلى أول صف مدرسي.

قالت غرايسي بلامبالاة فيما خرجتا من سيارة الأجرة لدخول متاجر بيردغورف: "لا يظن أحد أنها حقيقية".

صعدتا إلى الأعلى إلى طابق فساتين الزفاف، وبدأتا تنظران إلى الفساتين. هناك عشرات الفساتين المعلقة والمنتشرة حولهما. نظرت غرايسي حولها وهزّت رأسها. لا يبدو أي واحد منها ملائماً لها، بالرغم من أن فيكتوريا وجدتها كلها مذهلة. بدلت غرايسي الموضوع حينها، وطلبت رؤية فساتين المرافقات. لديها لائحة بالمصممين والألوان التي تريد التحقق منها. وأحضروا كل ما لديهم من أجلها. سيكون الزفاف في المساء ورسمياً. سيرتدي هاري بذلة بيضاء، والمرافق بذلة سوداء. وهي تفكر حالياً في المشمشي، أو الأزرق الشاحب أو البيج الفاتح للمرافقات، وكلها ألوان تستطيع فيكتوريا ارتداءها. فشعرها أشقر فاتح، وهي تملك بشرة شاحبة جداً، لذا هناك بعض الألوان التي لا تستطيع اختيارها، مثل

الأحمر. لكن غرايسي أكدت لها أنها لن تختار الأحمر أبداً لمرافقاتها. بدت مثل جنرال صغير يدير فرقته العسكرية فيما أحضرت لها البائعات ما تحتاج إليه. كانت غرايسي مسيطرة على وضعها تماماً، وتخطط لما بدا حدثاً وطنياً كبيراً، مثل حفل روك أو معرض عالمي أو حملة رئاسية. إنه أبرز حدث في حياتها وستكون نجمة العرض. لم تكف فيكتوريا عن التساؤل عن كيفية تعاطي أمها مع المسألة. فالأمور مربكة جداً، ووالدهما ينفق المال من دون حساب. أراد أن تتأثر عائلة وايلكس، وأن تكون ابنته المفضلة فخورة به. وفي خضم تركيزها القوي على ما تقوم به، لم تلاحظ غرايسي بعد الوزن الذي خسرته فيكتوريا، مما جرح مشاعر هذه الأخيرة. لكنها لم تشأ أن تكون سخيفة حيال الموضوع، وانتبهت إلى الفساتين التي اختارتها غرايسي. كانت هناك ثلاثة فساتين محتملة في رأسها عندما غادرتا. وستكون هناك عشر مرافقات. حين أخبرتها غرايسي بذلك، خطر لفيكتوريا أنها حين تتزوج هي فستكون غرايسي مرافقتها الوحيدة فقط، فهي لا تملك عشر صديقات. لكن، لطالما كانت غرايسي طفلة ذهبية. وهي الآن النجمة، وتحب كل دقيقة من ذلك. أصبحت تشبه والديها أكثر مما أرادت فيكتوريا الاعتراف به. إنها من عائلة نجوم، وشعرت فيكتوريا أنها مثل النيزك الذي هبط على الأرض وسط الرماد.

ذهبتا بعد ذلك إلى متاجر بارنيز، ووصلتا أخيراً إلى متاجر ساكس. وفي اليوم التالي، حجزت غرايسي موعداً مع فيرا وانغ نفسها. وأرادت أيضاً رؤية أوسكار دو لا رنتا، لكنها لم تملك الوقت لتحديد الموعد. بدأت فيكتوريا تدرك كم أن الحدث كبير. وسيقيم آل وايلكس عشاء رسمياً قبل الزفاف سيكون أكبر وأكثر تكلفاً من معظم حفلات الزفاف. لذا، سيكون عدد الفساتين الضرورية مضاعفاً. قالت غرايسي إن أمهما قد قررت ارتداء البيج يوم الزفاف، والأخضر الزمردي في العشاء في الليلة السابقة للزفاف. لقد حسمت قرارها. ذهبت إلى نيمان ماركوس، وعثر لها المصمم

على الفستانين المثاليين لها لكلتا المناسبتين. وهكذا، تستطيع غرايسي التركيز على نفسها.

لم تحب الفساتين في متاجر ساكس أيضاً، وأوضحت أنها تبحث عن شيء استثنائي لزفافها. غرايسي، الأخت الصغيرة، فرضت رأيها. فجأة، لم يعد أي شيء مميزاً كفاية لها. وصُدمت فيكتوريا قليلاً بمدى ثبات عزيمتها. لم تكن غرايسي متحمسة لفساتين المرافقات التي رأتها، لكنها شهقت بعد ذلك بقوة عندما رأت فستاناً.

قالت بنظرة ذهول، كما لو أنها عثرت على شيء لا يقدر بقيمة: "آه! هذا هو. لم أفكر قطّ في هذا اللون!". إنه من دون ريب فستان مذهل، بالرغم من أن فيكتوريا لم تتخيله في زفاف، خصوصاً حين ترتديه عشر فتيات. البني هو اللون الرائج خلال الخريف. إنه أكثر نعومة من الأسود، مثلما شرحت لهما البائعة، *ودافئ* جداً. الفستان الذي لفت انتباه غرايسي كان فستاناً من دون كمين من الساتان السميك، مع ثنيات ضيقة قريبة من الجسم وصولاً إلى تحت الورك، ليتحول من ثم إلى فستان واسع وطويل حتى الأرض. التفاصيل اليدوية فيه رائعة، وهو بلون الشوكولاته البنية. المشكلة الوحيدة فيه، حسب رأي فيكتوريا، هي أن المرأة الصغيرة والنحيلة فقط تستطيع ارتداءه. فالمكان الذي تتوقف فيه الثنيات لتتسع لاحقاً عند الوركين سيجعل مؤخرة فيكتوريا تبدو وكأنها الجانب العريض لباخرة. إنه فستان تستطيع فتاة بمقاييس غرايسي فقط ارتداءه، وتبدو معظم صديقاتها مثلها. كان الفستان الذي تنظر إليه غرايسي كبيراً جداً عليها وهو بالمقاس أربعة. لم تشأ فيكتوريا أن تتخيل مظهره عليها حتى لو خسرت الوزن.

قالت غرايسي بتعبير فرح جداً: "ستحبّه جميع الفتيات. إذ يستطعن بعد ذلك ارتداءه في أي مناسبة رسمية". كان الفستان باهظ الثمن، لكن هذه ليست مشكلة بالنسبة إلى معظم مرافقاتها، ووعدها والدها بتغطية الفرق إذا عثرت على فستان لا تستطيع بعض مرافقاتها شراءه. لم يكن السعر هو المشكلة بالنسبة إلى فيكتوريا، لأن والدها سيدفع ثمنه.

فالمشكلة هي أن الفستان يبدو بشعاً عليها. فثدياها كبيران جداً ولا يناسبان هذا الموديل، وكذلك الأمر بالنسبة إلى وركيها. وما زاد من مرارتها عندما نظرت إليه هو أنه بلون الشوكولاته، وهو لون لا تستطيع فيكتوريا ارتداءه بسبب بشرتها الفاتحة، وعينيها الزرقاوين، وشعرها الأشقر الشاحب.

قالت لأختها: "لا أستطيع ارتداء هذا الفستان. سأبدو مثل جبل من موس الشوكولاته. حتى لو خسرت خمسين باونداً. أو ربما مئة. صدري كبير جداً. ولا أستطيع ارتداء هذا اللون". نظرت إليها أختها بعينين متوسلتين.

"إنه بالضبط ما أردته. لم أكن أعرف. إنه فستان مذهل".

وافقتها فيكتوريا الرأي قائلة: "هذا صحيح، لكن لامرأة بحجمك. إذا ارتديت هذا، وارتديت أنا فستان الزفاف، فسيكون مثالياً. سيبدو هذا الفستان مخيفاً عليّ. أنا واثقة من أنه غير متوافر على مقاسي أصلاً".

قالت البائعة: "يمكنك طلب المقاس الذي تريدينه". إنه فستان باهظ الثمن، وسيكون بيعه نصراً مهماً.

سألت غرايسي بنظرة خوف، متجاهلة توسلات أختها: "هل يمكننا الحصول على عشرة فساتين منه بحلول شهر يونيو؟".

"أنا واثقة من ذلك. يمكننا ربما تسليمها لك في شهر ديسمبر إذا أعطيتني كل المقاسات". بدت غرايسي مرتاحة وفيكتوريا على وشك البكاء.

"غرايسي، لا يمكنك فعل ذلك بي. سأبدو مريعة في هذا الفستان".

"لا، لن تفعلي. قلت إنك ستخسرين الوزن على كل حال".

"ولن أستطيع ارتداءه. أنا أرتدي حمالة ثديين مزدوجة من المقاس د. يجب أن تكون لديّ بنية مثل بنيتك حتى أرتدي هذا الفستان". نظرت إليها غرايسي والدموع تتلألأ في عينيها، بالنظرة نفسها التي ذوّبت قلب أختها الكبرى منذ أن كانت في الخامسة.

قالت بتوسل: "سأتزوج مرة واحدة فقط. أريد أن يكون كل شيء مثالياً لهاري. أريد أن يكون هذا زفافي الحلم. يختار الجميع الألوان الوردية والزرقاء الفاتحة. لم يفكر أحد من قبل في اللون البني للمرافقات. سيكون الزفاف الأكثر أناقة الذي شهدته لوس أنجلوس".

"مع مرافقة رئيسة تبدو مثل الفيل".

"عندها ستكونين قد خسرت الوزن، أعرف ذلك. فأنت تنجحين دوماً عندما تصمّمين".

"ليست هذه هي المسألة. عليّ الخضوع لجراحة لارتداء هذا الفستان". والثنيات الصغيرة من القماش على صدر الفستان ستجعل الأمور أسوأ. تنوي غرايسي أصلاً جعل المرافقات يحملن باقات الأوركيدة البنية لتتلاءم مع الفستان. ما من شيء سيبدل رأيها، وطلبت الفساتين فيما وقفت فيكتوريا جانباً وهي ترغب في البكاء. أكدت لها أختها للتو أنها ستبدو مثل الوحش في الزفاف، فيما ستبدو كل صديقاتها النحيلات أنيقات في الفساتين البنية من دون كمين. لا شك في أن الفستان جميل، ولكن ليس على فيكتوريا. توقفت عن محاولة إقناعها، وجلست صامتة فيما أعطت غرايسي البائعة مقاسات معظم الفساتين. كل الفساتين بالمقاس أربعة تقريباً، باستثناء ثلاثة فساتين بالمقاس اثنين. وقالت غرياسي للبائعة إنها ستؤكد لها بقية المقاسات عندما تعود إلى المنزل. ارتسمت ملامح الفرح على وجهها عندما غادرتا المتجر. كانت ترقص تقريباً من شدّة حماستها، وجلست فيكتوريا بصمت في سيارة الأجرة طوال الطريق. توقفتا أمام المطعم في طريق العودة إلى الشقة، ومن دون تفكير، وضعت فيكتوريا ثلاث علب من بوظة هايغن داس قرب الصندوق. لم تلاحظ غرايسي ذلك، فهي معتادة على شراء فيكتوريا البوظة. وهي لا تعرف أبداً أن فيكتوريا لم تشترِ البوظة مطلقاً خلال الأشهر الأربعة الماضية. الأمر أشبه بمدمن متعافٍ من شرب الكحول وصل إلى المشرب وطلب الشراب مع الثلج.

عادتا إلى الشقة، واتصلت غرايسي بأمهما فيما أفرغت فيكتوريا أكياس المشتريات، ودخل هارلان. نظر إلى البوظة، وأشار إليها كما لو أنها نارٌ، وحدق إلى فيكتوريا مذعوراً وغير مصدق.

"ما هذا؟".

"طلبت للمرافقات فساتين بنية من دون كمين. لا أستطيع ارتداء ثوب كهذا".

قال لها: "إذاً، قولي لها إنك لا تستطيعين ارتداءه، واطلبي فستاناً آخر". وأخذ البوظة من يد فيكتوريا ورماها في سلة المهملات. "قد لا يكون الفستان سيئاً بقدر ما تظنين".

"إنه رائع. ولكن، ليس عليّ. لا أستطيع حتى ارتداء هذا اللون، إذا نسينا الشكل".

قال بصرامة: "أخبريها". وهو يبدو مثل طبيبتها النفسية.

"فعلت، لكنها لم تصغِ إليّ. إنه زفافها الحلم. وهي تنوي الزواج مرة واحدة فقط، وتريد أن يكون زفافها مثالياً. للجميع ولكن ليس لي".

"إنها فتاة لطيفة. اشرحي لها الأمر".

"إنها عروس في مهمة. نظرنا إلى مئة فستان اليوم. يبدو وكأنه سيكون حدث القرن".

قال: "لن يجدي نفعاً أن تنسفي الحمية الغذائية الآن". وهو يحاول تشجيعها. أزعجته رؤيتها وهي تحمل البوظة في يدها. لقد كانت جيدة جداً حتى الآن. وهو لا يريدها أن تفسد الحمية بسبب فستان سخيف.

كانت غرايسي تتحدث عبر الهاتف حينها مع كل صديقاتها، وتخبرهن عن الفستان المذهل الذي طلبته لهن جميعاً، وشعرت فيكتوريا باليأس فيما جلست في المطبخ. شعرت مجدداً بأنها شخص غير منظور. لم تكن غرايسي تسمعها، فكل شيء مرتبط بها الآن. يصعب تحمل ذلك، وهي مكتئبة بسبب الفستان. لا تعرف ما الذي يجب فعله. بدا جلياً أن غرايسي لن تصغي إليها، مهما كان الثمن.

تناولتا العشاء مع جون وهارلان في المطبخ تلك الليلة، وأخبرتهم غرايسي عن كلّ تفاصيل الزفاف. في نهاية الوجبة، أرادت فيكتوريا التقيؤ.

قالت لهارلان همساً بعدما غادرت غرايسي الغرفة للاتصال بهاري قبل الخلود إلى النوم: "أنا أغار منها ربما".

"لا أظن ذلك. هذا كثير. إنها مثل طفلة خارجة عن السيطرة. والدك يصنع وحشاً حين يسمح لها بفعل ما تريده في الزفاف".

قالت فيكتوريا وهي لا تزال تبدو مكتئبة: "يظن أن هذا يجعله يبدو مهماً". إنها المرة الأولى في حياتها التي لم تستمتع فيها فيكتوريا بصحبة غرايسي. لغاية الآن، كانت عطلة نهاية الأسبوع كارثية.

لم يكن اليوم التالي أفضل كثيراً. فقد ذهبت فيكتوريا مع أختها إلى موعدها مع فيرا وانغ. نظرتا إلى دزينة من فساتين الزفاف، وعرضت عليها المصممة أخيراً أن ترسل لها تصاميم مبدئية مرتكزة على ما قالته غرايسي، فشعرت هذه الأخيرة بالحماسة.

حلّ بعد الظهر حينها، وذهبتا إلى سيريندبيتي لتناول الغداء. طلبت غرايسي طبقاً من السلطة، وطلبت فيكتوريا الرافيولي بالجبن، مع قهوة مجلدة وكريما مخفوقة عليها، وتناولت كل شيء. لم تلاحظ غرايسي أي شيء غير اعتيادي في ما طلبته أختها، لأنها معتادة على تناول فيكتوريا مثل هذه الأطعمة. والواقع، إنّ إفساد الحمية الغذائية سبب لفيكتوريا الاكتئاب أكثر. وعندما عادتا إلى الشقة، كانت مرهقة، ومكتئبة، وشعرت وكأنها على وشك الانفجار. لم تتناول طعاماً كهذا منذ أشهر، ولاحظ هارلان ملامح الذنب على وجهها.

"ماذا فعلت اليوم؟".

قالت بغموض: "التقيت فيرا وانغ".

"ليس هذا ما أقصده، وأنت تعرفين ذلك. ماذا تناولت عند الغداء؟".

قالت وهي تشعر بالذنب: "لا تريد أن تعرف. أفسدت حميتي الغذائية تماماً".

ذكّرها: "ما من شيء يستحق ذلك فيكتوريا. لقد عملت بكدّ كبير للوصول إلى هذا خلال الأشهر الأربعة الماضية. لا تفسدي كل شيء".

قالت بتعاسة: "الزفاف يصيبني بالتوتر. أفكر في الانتحار بسبب الفستان الذي يجدر بي ارتداؤه. وتتحول أختي إلى شخص لا أعرفه. لا يجدر بها حتى الزواج من الرجل، أو من أي كان في هذا العمر. سيدير حياتها تماماً مثلما يفعل والدي. إنها تتزوج رجلاً شبيهاً بوالدنا".

"دعيها تفعل ذلك إذا كان هذا ما تريده. إنها كبيرة كفاية للاختيار بنفسها، حتى لو كان اختيارها خطأ. لا يمكنك إفساد حياتك بسبب ذلك. لن يغير هذا أي شيء، باستثناء جعلك تعيسة. انسي أمر الزفاف. ارتدي أي شيء يجدر بك ارتداؤه، واحتسي الشراب في الزفاف، وعودي إلى المنزل". ضحكت على ما قاله.

"ربما أنت محق. بالإضافة إلى ذلك، الزفاف بعد ثمانية أشهر. وحتى لو كان الفستان غير مناسب لي، فما زال بإمكاني خسارة الوزن لأبدو جيدة حينها".

"ليس إذا أفسدت حميتك الغذائية".

"لن أفعل. سأتصرف جيداً الليلة. سنبقى في المنزل. وستعود هي غداً إلى لوس أنجلوس، وسأعود أنا إلى السكة الصحيحة ما إن تغادر".

"لا، الآن". قال لها وعاد إلى غرفته. صعدت فيكتوريا حينها على آلة المشي الكهربائية للتكفير عن ذنوبها. وطلبت غرايسي بيتزا من المطعم الذي علّقت بطاقته على البراد. وصلت البيتزا بعد ساعة، وكانت لذيذة فلم تستطع فيكتوريا مقاومتها. تناولت غرايسي قطعة واحدة. وأنهت أختها الكبرى ما تبقى. أرادت رمي العلبة كي لا يراها هارلان، لكنه رآها. نظر إليها لاحقاً كما لو أنها قتلت شخصاً ما. وقد فعلت. فشعرت بالكثير من الذنب.

خرجا لتناول الغداء في اليوم التالي قبل أن تغادر غرايسي، لشكرها على مساعدتها. واصطحبتها غرايسي إلى كارليل لتناول الغداء، فتناولت

فيكتوريا البيض، وعندما طلبت غرايسي الشوكولاته الساخنة والبسكويت الصغير لم تستطع فيكتوريا مقاومتهما.

شكرتها غرايسي كثيراً عندما غادرت إلى المطار، وعانقتا بعضهما بقوة. قالت إنها أمضت وقتاً مذهلاً، وإنها ستطلعها على تصاميم فيرا وانغ وكل شيء آخر. وقفت فيكتوريا على الرصيف وهي تلوح لها فيما ابتعدت سيارة الأجرة، وما إن اختفت عن الأنظار حتى انفجرت فيكتوريا في البكاء. برأيها الشخصي، كانت عطلة نهاية الأسبوع كارثة حقيقية، وشعرت بأنها إنسانة فاشلة في كل شيء. والأكثر من كل ذلك، ستبدو مريعة في الزفاف. صعدت إلى الأعلى، ودخلت الشقة، وذهبت إلى السرير، متمنية لو أنها تموت.

الفصل 18

ارتاحت فيكتوريا لدى عودتها إلى المدرسة يوم الاثنين. إنه على الأقل عالم تفهمه، وتملك فيه بعض السيطرة. شعرت وكأن أختها غرايسي خارجة عن السيطرة بسبب الزفاف، وأن مجرد وجودها معها يسبب لها الاكتئاب هذه الأيام. كان التأثير في فيكتوريا مريعاً. فقد أصيبت بالجنون الكامل بسبب كل ما أكلته. أخذت موعداً من الدكتورة واتسون بعد الظهر بعد انتهاء المدرسة، وأخبرتها كل شيء، وكم هي مكتئبة.

اعترفت: "كنت مثل شخص مجنون يأكل كل شيء أمام عينيه. لم آكل هكذا منذ أعوام، أو أشهر على كل حال. رأيت وزني هذا الصباح، لقد ازداد ثلاثة باوندات".

طمأنتها الدكتورة واتسون: "ستخسرينها مجدداً. لماذا حصل ذلك برأيك؟". بدت مهتمة وغير خائفة.

"شعرت بأنني غير منظورة مجدداً، لأن كل ما قلته لم يهم. لقد أصبحت واحدة منهم".

"ربما لطالما كانت هكذا".

"لا، لم تكن هكذا. لكن الرجل الذي ستتزوج به يشبه والدي. أشعر أنهم يتفوقون عليّ الآن بالعدد. والفستان الذي تريد مني أن أرتديه في الزفاف يبدو مريعاً عليّ".

"لماذا لم تقولي ذلك؟".

"حاولت، لكنها لم تصغِ إليّ. طلبته على كل حال. إنها مجنونة في الوقت الحاضر".

"يحصل ذلك مع العروس أحياناً، وتبدو غير منطقية البتة".

"هذا صحيح. تريد أن يكون زفافها حلماً. ولا يجدر بها الزواج من ذلك الرجل أساساً. سينتهي بها الأمر مثل أمي، ولا أريد أن يحصل لها ذلك".

ذكّرتها الطبيبة: "لا يمكنك تغيير ذلك. الشخص الوحيد الذي تستطيعين السيطرة عليه هو أنت". بدأت فيكتوريا تفهم ذلك. لكن، من المؤلم رؤية غرايسي وهي تصبح تماماً مثل والديها. شعرت فيكتوريا بالتحسن بعدما غادرت عيادة الطبيبة، وأمضت ساعة على آلة المشي الكهربائية عندما عادت إلى المنزل ثم ذهبت إلى النادي الرياضي.

عادت فيكتوريا إلى المنزل في تمام الساعة الثامنة، وكانت مرهقة جداً فخلدت إلى السرير. أرسلت لها غرايسي رسالتين هاتفيتين خلال النهار لشكرها مجدداً. شعرت فيكتوريا بالذنب بسبب غضبها خلال عطلة نهاية الأسبوع. فبالرغم من اعتبار غرايسي العطلة مذهلة، إلاّ أن الأمر لم يكن ممتعاً بالنسبة إليها. وهي تتحرق شوقاً لكي ينتهي الزفاف، بحيث تتمكنان من تمضية بعض الوقت المنطقي مع بعضهما مجدداً. ستكون ثمانية أشهر طويلة.

في اليوم التالي، ذهبت فيكتوريا إلى وايت وانتشرز قبل الذهاب إلى العمل. اعترفت بخطاياها أمام أحد الاختصاصيين وقامت بقياس وزنها مجدداً. لقد خسرت باوندين من الباوندات الثلاثة التي اكتسبتها في عطلة نهاية الأسبوع. وهذا جيد، فقد عادت إلى السكة الصحيحة مجدداً.

درّست ثلاثة صفوف متتالية قبل الغداء، وكانت تغادر صفها وتتوجه إلى مكتبها عندما رأت إحدى تلميذاتها تبكي في الردهة. بدا اليأس على وجه الفتاة، وأسرعت إلى حمام النساء عندما رأت فيكتوريا قادمة، الأمر الذي أثار قلق هذه الأخيرة، فلحقت بها إلى الداخل، ووجدتها في الحمام بمفردها.

سألتها فيكتوريا بحذر: "هل أنت بخير؟". اسم الفتاة آيمي غرين، وهي تلميذة جيدة، وعرفت فيكتوريا من سجلها أن والديها يتطلقان.

قالت آيمي وهي تنفجر في البكاء مجدداً: "نعم، أنا بخير". أعطتها فيكتوريا عدة مناديل ورقية، ومسحت آيمي أنفها وبدت محرجة.

"هل من شيء أستطيع فعله؟". هزّت الفتاة رأسها، وهي عاجزة عن الكلام بسبب اليأس. "هل تريدين المجيء إلى مكتبي لبضع دقائق أو القيام بنزهة؟". ترددت آيمي، ثم أومأت برأسها. لطالما كانت فيكتوريا لطيفة معها، ورأت آيمي أنها *رائعة*.

كان مكتبها على مسافة قريبة جداً، ولحقت بها آيمي. أغلقت فيكتوريا الباب ما إن دخلت آيمي، وأشارت إليها للجلوس على كرسي. سكبت فيكتوريا بعض الماء في كوب، وأعطتها إيّاه، فيما انفجرت آيمي في البكاء مجدداً. لا تبدو الأمور جيدة. جلست فيكتوريا بهدوء في انتظارها لكي تهدأ. وأخيراً، نظرت إليها آيمي بذعر واضح.

قالت باكية: "أنا حامل. لم أكن أعرف. اكتشفت ذلك البارحة". وتسهل معرفة من هو الشاب المسؤول. فهي تواعد الشاب نفسه منذ عامين، وهو شاب لطيف. سيتخرجان في شهر يونيو. فجأة، خرجت كل الأفكار المتعلقة بزفاف أختها من عقلها.

سألت فيكتوريا بهدوء، وهي تعطيها المزيد من المناديل الورقية: "هل أخبرت أمك؟".

"لا أستطيع. ستقتلني. إنها متوترة بسبب الطلاق". وكانت فيكتوريا قد سمعت الكثير من الشائعات حول ذلك، وسمعت أن زوجها قد تركها من أجل امرأة أخرى. "والآن هذا. لا أعرف ماذا أفعل".

"هل يعرف جاستن؟".

أومأت آيمي برأسها. "ذهبنا إلى الطبيب. استخدمنا الواقي، لكنه تمزق. وتوقفت عن تناول حبوب منع الحمل لأنها تشعرني بالغثيان".

قالت فيكتوريا: "اللعنة". وضحكت آيمي عبر دموعها.

"يمكنك قول ذلك مجدداً".

"حسناً، اللعنة". ضحكتا هذه المرة، بالرغم من أن المسألة غير مضحكة. "هل تعرفين ما الذي تريدين فعله بشأن ذلك؟". إنه قرار يجدر بها اتخاذه مع والديها، لكن فيكتوريا تستطيع الإصغاء.

"لا أعرف. أنا صغيرة جداً على إنجاب طفل. لكنني لا أريد الإجهاض. هل سيطردونني من المدرسة؟". بدت مذعورة، وشعرت فوراً بالندم لأنها أخبرتها.

قالت فيكتوريا بصراحة: "لا أعرف". في الأعوام السبعة التي أمضتها في المدرسة، لم تواجه مثل هذه المسألة من قبل. فهي تعرف تلميذات أخريات حملن، وسمعت بشأن ذلك، لكنها لم تكن قطّ في الصفوف الأمامية، أو أول من يعلم. فهذه المسائل تكون عادة من اختصاص مجلس الإدارة، أو عميد التلاميذ، أو مدير المدرسة. إنها مجرد أستاذة لغة إنكليزية، حتى لو كانت مسؤولة القسم. لكنها امرأة، وتستطيع فهم هذه الفتاة الشابة، بالرغم من أن الأمر لم يحصل معها مطلقاً. واستاءت من إمكانية عدم تخرج آيمي، فقد نالت قبولاً من جامعتي يال وهارفارد، ومن كل الجامعات المهمة التي تقدمت إليها. "ربما نستطيع تدبر حل ما". عرفت أنهم لن يسمحوا أبداً لتلميذة حامل بحضور الصفوف. "أظن أنه يجدر بك التحدث إلى أمك أولاً".

"ستموت".

"لا، لن تموت. تحصل مثل هذه الأمور مع الكثير من الأشخاص. عليك فقط إيجاد الحل الصحيح، أياً كان. يعود هذا إليك وإلى أمك. هل تريدين أن أتحدث إليها برفقتك؟".

قالت آيمي بتنهيدة: "لا. أظن أنه سيجن جنونها إذا عرفت أنني أخبرتك أولاً". وشربت القليل من الماء. لقد هدأت، لكن عليها اتخاذ بعض القرارات الصعبة. عمرها سبعة عشر عاماً، وأمامها مستقبل زاهر من دون طفل. أمّا مع طفل، فسيكون الأمر أصعب بكثير. "قال جاستن إنه

سيتحدث إليها معي. يريدني أن أحتفظ بالطفل، وربما استطعنا الزواج في يوم ما". بدت حزينة فيما قالت ذلك. فهي لا تشعر بأنها مستعدة لإنجاب طفل، أو للزواج، لكن الحل البديل بدا أسوأ بالنسبة إليها.

دوّنت فيكتوريا رقم هاتفها الخلوي على قصاصة ورقية، وأعطتها إيّاه قائلة: "اتصلي بي في أي وقت، وفي أي ساعة. سأبذل كل ما في وسعي للمساعدة. وإذا تحدثت إلى السيد والكر، ربما أستطيع مساعدتك هناك". لم تكن تريد أن يتم طردها أو إيقافها عن الدروس، بل أرادت أن تنهي دراستها، وهذا ما تريده آيمي أيضاً.

بعد دقيقة، غادرتا مكتبها مع بعضهما، وعانقتها فيكتوريا قبل أن تذهب آيمي لرؤية جاستن في المقهى. ورأتهما فيكتوريا يغادران المدرسة مع بعضهما بعد الغداء. أملت أن تذهب آيمي إلى المنزل لرؤية أمها. في اليوم التالي، لم تأتِ آيمي إلى المدرسة، ثم اتصلت بها لاحقاً، وقالت لها إنهما ستلتقيان السيد والكر بعد الظهر بعد المدرسة، وطلبت من فيكتوريا الحضور. وافقت فيكتوريا على ذلك، وكانت تنتظر خارج مكتبه عندما وصلت آيمي مع أمها. بدت آيمي وكأنها كانت تبكي، وبدت أمها تعيسة. ابتسمت آيمي ما إن رأت فيكتوريا، وشكرتها أمها على حضورها.

كان مدير المدرسة في انتظارهن، ووقف ما إن دخلن الغرفة. بدا متفاجئاً لدى رؤيته فيكتوريا، وطلب منهن جميعاً الجلوس. بدا قلقاً، فهو لم يسمع بأي مشكلة تواجه آيمي في المدرسة، ولا يعرف أبداً سبب وجودها هنا. افترض أن للأمر علاقة بالطلاق، وأمل ألا ترغب في تغيير المدرسة. إنها تلميذة ممتازة، وسيأسفون على خسارتها إذا تركت المدرسة. بدا مذهولاً عندما أخبرته السيدة غرين أن آيمي حامل. شعر فوراً بالأسف عليها. ليست هذه هي المرة الأولى التي يحصل فيها ذلك، لكن الوضع صعب دوماً على التلميذ والمدرسة. قالت السيدة غرين إن الطفل يفترض به أن يولد في شهر مايو. ثم صدمت فيكتوريا ومدير المدرسة بالقول إن آيمي قد قررت الاحتفاظ بالطفل. ستهتم أمها بالطفل عندما تذهب آيمي إلى

www.mlazna.com-RAYAHEEN

الجامعة في الخريف. فقد تقدمت إلى جامعة بارنار وجامعة نيويورك ويمكنها البقاء في المنزل مع الطفل. كانت والدة آيمي داعمة جداً، وبدت آيمي أقل انزعاجاً مما كانت عليه منذ يومين.

قالت السيدة غرين بأكبر هدوء ممكن: "تريد أن نعرف إذا كان باستطاعة آيمي البقاء في المدرسة هنا، أو إن كان علينا إخراجها من المدرسة". إنه أحد أكبر مخاوفهما في الوقت الحاضر، فربما سيؤثر الأمر في ذهابها إلى الجامعة إذا لم تنهِ سنتها الثانوية الأخيرة.

سألها مدير المدرسة بصراحة: "آيمي، كيف تشعرين حيال وجودك هنا؟ هل سيكون الأمر صعباً عليك، مع كلام الجميع وإدراكهم وضعك؟".

"لا، لأنني سأحتفظ بالطفل على كل حال". ابتسمت لأمها بامتنان، ولاحظت فيكتوريا أنه لم يكن قراراً سهلاً، لكنها رأت أنهما اتخذتا القرار الصحيح. فكرت في أن إنجاب الطفل والتخلي عنه سيكونان خطأين كبيرين ومؤذيين لآيمي أكثر من التعديلات التي ستضطر إلى اتخاذها الآن. وإذا كانت أمها راغبة في المساعدة، فستتمكن من المضي قدماً في حياتها. قالت آيمي بصراحة: "أفضل البقاء هنا". وأومأ مدير المدرسة برأسه. لم يسمح قطّ لتلميذة حامل بالبقاء في المدرسة، لكنه لا يريد القضاء على مسيرتها الأكاديمية أيضاً. لديه مسؤولية تجاهها تماماً مثل بقية التلاميذ الآخرين. وكان يحاول معرفة متى سينكشف الموضوع.

"أستطيع جعلك في دوام حرّ، لكن الجامعة التي ستذهبين إليها قد لا تحب ذلك. متى يفترض أن يولد الطفل؟".

أخبرته آيمي: "في الأول من مايو".

قال: "لدينا إجازة طويلة في شهر أبريل بسبب عطلة الربيع، وستستمر العطلة حتى نهاية أبريل. ماذا لو بقيت هنا حتى إجازة الربيع، ثم مكثت في المنزل لحين إنجاب الطفل؟ يمكنك بعدها العودة إلى المدرسة في نهاية شهر مايو للخضوع للامتحانات النهائية والتخرج مع رفاقك في شهر يونيو. لن يعرقلك الأمر أكاديمياً، وأظن أننا نستطيع إنجاح الأمر هنا.

هناك تلاميذ غابوا لفترة أطول عن المدرسة. فأنا لا أريد أن تتسفي سنتك الثانوية الأخيرة. ستكون هذه سابقة بالنسبة إلينا، لكننا نستطيع تدبر الأمر إذا أردت". قال وهو ينظر إليهما معاً، فأومأت آيمي برأسها وبدأت تبكي مجدداً وقد شعرت بارتياح كبير. لم تتفوه فيكتوريا بكلمة، لكنها جاءت إلى هنا لدعمها. شكرت والدة آيمي مدير المدرسة كثيراً، ثم غادرن الغرفة بعد دقائق قليلة. كان جاستن ينتظر في الخارج وهو يبدو قلقاً. ابتسمت له آيمي لحظة خرجن، ووضع ذراعيه حولها فيما راقبتهما أمها وفيكتوريا. كان لطيفاً جداً معها، وتمنت فيكتوريا الخير لهما معاً. ربما تنجح الأمور، بمساعدة أمها.

أخبرت آيمي جاستن وهي تبتسم ابتسامة عريضة: "سيسمحون لي بالبقاء. كان السيد والكر لطيفاً فعلاً. سأبقى حتى إجازة الربيع، وأعود بعد ولادة الطفل للخضوع للامتحانات النهائية وحضور التخرج". بدا جاستن وكأن حملاً كبيراً قد نزل عن كتفيه أيضاً. إنهما فعلاً ولدان جيدان، والتزم الجميع بمساعدتهما.

شكر جاستن فيكتوريا ووالدة آيمي.

"لم أفعل أي شيء". صححت فيكتوريا على الفور، وتدخلت آيمي.

"بلى، فعلت. لقد أصغيت إليّ في ذلك اليوم، وساعدتني على استجماع شجاعتي لأخبر أمي. ذهبنا لرؤيتها مباشرة بعدما رأيتك".

قالت فيكتوريا بهدوء: "أنا مسرورة من أجلك. أظن أنكم اتخذتم جميعاً بعض القرارات الجيدة، وبعض القرارات الصعبة. أنا واثقة من ذلك". ما من حلّ مثالي، لكن هذا أفضل ما يستطيعون فعله.

"شكراً على دعمك". قالت والدة آيمي لفيكتوريا بصوت مخنوق، وغادروا هم الثلاثة المدرسة بعد دقائق قليلة للعودة إلى المنزل.

فكرت فيكتوريا في أختها. إنها مسرورة لأنها لم تتعرض لشيء كهذا. عرفت أن الأمر قد يحصل مع أي كان. وكانت السيدة غرين متفهمة جداً للموضوع. تعامل جاستن وآيمي مع الموضوع جيداً أيضاً، وكانا

شجاعين كثيراً. كانت لا تزال تفكر فيهما عندما عادت إلى المنزل في تلك الليلة. جاءت آيمي إلى صف فيكتوريا في اليوم التالي لتشكرها مجدداً. وكان جاستن برفقتها، وهو هكذا منذ عامين، وبدت آيمي أفضل حالاً مما كانت عليه طوال أيام. ستكون سنة مدرسية مثيرة مع تلميذة حامل بينهم. ومثلما قال المدير، إنها سابقة. لم تكف فيكتوريا عن التفكير في أنه لا يوجد أي مثل مع الأولاد.

الفصل 19

مثلما تفعل في كل سنة، سافرت فيكتوريا إلى لوس أنجلوس لحضور مناسبة الشكر. سيكون الأمر مختلفاً هذه السنة لأن هاري وافق على الانضمام إليهم. سيكون هذا نموذجاً لما ستكون عليه الأمور عندما يتزوج غرايسي. عندما وصلت فيكتوريا إلى المنزل ليلة الأربعاء، كانت أمها منهمكة في ترتيب الطاولة ووضع أفضل الشراشف، ولم ترَ غرايسي قطّ. فقد كانت غرايسي وهاري قد خرجا لتناول العشاء مع أخته التي ستصبح ابنة حميها قريباً. كان والداه مسافرين، ولذلك سيمضي هاري مناسبة الشكر مع عائلة داوسون عوض ذلك. وتصرف والداها كما لو أن رئيس دولة سيكون معهم. تم استخدام الأفضل في كل شيء، الأمر الذي بدا سخيفاً بالنسبة إلى فيكتوريا. لكنها ساعدت أمها على ترتيب الطاولة ما إن وصلت. استخدمت أمّها الشرشف وأطقم الكريستال الخاصة بجدتها، وأطباق زفافها.

"هل نحن مضطرون فعلاً إلى تكبّد كل هذا العناء من أجله؟ لا أذكر أنك استعملت هذه الأطباق من قبل".

اعترفت كريستين بخجل: "لم أستخدمها منذ عشرين عاماً. أراد والدك ذلك. فهو يظن أن هاري معتاد على الأفضل، ولا يريده أن يظن أننا لا نملك أشياء جيدة". أحست فيكتوريا فجأة برغبة ملحة في تحويل مناسبة الشكر إلى حفلة شواء في الفناء الخلفي للمنزل واستخدام الأطباق الكرتونية. بدا استعمال كل هذه الأمور من أجل شاب يبلغ السابعة والعشرين من عمره أمراً سخيفاً. ففي النهاية، سيكون فرداً من العائلة. لكن

والديها يحبّان المظاهر. ربما كان هاري ليرضى بالأطباق اليومية التي رآها قبلاً، وهي جيدة تماماً. لقد تحولت العطلة إلى مسألة مهمة أكثر من المعتاد.

عادت غرايسي إلى المنزل عند منتصف الليل، وكانت مذهولة من مدى جمال أخت هاري، ومن الوقت الجيد الذي أمضياه معها، بالرغم من أنها التقتها سابقاً. لكنهما ستصبحان قريبتين الآن. أخته متزوجة من رجل محترم، ولديها ولدان. واشتاقت فيكتوريا إلى الأيام التي كانت تتحدث فيها غرايسي عن شيء آخر غير عائلة وايلكس والزفاف. ولم تقبل بعد أن ترتدي الفستان البني في الزفاف. يستحيل إقناع غرايسي بأي شيء في هذه الأيام، والتحدث عن أي شيء آخر غير الزفاف.

قالت فيكتوريا بمنطق: "ربما يجدر بك العثور على وظيفة. سيمنحك ذلك شيئاً للتفكير فيه حتى موعد الزفاف".

قالت غرايسي بقرف: "لا أظن أن هاري يريد ذلك".

أضافت أمهما: "لا تملك الوقت. لديها الكثير من الأمور الواجب إنجازها للزفاف. ما زال علينا إعداد الدعوات، واختيار كل شيء للائحة الهدايا في ثلاثة متاجر. يريد هاري العثور على شقة، ويجب عليها مساعدته على القيام بذلك. لا نزال ننتظر التصاميم من فيرا وانغ، وينجز أوسكار دو لا رنتا أيضاً بعض التصاميم لفساتين الزفاف التي تتماشى مع فساتين المرافقات. وهي لم تختر قالب الكيك بعد، وعلينا لقاء متعهد تقديم الطعام، واختصاصي الأزهار. نحتاج إلى فرقة موسيقية، ولسنا واثقين بشأن دار العبادة. وسيتوجب عليها بعد ذلك تجربة الفستان، والتقاط الصور به. وستكون هناك ربما جلسات استشارية في دار العبادة. لا تملك الوقت للعمل. ستكون مشغولة كل يوم حتى الزفاف". شعرت فيكتوريا بالإرهاق بمجرد استماعها إلى اللائحة، وبدت أمها مرهقة فعلاً. أصبح التحضير لهذا الزفاف يتطلب منهما انهماكاً تامًّا في العمل، وبدا الأمر سخيفاً بالنسبة إلى فيكتوريا. ينجح أشخاص آخرون في العمل والزواج. ولكن، ليس غرايسي.

"لا بد من أن هذا يكلف ثروة". قالت فيكتوريا لوالدها في اليوم التالي فيما كانت أمها تشوي الحبش، وهي ترتدي بذلة شانيل صوفية بيضاء مع منزر. أصبحا متكلفين جداً. كانت فيكتوريا ترتدي سروالاً صوفياً رمادياً وكنزة بيضاء، وبدا هذا كافياً بالنسبة إلى مناسبة الشكر الاعتيادية. فهم لا يرتدون عادة الثياب الرسمية أو يبذلون هذا القدر من الجهد. لكنّ يوماً جديداً أشرق منذ خطوبة غرايسي وهاري. رأت فيكتوريا أنّ ذلك سخيف وغير ملائم، ولم تشأ الانضمام إليه.

أكّد لها والدها: "أنت محقة. هذا يكلف ثروة. لكنهم عائلة مهمة جداً، ولا أريد أن تشعر غرايسي بالإحراج. لا تتوقعي شيئاً كهذا إذا تزوجت. فإذا عثرت على رجل للزواج منه، فمن الأفضل أن تتزوّجيه من دون حفلة. لا يمكننا فعل ذلك مجدداً". شعرت فيكتوريا وكأنه صفعها. كالعادة، تم إيلاغها أن غرايسي تستحق زفافاً يليق بأميرة، لكن إذا تزوجت هي – الأمر الذي يعتبره والدها غير محتمل – فمن الأفضل أن تخطط لزواج خاطف لأنّ والديها لن يقيما لها زفافاً. كم هذا جميل! وكم هو واضح! أهلاً بمواطنية الدرجة الثانية مجدداً. العائلة في الدرجة الأولى، وهي في الدرجة الأرخص. إنهما يحرصان دوماً على اعتبارها مختلفة وأقل شأناً من أي شخص آخر، أو إنسانة فاشلة. تساءلت لماذا لم يضعوا لافتة على باب غرفتها كتب عليها *نحن لا نحبك*. فقد قال والداها ذلك بكل طريقة ممكنة، وشعرت قليلاً بالأسف لأنها جاءت إلى المنزل. كان في وسعها تمضية مناسبة الشكر مع هارلان وجون في شقتها. إنهما يدعوان الأصدقاء، وهي واثقة بأنها كانت لتكون محط ترحيب أكثر مما هي عليه هنا. لا يمكنها الشعور بنبذ أكثر وكره أكبر بعد ما قاله والدها للتو. لم تذكر الزفاف مجدداً، فقد أصبح موضوعاً مؤلماً بالنسبة إليها، حتى لو كان الشيء الوحيد الذي تفكر فيه أختها الآن. وعندما وصل هاري عند الظهر، أصبحت الأمور أسوأ.

شعر الجميع بالتوتر وبدأوا يدورون حول أنفسهم. قدم والدها شراباً، وكانت أمها قلقة بشأن الحبش. كانت فيكتوريا تساعد في

المطبخ، فيما غرايسي وهاري يتهامسان في الخارج ويضحكان. أما والداها فكانا يتصرفان مثل أحمقين. وعندما جلسوا إلى المائدة، تحدث والدها وهاري عن السياسة. أخبرهم هاري عن المشكلة في البلاد وما يجب فعله لإصلاحها، ووافقه والدها الرأي. وفي كل مرة حاولت فيها غرايسي قول شيء ما، كان هاري يقاطعها، أو ينهي العبارة نيابة عنها. لم تكن تملك صوتاً أو رأياً، ومن غير المسموح لها التفكير في أي شيء سوى في الزفاف. لا عجب أن تتحدث عنه طوال الوقت، لأنه الشيء الوحيد الذي يسمح لها هاري بالتحدث عنه. لطالما وجدته فيكتوريا مزعجاً عندما كانا يتواعدان، لكنه بات الآن لا يطاق ومتبجحاً جداً. بين هاري ووالدها، أرادت الصراخ. أدت غرايسي دور الغبية على الدوام الآن لإرضاء هاري، واستمرت أمها بالتحرك إلى المطبخ ذهاباً وإياباً. ولم تجرِ فيكتوريا محادثة مهمة مع أي كان طوال فترة بعد الظهر. ذهبت أخيراً إلى الفناء الخلفي بعد انتهاء الوجبة لتتنشق بعض الهواء. كانت مذعورة مما أوصلت إليه غرايسي نفسها. وعندما خرجت غرايسي للبحث عن فيكتوريا، نظرت إليها أختها الكبرى بتعاسة.

"صغيرتي، أنت أذكى من هذا. ماذا تفعلين؟ لا يسمح لك هاري بقول أي شيء. كيف يمكنك أن تكوني سعيدة هكذا؟ هناك حياة بعد الزفاف. لا يمكنك أن تكوني مع رجل يديرك طوال الوقت ويخبرك بما يجب عليك التفكير فيه".

قالت غرايسي: "إنه لا يفعل ذلك. إنه رائع معي". وبدت منزعجة مما قالته أختها.

"أنا واثقة من ذلك. لكنه يعاملك مثل دمية من دون دماغ". بدت غرايسي مصدومة، وبدأت تبكي فيما حاولت فيكتوريا معانقتها، فلم تسمح لها غرايسي بذلك.

"كيف يمكنك أن تقولي شيئاً كهذا؟".

"لأنني أحبك ولا أريدك أن تفسدي حياتك". كانت فظة وصريحة قدر الإمكان، ورأت أنه من الضروري قول ذلك.

"ليس هذا صحيحاً. أنا أحبه وهو يحبني. وهو يجعلني سعيدة".

"إنه مثل بابا الذي لا يصغي إلى ماما أيضاً. لا يفعل أحد منا ذلك. نحن نصغي إليه فقط. وهي تخرج وتلعب البريدج. هل هذا ما تريدين أن تكوني عليه عندما تكبرين؟ يجدر بك الحصول على وظيفة وفعل شيء ذكي الآن. أنت فتاة ذكية غرايسي. أعرف أن العمل خطيئة في هذه العائلة، لكنه شيء جيد في العالم الحقيقي".

قالت غرايسي بغضب: "أنت غيور. وأنت غاضبة من الفستان البني". بدت مثل طفلة وقحة.

"لست غاضبة. خاب أملي لأنك ستجبرينني على ارتداء شيء أبدو مريعة فيه. لكن، إذا كان هذا مهماً بالنسبة إليك فسأرتديه. أتمنى فقط لو أنك اخترت ثوباً أبدو جيدة فيه، وليس فقط أثواباً تبدو صديقاتك جميلات وهن يرتدينها. إنه زفافك، وأنت من تقررين. لا أريدك فقط أن تتخلي عن دماغك عند المذبح وتقايضيه بخاتم الزفاف. أظن أن هذه مقايضة سيئة جداً".

قالت غرايسي: "أظن أنك ساقطة". وعادت مسرعة إلى الداخل، فيما وقفت فيكتوريا في الخارج وتساءلت: بعد كم من الوقت ستغادر وتعود إلى نيويورك؟ لن تكون الطائرة التالية سريعة كفاية بالنسبة إليها. إنهم مشغولون جداً في عرض أنفسهم أمام هاري ومحاولة التأثير فيه بحيث أُفسدت العطلة كلها بالنسبة إليها. عادت إلى الداخل، وشربت القهوة مع الآخرين، ولم تقل فيكتوريا أي شيء. كانت غرايسي جالسة على الأريكة قرب هاري، وبعد دقائق قليلة ذهبت فيكتوريا إلى المطبخ لمساعدة أمها على تنظيف الأطباق، إذ يجب غسلها كلها باليد لأنها دقيقة جداً. بقي والدها في غرفة الجلوس للتحدث إلى هاري. كان يوماً صعباً على فيكتوريا. فقد بدوا وكأنهم أفراد عائلة شخص آخر الآن، إذ يملك

كل واحد منهم مكاناً ودوراً باستثنائها هي. فدورها هو دور المنبوذة، وهي لم تستمتع به.

قالت وهي تجفّف الصحون: "كان الحبش جيداً أمي".

"اعتقدت أنه جاف جداً. كنت متوترة، وتركته لوقت طويل جداً. أردت أن يكون كل شيء مثالياً لهاري". أرادت فيكتوريا أن تسألها لماذا؟ ما الفرق إذا كان سيصبح فرداً من العائلة؟ إنّه ليس ملكاً. لم تلاحظ قطّ مثل هذه الجلبة مع أي شخص زارهم سابقاً. أضافت أمها مع ابتسامة: "إنه معتاد على الأشياء الراقية في الحياة، وسوف تعيش غرايسي حياة رائعة معه". لم تكن فيكتوريا واثقة من ذلك. في الواقع، إنها واثقة من أن غرايسي لن تعيش حياة رائعة معه إذا لم يسمح لها بإنهاء عبارة أو قول كلمة مطلقاً. إنه رجل وسيم وذكي ومن عائلة غنية، لكن فيكتوريا تفضل البقاء بمفردها إلى الأبد بدلاً من الزواج به. ورأت أن أختها ترتكب خطأ فادحاً. إنه غير مبالٍ، ومتزمت، ومسيطر، ومعتد بنفسه، ولا يحترم غرايسي كشخص، وإنما يعتبرها فقط زينة أو دمية. إنها تتزوج نسخة عن والدهما، أو ربما أسوأ.

لم تتفوه فيكتوريا بأي كلمة أخرى طوال اليوم وفي السهرة، وحاولت عقد الصلح مع أختها في اليوم التالي. التقتا لتناول طعام الغداء في مطعم فرد سيغال الذي كان دوماً أحد الأماكن المفضلة لديهما، وبدت غرايسي منزعجة مما قالته فيكتوريا في اليوم السابق. لكنها تحسنت في منتصف الغداء. وكانت فيكتوريا منزعجة جداً بحيث تناولت طبقاً كاملاً من المعكرونة وكل سلة الخبز. أدركت أن التواجد مع عائلتها يدفعها إلى تناول مقادير مفرطة من الطعام، لكنها لا تستطيع كبح نفسها.

"متى ستغادرين؟". سألتها غرايسي فيما دفعت فيكتوريا الفاتورة. بدت غرايسي وكأنها سامحتها في نهاية الغداء، وهذا أمر مريح. إذ لا تريد أن تغادر وهي على خلاف معها.

قالت فيكتوريا بهدوء: "أظن أنني سأذهب غداً. لديّ الكثير من العمل الواجب إنجازه". لم تجادلها غرايسي، فقد عرفت أنهما لا تتفقان كثيراً في هذه الأيام. اعتقدت غرايسي أنه ضغط الزفاف، لكن فيكتوريا عرفت أن الأمور أعمق من هذا، وشعرت بالحزن. شعرت وكأنها تخسر أختها الصغيرة لصالحهم. لم يحصل ذلك من قبل قطّ، وأضاف هاري ثقله إليهما، وكان واحداً منهم أيضاً. شعرت فيكتوريا أنها يتيمة أكثر من أي وقت مضى، وهذا الشعور هو الأصعب في العالم. لمرة واحدة، لا يستطيع الطعام تخفيف الألم. لم تتناول الحلوى في مناسبة الشكر، بالرغم من أنها تحب عادة فطيرة اليقطين مع الكريما المخفوقة. ولم يلاحظ والدها امتناعها عن تناول الحلوى. لكن لو أكلت الحلوى، لكان علّق على ذلك، وعلى حجم الحصة التي أكلتها. لا مجال لإرضائهما. هذا أمر ميؤوس منه.

حجزت لرحلة صباح السبت، وتناولت العشاء مع والديها ليلة الجمعة. كانت غرايسي في منزل هاري، واتصلت بها فيكتوريا عندما غادرت. قالوا جميعاً إنهم يريدون رؤيتها في الميلاد، لكنها اتخذت قرارها؛ لن تأتي إلى لوس أنجلوس في الميلاد. لم تخبرهم بذلك، لكنها عرفت أنه ما من جدوى. فلا يوجد شيء لتعود من أجله. ستأتي إلى الزفاف، وليس قبلاً. ستمضي الميلاد مع هارلان وجون. ذاك هو منزلها الآن، وليس هذا. إنّ هذه خطوة كبيرة بالنسبة إليها. شعرت وكأنها خسرت أختها الصغيرة التي كانت حليفتها طوال أعوام، ولم تعد هكذا الآن.

اصطحبها والدها إلى المطار، وقبلته فيكتوريا قبلة الوداع. طلب منها الاعتناء بنفسها، وعرفت أنه ربما يقصد ذلك فعلاً. شكرته، وتوجهت نحو حاجز الأمن ولم تنظر إلى الخلف. لم تشعر بهذا القدر من الارتياح في حياتها كما شعرت عندما أقلعت الطائرة وغادرت لوس أنجلوس. توجهت الطائرة نحو نيويورك، وعرفت أنها عائدة إلى منزلها.

الفصل 20

الأيام الفاصلة بين مناسبة الشكر والميلاد فوضوية دوماً في المدرسة، لكن فيكتوريا حرصت على زيارة وايت وانتشرز كل أسبوع، مهما كانت مشغولة. لم يكن أحد في مزاج مناسب للعمل. وكان الجميع توّاقين للعطلة. وعندما انتهت الامتحانات، تحدث الجميع عما سيفعلونه في العطلة. هناك رحلات إلى الباهاماس، وزيارات إلى الجدات في بالم بيتش، أو زيارة أقارب في مدن أخرى. وهناك رحلات تزلج إلى أسبن، وفايل، وستو، حتى إن البعض أرادوا الذهاب إلى أوروبا للتزلج في غستاد وفال ديزير وكورشوفيل. إنها بلا شك عطلات الأولاد الأغنياء في مواقع فخمة حول العالم. ذهلت فيكتوريا عندما سمعت إحدى تلميذاتها وهي تناقش مشروعات عطلتها. كانت تتحدث عن الأمر إلى رفيقتيها في أثناء توضيب الأغراض بعد انتهاء الصف، ولم تستطع فيكتوريا منع نفسها من استراق السمع. اسم الفتاة هو ماجوري وايتوونر، وأعلنت أنها ستخضع لعملية تصغير الثديين خلال عطلة الميلاد. إنها هدية من والدها، وسألتها الفتاتان الأخريان عن الموضوع. ضحكت إحداهما وقالت إنها ستجري العملية المعاكسة، فقد وعدتها أمها بتكبير ثدييها كهدية تخرج في الصيف المقبل. بدت الفتيات الثلاث مهتمات جداً بالعملية الجراحية، ونظرت إليهن فيكتوريا.

"أليس هذا مؤلماً جداً؟". لم تستطع منع نفسها من السؤال عن عملية تصغير الثديين. بدا ذلك مريعاً بالنسبة إليها، وعرفت أنها لا تملك الشجاعة لفعل ذلك. وماذا لو لم تحب النتيجة؟ تذمرت من حجم ثدييها طوال حياتها،

لكن التخلص منهما، ولو جزئياً، بدا خطوة كبيرة بالنسبة إليها. فكّرت في الأمور طوال أعوام، ولكن ليس بجدية كافية للقيام بذلك.

أجابتها ماجوري: "ليس الأمر سيئاً جداً. لقد فعلت قريبتي ذلك في العام الماضي. وهي تبدو رائعة".

قالت الفتاة الأخرى: "أجريت عملية لأنفي عندما كان عمري ستة عشر عاماً". إنها مناقشة طبية جدية عن فوائد الجراحة التجميلية بين المراهقات. ذهلت فيكتوريا من لامبالاتهن ومعرفتهن بمختلف العمليات. اعترفت بشأن عملية الأنف: "إنها مؤلمة، لكنني أحب أنفي الجديد. أنسى أحياناً أنه ليس الأنف الذي ولدت به. كنت أكره أنفي القديم". ضحكت الفتاتان الأخريان، وتحدثت فيكتوريا بخجل.

"أكره أنفي أنا أيضاً، ولطالما كرهته". اعترفت فيكتوريا بخجل للتلميذات الثلاث. إنها محادثة مذهلة. شاركت فيها صدفة، لكنها أصبحت الآن جزءاً منها.

قالت إحدى الفتيات: "إذاً يجدر بك تغييره والحصول على أنف مختلف. ليست مسألة مهمة. لم تكن عمليتي الجراحية سيئة جداً. وقد خضعت أمي لعملية شد الوجه في العام الماضي". تأثرت الأخريات، وذهلت فيكتوريا مما قلنه. لم يخطر لها قطّ أن تغير أنفها، وقالت ذلك عن طريق المزاح، لكنها لم تعتبره خياراً بالنسبة إليها مطلقاً. تساءلت عن تكلفة العملية، لكنها لم تشأ أن تسأل الفتيات.

تحدثت إلى هارلان بشأن هذا الأمر مساءً، وسألته بطريقة عفوية فيما كانا يطهوان العشاء معاً: "هل تعرف أي جرّاح تجميل؟". كانا يحضران الخضار مع السمك المطهو بالبخار، وهي ملتزمة بحميتها الغذائية وبدأت تتخلص من الوزن الذي أرادت خسارته منذ وقت طويل.

"ليس تماماً. لماذا؟".

"أفكر في تغيير شكل أنفي". قالت ذلك كما لو أنه قبعة جديدة أو حذاء جديد، وضحك.

"متى حصل ذلك؟ لم تذكري ذلك من قبل قطّ".

"كنت أستمع إلى بعض تلميذاتي بعد صفي اليوم. إنهن موسوعة كاملة عن العمليات الجراحية. أجرت إحداهنّ عملية تجميل لأنفها قبل عامين. وستخضع أخرى لعملية تصغير الثديين خلال عطلة الميلاد، كهدية. أما الأخرى فستخضع لعملية تكبير الثديين في الصيف المقبل، كهدية للتخرج. شعرت أنني الشخص الوحيد في المدرسة الذي لا يزال يحتفظ بأعضائه الأصلية. وهنّ مجرد فتيات صغيرات". قالت بذهول.

أومأ جون برأسه: "تلميذات غنيات. لم تخضع أي من تلميذاتي لعملية تجميل في الأنف أو تكبير للثديين في عطلة الميلاد".

"على كل حال، لا أعرف كم تكلف العملية، لكنني كنت أفكر في تدليل نفسي بالحصول على أنف جديد خلال الميلاد. لن أذهب إلى المنزل، ولذلك أملك الوقت للقيام بذلك".

"لن تذهبي؟ متى قررت ذلك؟". بدا هارلان متفاجئاً لدى سماعه أنها ستبقى في نيويورك.

"في مناسبة الشكر. عائلتي مجنونة جداً هذه الأيام بالزفاف. والآن، بعد أن أصبح خطيب أختي جزءاً من ذلك، شعرت أنهم يتفوقون عليّ. هناك الكثير منهم وواحدة مني فقط. لن أعود قبل الزفاف".

"هل أخبرتهم بذلك؟".

"ليس بعد. فكرت في إخبارهم قبيل الميلاد. أردت السؤال عن الجراح. لا أريد سؤال التلاميذ في المدرسة".

لم يقل هارلان أي شيء، لكنه أعطاها أسماء ثلاثة جراحي تجميل في اليوم التالي. حصل عليها من أشخاص يعرفهم وقالوا إنهم راضون عن عملهم، فتحمست فيكتوريا. اتصلت باثنين منهم في اليوم التالي. كان أحدهما مسافراً في إجازة خلال العطلة. أمّا الثاني، فكان امرأة، وقد أعطتها موعداً لنهاية الأسبوع. يقال عن العملية إنها عملية تجميل الأنف، وأخبرت هارلان أنها تشعر وكأنها وحيد القرن الذي ستتم إزالة قرنه، فضحك.

ذهبت لرؤية الطبيبة كارولين شوارتز بعد ظهر يوم الجمعة. وكانت تملك عيادة جميلة في بارك أفنيو، غير بعيدة عن المدرسة، فذهبت فيكتوريا إلى العيادة سيراً على الأقدام بعد انتهاء صفها الأخير. كان يوماً مشمساً وبارداً، وكانت النزهة جميلة بعد انتهاء المدرسة. الطبيبة شوارتز لطيفة وشابة، شرحت لها عن العملية، وأخبرتها عن كلفتها. ذهلت فيكتوريا حين أدركت أن الكلفة منطقية، فهي تستطيع تحملها، وقالت الطبيبة شوارتز إنها ستشعر بالرضوض لمدة أسبوع تقريباً، ثم سيبدأ كل شيء بالخبو. تستطيع تغطية الرضوض بمستحضرات التجميل عندما تعود إلى المدرسة. لديها مجال لإجراء العملية في اليوم التالي للميلاد، نظرت إليها فيكتوريا مطولاً ثم ابتسمت.

"موافقة. سأجري العملية. أريد أنفاً جديداً". لم تتحمس لأي شيء كهذا منذ أعوام. عرضت عليها الطبيبة صوراً على الحاسوب لأنوف محتملة لها، بعدما التقطت صوراً فوتوغرافية لوجهها بالكامل، وصوراً جانبية أيضاً. بعد النظر إليها كلها، قالت فيكتوريا إنها تريد شكلاً شبيهاً بأنف أختها، كي تبدو جزءاً من العائلة، فاقترحت الطبيبة تعديلاً عليه ليناسب وجه فيكتوريا. وقالت فيكتوريا إنها ستعطيها صورة لأختها في الأسبوع المقبل، بعدما تراجع الصور المتوافرة لديها في المنزل. لطالما اعتبرت أن غرايسي تملك أنفاً رائعاً، على عكس أنفها، ممّا جعلها تبدو مثل الدمية البشعة، حسبما قالت، وضحكت الطبيبة. أكدت لها أن أنفها جيد، لكنها تستطيع تحسينه. بمساعدة الحاسوب، عرضت عليها احتمالات عدة، وأحبتها فيكتوريا كلها. يبدو لها أي شيء أفضل من الأنف الذي تملكه.

عندما غادرت فيكتوريا عيادتها، شعرت وكأنها تطير في الهواء. فالأنف الذي كرهته طوال حياتها، والأنف الذي سخر منه والدها، على وشك الاختفاء. إلى اللقاء أيها الأنف.

أخبرت هارلان وجون بذلك ما إن عادت إلى المنزل. كانا مذهولين لأنها حسمت أمرها، وحجزت موعداً للعملية. المشكلة الوحيدة، حسبما

www.mlazna.com-RAYAHEEN

شرحت، هي أنها تحتاج إلى شخص لاصطحابها من المستشفى بعد العملية. نظرت إليهما بتفاؤل، وقال جون إنه سيكون حاضراً لأنه سيكون في إجازة هو أيضاً.

ناقشت عملية شفط الدهون مع الطبيبة أيضاً، الأمر الذي يبدو لها أحياناً خياراً أسهل من كل حمياتها الغذائية، وحلاً سريعاً. لكن، عندما وصفتها لها الطبيبة شوارتز، بدت العملية كريهة أكثر مما اعتقدت، فقررت عدم الخضوع لها، والاكتفاء بمشروع الأنف الجديد.

الأيام الأخيرة في المدرسة كانت مليئة بالتوترات العادية وحماسة ما قبل العطلة. ألحت على تلاميذها لكي ينهوا الفروض ويسلّموها إيّاها في الوقت المحدد. كما ألحت عليهم جميعاً لتعبئة طلبات الجامعة خلال العطلة، وعرفت أن بعضهم سيفعلون ذلك، لكن معظمهم لن يفعلوا، وستكون هناك فوضى مجنونة خلال شهر يناير قبل تحديد المواعيد النهائية لتقديم طلبات الجامعات.

حصلت دراما كبيرة في آخر أسبوع قبل العطلة، عندما تم ضبط أحد تلاميذ الصف الثاني وهو يتعاطى المخدرات. كان يتعاطى الكوكايين في الحمام، وفضحه ولد آخر. تم الاتصال بأهله، وجرى طرده من المدرسة. تعاطى مدير المدرسة مع المسألة جيداً، ووافق الأهل على وضع ابنهم في مصح للتأهيل لمدة شهر. ارتاحت فيكتوريا لأنه ليس واحداً من تلاميذها، ولم تتورط في أي شيء. بدا الأمر فوضوياً جداً بالنسبة إليها. فلديها تلاميذها للقلق بشأنهم. أبقت عينيها على آيمي غرين التي أبلت جيداً في المدرسة، ولم يظهر حملها بعد، وربما لن يظهر قبل وقت طويل. كل الأمور تسير على ما يرام معها.

أخيراً، أخبرت فيكتوريا والديها في الأسبوع السابق للميلاد أنها لن تعود إلى المنزل خلال العطلة. قالوا إن أملهم قد خاب، لكن لم يبدُ هذا صحيحاً بالنسبة إليها. كانا مشغولين بغرايسي وهاري، ويخططان لتناول العشاء مع آل وايلكس قبل أن يغادروا إلى أسبن لتمضية العطلة.

اتصلت بها غرايسي وكانت منزعجة فعلاً من عدم مجيئها. ولتبرير ذلك، اعترفت فيكتوريا بأنها ستخضع لعملية تجميل في الأنف، وصدمت غرايسي لكنها فرحت.

"حقاً؟ لماذا؟ هذا سخيف. أنا أحب أنفك".

"حسناً، أنا لا أحبه. كنت مجبرة على تقبّل أنف جدة والدي طوال حياتي، والآن أريد الحصول على أنف جديد".

سألتها غرايسي، وهي لا تزال مصدومة، وخائبة الأمل لأنها غير آتية إلى المنزل: "وعلى أنف من ستحصلين؟". لكنها تفهم المسألة الآن بصورة أفضل. لم تخبرها أختها أنه حتى من دون عملية الأنف، فهي ما كانت لتعود إلى المنزل. فلا حاجة إلى قول ذلك.

قالت فيكتوريا: "أنفي أنا، بحيث يشبه نوعاً ما أنفك وأنف أمي. اخترناه على الحاسوب، وهو يلائم وجهي أكثر من الأنف الذي أملكه حالياً". وضحكت غرايسي.

"هل ستتألمين كثيراً؟". بدت غرايسي قلقة عليها، مما أثر في فيكتوريا. غرايسي هي الشخص الوحيد الذي اهتم بها على الدوام.

قالت فيكتوريا بصراحة: "لا أعرف. سأكون نائمة".

"أقصد بعد ذلك".

"سيعطونني مسكنات للألم لأتناولها في المنزل، وقالت الطبيبة إنني سأعاني من الرضوض لأسابيع عدة. يتورم الأنف قليلاً لأشهر عدة، بالرغم من أن معظم الأشخاص لن يلاحظوا ذلك. لكنني لا أخطط لأي شيء على كل حال، وبالتالي فإن التوقيت جيد. سأجري العملية في اليوم التالي للميلاد".

"يقضي ذلك على سهرة رأس السنة". قالت غرايسي بتعاطف، فضحكت فيكتوريا.

"لا يوجد أحد لأمضي معه السهرة على كل حال. لذا، سأبقى في المنزل. أظن أن جون وهارلان سيذهبان للتزلج في فيرمون. سأكون بخير. يمكنك المجيء للبقاء بصحبتي إذا أردت".

قالت باعتذار: "سأذهب وهاري إلى مكسيكو لتمضية رأس السنة".

"إذاً، أنا مسرورة لبقائي هنا".

"أرسلي لي صورة لأنفك الجديد. بعد أن يختفي اللون الأزرق منه".

تحدثتا عن الموضوع لبضع دقائق إضافية، وبعد ذلك كانت فيكتوريا في مزاج جيد وقررت الذهاب إلى النادي الرياضي. كان الطقس بارداً جداً في الخارج، لكنها لا تريد إيقاف الروتين. إنها ملتزمة به تماماً، وتستخدم آلة المشي الكهربائية في المنزل أيضاً.

أخبرتها الطبيبة أنها لن تتمكن من ممارسة التمارين الرياضية مباشرة بعد العملية الجراحية، ولذلك أرادت فعل كل ما في وسعها قبل ذلك. فهي لا تريد أن تفقد لياقتها البدنية في أثناء اهتمامها بأنفها.

بدأ الثلج يتساقط عندما وصلت إلى النادي الرياضي، وطغت أجواء الميلاد على المدينة. فقد زين الناس الأشجار، وكانت تنوي إحضار واحدة مع جون وهارلان في عطلة نهاية الأسبوع. سيأتي أصدقاء لمساعدتهم على تزيينها. وكانت فيكتوريا تفكر في ذلك وهي تتمرن على إحدى الدراجات التمرينية. ولاحظت أن الرجل الذي يتمرن على الدراجة قربها قوي البنية ووسيم، ويتحدث إلى فتاة جميلة في الجانب الآخر. حدقت إليهما فيكتوريا لدقائق قليلة، وهي مسمّرة. إنهما ثنائي لافت للأنظار، وبدوَا متفقين تماماً وضحكا كثيراً. للحظة واحدة، لم تستطع منع نفسها عن حسدهما على العلاقة التي يتشاركانها. كانت تضع سماعتي الأيبود في أذنيها فلم تتمكن من سماع ما يقولانه، لكن وجهيهما كانا حنونين وهما ينظران إلى بعضهما، وشعرت بألم في قلبها عند رؤيتهما. لم تتخيل وجود رجل كهذا في حياتها.

الرجل الذي كان يتمرّن قربها يملك عينين زرقاوين، وشعراً داكناً، وفكاً مربعاً، وذقناً فيه شق طويل. كما يملك كتفين عريضتين وساقين طويلتين، ولاحظت أن يديه جميلتان. شعرت بالإحراج عندما استدار وابتسم لها. أحسّ أنها كانت تحدّق إليه، فنظرت بعيداً. ثم لاحظت أنه ينظر

إليها مجدداً، ويتأمل ساقيها وهي تنزل عن الدراجة. كانت ترتدي سروالاً ضيقاً وكنزة قطنية، فيما ارتدى هو قميصاً قطنياً وشورتاً. رأت أن علاقتهما آمنة جداً بالنسبة إلى المرأة التي بصحبته بحيث لم تنزعج عندما نظر إليها هكذا. بدت غير منزعجة على الإطلاق. ابتسمت له فيكتوريا، ثم غادرت النادي الرياضي للذهاب إلى المنزل. بالكاد تستطيع انتظار عطلتها للحصول على أنف جديد. كرهت تفويت الوقت في النادي، لكنها وعدت نفسها بالتمرن مرتين أكثر في برنامج تمارينها ما إن تستطيع البدء مجدداً. مع حيوية جديدة، وجسم أكثر نحافة، وأنف أفضل، إنها تتحرق شوقاً لبدء حياتها الجديدة. كانت تبتسم لنفسها وهي تفكر في ذلك، وتشعر بالتفاؤل فيما كانت تغادر النادي الرياضي في تلك الليلة.

الفصل 21

أمضت فيكتوريا ميلاداً هادئاً مع هارلان وجون في الشقة. وبالرغم من أنها اشتاقت إلى غرايسي إلا أنها فرحت بعدم السفر خلال العطلة، أو التعاطي مع هستيريا عائلتها بشأن الزفاف. لا يزال الزفاف بعد ستة أشهر، وأصبح الكل مجانين، لا سيما والديها. إنها المرة الأولى التي لا تذهب فيها إلى المنزل في عطلة الميلاد، وشعرت بالغرابة، وإنما بالسكينة أيضاً.

تبادلت وهارلان وجون الهدايا، مثلما تفعل مع عائلتها عادة، وذهبوا بعد ذلك إلى الاحتفال الديني عند منتصف الليل. لم تتبدل العادات، وإنما تبدّل الأشخاص والأماكن فقط. كان الاحتفال جميلاً. وبالرغم من أن أياً منهم ليس ملتزماً دينياً، إلاّ أنهم وجدوا الاحتفال مؤثراً جداً، ثم عادوا إلى المنزل وتناولوا الشاي في المطبخ، وخلدوا إلى النوم. تحدثت إلى غرايسي مرات عدة خلال النهار. إنها تتنقل بين منزل والديها ومنزل آل وايلكس. وأخبرت غرايسي أختها أنّ هاري قدّم لها قرطين ماسيين بمناسبة الميلاد، وأخبرتها أنهما رائعان.

ليلة الميلاد، كانت فيكتوريا متوترة بشأن ما سيجري في اليوم التالي. أعطوها تعليمات لاتباعها قبل العملية. فهي لا تستطيع الأكل أو الشرب من بعد منتصف الليل، ولا تستطيع تناول الأسبيرين. لم تخضع لأي جراحة من قبل، ولا تعرف ما يمكن توقعه، باستثناء أنف ستحبه بعد ذلك، أو على الأقل أنف مختلف عن الأنف الذي كرهته كثيراً طوال حياتها. إنها تتحرق شوقاً للتغيير. عرفت أنه لن يحوّلها كليًّا، ويجعلها جميلة فجأة، ولكنها عرفت أيضاً أنها ستشعر فعلاً بالاختلاف، وأن الشيء المزعج الذي

أحرجها طوال سنوات سيتغير. نظرت كثيراً إلى المرآة وتحرقت شوقاً لتغييره. إنها تشعر الآن بالفرق، وبأنها تتخلص من الأشياء التي جعلتها غير سعيدة، أو تحاول ذلك، وهي فخورة بنفسها لعدم ذهابها إلى المنزل في الميلاد، مثلما كانت تفعل كل سنة. لقد كانت مناسبة الشكر مريعة جداً. والميلاد الذي أمضته مع رفيقيها في الشقة في نيويورك كان هادئاً وحنوناً على الأقل.

هذا محزن، لكن والديها قاسيان جداً معها. رسالتهما الصريحة والواضحة هي دوماً نفسها: "نحن لا نحبك". وقد حاولت تجاهل ذلك طوال سنوات، ولم تستطع. ولم تعد ترغب في المحاولة. إنها خطوتها الأولى نحو التعافي. وعملية تجميل الأنف هي الخطوة الثانية. مما يكشف عن معنى نفسي كبير بالنسبة إليها؛ لم يحكم عليها بأن تكون بشعة وموضعاً لسخريتهم إلى الأبد. إنها تستعيد السيطرة على حياتها.

نهضت فيكتوريا باكراً، ومشت في الشقة بتوتر قبل أن تغادر. كانت الشجرة قابعة في زاوية الشقة، وتساءلت كيف ستشعر عندما تعود إلى المنزل. أملت ألا يكون الشعور سيئاً جداً، كما أملت ألا تشعر بألم كبير أو بالغثيان. وكانت خائفة كثيراً عندما أخذت سيارة أجرة إلى المستشفى عند الساعة السادسة صباحاً. لو تعلق الأمر بشيء آخر، لتراجعت وألغت العملية. كانت مذعورة عندما عبرت الأبواب المزدوجة في قسم الجراحة النهارية. ومن هناك، بدا الأمر وكأنه جرى امتصاصها في آلة تعمل بدقة. ألقى الناس عليها التحية، وطلبوا منها التوقيع على أوراق، ووضعوا سواراً بلاستيكياً حول معصمها. سحبوا الدم منها، وقاسوا ضغط دمها، واستمعوا إلى دقات قلبها. جاء طبيب التخدير للتحدث إليها، وأكّد لها أنها لن تشعر بأي شيء وستكون نائمة. أرادوا أن يعرفوا أنواع الحساسيات التي تعاني منها، وقالت إنها لا تعاني أي شيء. قاسوا وزنها، وطلبوا منها ارتداء ثوب الجراحة، وزوجاً من الجوارب المطاطية لتفادي الجلطات الدموية؛ الأمر الذي بدا غريباً بالنسبة إليها لأنها تجري عملية جراحية في أنفها وليس في

ركبتيها أو قدميها. كان زوج الجوارب يبدو مضحكاً عليها، ويمتد من أخمص أصابعها إلى أعلى الفخذين. كرهت قياس الوزن، إذ اتضح لها أن وزنها قد ازداد ثلاثة باوندات وفقاً لميزانهم؛ بالرغم من إصرارها على خلع حذائها عند قياس وزنها. لم تربح بعد الحرب ضد وزنها.

جاء التقنيون والممرضات، ووضع لها أحدهم مصلاً في ذراعها، وقبل أن تعرف ماذا يحصل، أصبحت في غرفة العمليات، وابتسمت لها طبيبتها، وربتت على يدها، فيما تحدث طبيب التخدير إليها، وبعد ثوانٍ قليلة خلدت إلى النوم. لم يحصل أي شيء بعد ذلك، واستيقظت وهي تشعر بدوار كبير فيما استمر صوت بعيد بتكرار اسمها.

"فيكتوريا... فيكتوريا... فيكتوريا... فيكتوريا...". أرادت منهم أن يصمتوا ويتركوها لتنام.

"همم... ماذا...". استمروا بإيقاظها فيما حاولت العودة إلى النوم.

قال صوت: "انتهت عمليتك الجراحية فيكتوريا". نامت مجدداً، ثم وضع أحدهم قشة في فمها وقدم لها مشروباً. ارتشفت القليل من الشراب وبدأت تستيقظ ببطء. أحست بالأشرطة اللاصقة على وجهها، وشعرت بالغرابة، ولكن ليس بالألم. أعطوها مسكنات للألم بعدما استيقظت، وأمضت النهار وهي تنام وتستيقظ. وتأكدوا من أنها دافئة كفاية. أخبروها أخيراً أنّ عليها الاستيقاظ إذا كانت تريد العودة إلى المنزل. رفعوا لها السرير، وساعدوها على الجلوس، فيما خلدت إلى النوم مجدداً. ثم أعطوها صحناً من الهلام البارد، ونظرت إلى الأعلى فرأت هارلان واقفاً قرب سريرها. فقد أصيب جون بالزكام، ولذلك لم يأت.

"مرحبا... ماذا تفعل هنا؟". نظرت إليه بدهشة وشعرت وكأنها ثملة.

"أوه نعم... هذا صحيح. سأعود إلى المنزل... أنا تائهة قليلاً". قالت باعتذار، فابتسم لها ابتسامة عريضة.

"سأقول لك شيئاً. لا أعرف ماذا يعطونك، لكنني أريد بعضاً منه". ضحكت وشعرت بألم قوي في وجها عندما فعلت. لم يخبرها أن الضمادات

على وجهها تبدو مثل قناع الهوكي. وضعوا مكعبات الثلج على وجهها طوال اليوم، وجاءت ممرضة لمساعدتها على ارتداء ثيابها فيما انتظرها هارلان في الخارج. كانت جالسة على كرسي ذي عجلات وهي لا تزال تبدو مخدرة عندما رآها مجدداً.

سألته بترنّح: "كيف أبدو؟ هل أنفي جميل؟".

قال هارلان: "تبدين رائعة". وتبادل ابتسامة مع الممرضة. إنها معتادة على المرضى المخدرين. كانت فيكتوريا ترتدي سروالاً وكنزة مفتوحة من الأمام، مثلما طلبوا منها، كي لا تضطر إلى إدخال الكنزة عبر رأسها. ساعدت الممرضة فيكتوريا على ارتداء زوج من الجوارب وانتعال الحذاء، بعد خلع زوج الجوارب المطاطية، وكان شعرها مشعثاً ومربوطاً إلى الخلف في رباط مطاطي. أعطوها مسكنات لتأخذها معها في حال شعرت بالألم عندما تصل إلى المنزل. تركها هارلان في الردهة مع الممرضة فيما خرج لإحضار سيارة أجرة وعاد في أقل من دقيقة. صدمت فيكتوريا حين رأت أن الظلام قد حلّ في الخارج. إنها الساعة السادسة، ومضت اثنتا عشرة ساعة على وجودها في المستشفى. دفعت الممرضة الكرسي ذا العجلات نحو سيارة الأجرة، وساعد هارلان فيكتوريا على دخول السيارة، والاستقرار على مقعدها، وشكر الممرضة. أمل ألا تكون فيكتوريا قد سمعتها وهي تحذره من أنها فتاة بدينة وعليه ألا يحاول رفعها. فهو يعرف كم تكره هذه العبارة. إنه أحد الشعارات المؤلمة من طفولتها. لم تشأ أن تكون *فتاة بدينة*، وإنما مجرد طفلة، والآن امرأة.

قطّبت فيكتوريا وجهها وهي تنظر إليه، ثم سألته: "ماذا قالت؟".

"قالت إنك تبدين وكأنك ثملة منذ أسبوعين، وتمنت لو أنها تملك ساقيك".

أومأت فيكتوريا برأسها بجدية: "نعم، الجميع يقولون... يريدون ساقيّ... ساقان رائعتان... وإنما مؤخرة بدينة". ابتسم السائق وهو ينظر إلى المرآة عندما سمعها، وأعطاه هارلان عنوانهما. المسافة إلى المنزل

قريبة، ونامت فيكتوريا وهي تضع ذقنها على صدرها. ليس مشهداً رومنسياً، لكن هارلان أحبها، فقد أصبحت أفضل صديقة لديه. أيقظها عندما وصلا إلى هناك.

"حسناً أيتها الجميلة النائمة. لقد عدنا إلى القصر. أخرجي مؤخرتك الرائعة من سيارة الأجرة". تمنى لو أنه يملك كرسياً ذا عجلات في المنزل، لكنها لا تحتاج إليه. كانت تشعر بالقليل من الارتباك والدوار، لكنه أوصلها إلى المصعد والشقة خلال دقائق، وأوصلها إلى الأريكة كي تجلس، فيما خلع معطفه وساعدها على خلع معطفها. خرج جون من غرفة نومه وهو يرتدي ثوب الحمام، وابتسم عندما رآها. بدت مثل كائن غريب، والضمادات تغطي معظم وجهها، مع ثقبين عند عينيها وجبيرة لحماية أنفها. كان مظهرها غريباً، لكنه لم يعلق عليه أمام فيكتوريا وأمل ألا تنظر إلى المرآة. وضعوا الضمادات القطنية في أنفها طوال اليوم، لكن النزف كان قليلاً جداً. وأزالتها الممرضة قبل أن تغادر المستشفى.

سألها هارلان برفق: "أين تريدين أن تكوني؟ على الأريكة أو في السرير؟". فكرت في الأمر لبرهة.

"في السرير... أشعر بالنعاس".

"هل أنت جائعة؟".

قالت: "لا... أشعر بالعطش". ومررت لسانها فوق شفتيها. أعطتها الممرضة الفازلين لوضعه عليهما. أضافت: "والبرد". وضعوا بطانيات عليها طوال اليوم في المستشفى، وتمنت لو أنها تملك واحدة الآن.

أحضر لها هارلان كوباً من عصير التفاح مع قشة، مثلما طلبوا منه أن يفعل. تملك فيكتوريا صفحات عدة من التعليمات الواجب عليها اتباعها خلال الأيام القليلة المقبلة. وبعد دقائق قليلة، أوصلها إلى غرفتها، وساعدها على خلع ملابسها وارتداء البيجاما. وبعد خمس دقائق، كانت تنام فوق كومة من الوسائد على سريرها لرفع رأسها، وعاد هارلان إلى غرفة الجلوس مع جون.

همس جون لهارلان: "واو، تبدو مثل حطام القطار". وأومأ هذا الأخير برأسه.

"قالوا لها إنها يجب أن تتوقع الكثير من الرضوض والتورم. ستعاني الورم كثيراً يوم غد. لكنها سعيدة، أو ستكون هكذا. أرادت أنفاً جديداً، وحصلت على واحد. قد لا يبدو الأمر مهماً جداً لنا، لكنني أعتقد أن الأمر مهم جداً لها على الصعيد النفسي، فلمَ لا؟". وافقه جون الرأي. أمضيا سهرة هادئة على الأريكة، وشاهدا فيلمين سينمائيين، فيما اطمأن هارلان على فيكتوريا مرات عدة. كانت نائمة وتشخر بهدوء. وفي مكان ما تحت الضمادات، كان هناك الأنف الجديد الذي أرادته. لقد أحضره لها سانتا في اليوم التالي للميلاد. إنه هدية أرادتها طوال حياتها.

في اليوم التالي، استيقظت فيكتوريا وهي تشعر وكأنها كانت في مصارعة الثيران طوال السنة. شعرت بالألم، والتعب، وكأنها كانت مخدرة. ثمة ألم كليل في أنفها. قررت تناول الفطور مع مسكن للألم، لكنها أرادت أن تأكل شيئاً أولاً كي لا تشعر بالغثيان. ومثل العادة، فتحت الثلاجة وكانت تحدق إلى البوظة عندما دخل هارلان.

"لا أظن ذلك". قال صوت الضمير مباشرة خلفها عندما رأى ما تنظر إليه. "تملكين أنفاً جديداً رائعاً. لا تجني مع البوظة، اتفقنا؟". أغلق باب الفريزر، وفتح الثلاجة، وأعطاها عصير التفاح قائلاً: "كيف تشعرين؟".

"ليس سيئاً جداً. القليل من الدوار. والقليل من الألم. سأكتفي بالنوم اليوم، وبتناول مسكنات الألم". أرادت البقاء مسيطرة على الوضع كي لا تسوء الأمور. أصبح الورم أسوأ، وهذا ما حذروها من حصوله خلال الأيام القليلة الأولى.

قال: "فكرة جيدة". حضّر بعض قطع التوست المصنوعة من القمح والزبدة قليلة الدسم، وأعطاها إيّاها. "هل تريدين البيض؟". هزّت رأسها، فهي لا تريد نسف حميتها الغذائية في الأيام المقبلة، خصوصاً وأنها لن تمارس التمارين الرياضية.

قالت وهي تحاول الابتسام: "شكراً على الاهتمام بي البارحة". لكن الضمادات كانت كثيرة على وجهها وشعرت بالغرابة. شعرت وكأنها الرجل الذي يضع القناع الحديدي، وتحرقت شوقاً لإزالة الضمادات بعد أسبوع. إنها مزعجة، وخافت من النظر إلى المرآة. حرصت على عدم فعل ذلك في غرفة نومها، أو عند دخولها الحمام. فهي لا تريد إخافة نفسها وعرفت أنها قد تخاف، ولن ترى أنفها على كل حال. فكله مغطى تحت الضمادات والجبيرة.

نامت فيكتوريا في اليومين التاليين وبقيت في المنزل بعد ذلك. كان وقتاً هادئاً، ولم تملك أي مشروعات. خضعت للعملية الجراحية خلال العطلة كي تهوّن على نفسها الأمور. أحضر لها هارلان الأفلام السينمائية، وشاهدت التلفاز كثيراً بالرغم من أنها أصيبت بالصداع في الأيام القليلة الأولى. تحدثت إلى هيلين، لكنها لم ترغب في رؤية أحد باستثناء جون وهارلان. لم تشعر أنها أهل لذلك، وخافت أن تبدو مريعة جداً. وبحلول ليلة رأس السنة، بدأت تشعر بالتحسن، ولم تحتج إلى مسكنات الألم. ذهب جون وهارلان للتزلج في فيرمون، وأمضت السهرة وهي تشاهد التلفاز بمفردها. أحبت فكرة امتلاك أنف جديد، حتى لو لم تره بعد. اتصلت بها غرايسي من مكسيكو في تلك الليلة. إنها في فندق بالميلا في كابو مع هاري وبعض أصدقائه، وقالت إن الرحلة مذهلة. تعيش حياة ذهبية الآن بصفتها خطيبة وزوجة وشيكة. لم تحسدها فيكتوريا لأنها لا تريد التواجد هناك معه، لكن غرايسي بدت متحمسة جداً.

سألتها غرايسي: "كيف حال أنفك؟". اتصلت مرات عدة خلال الأسبوع، وأرسلت الأزهار إلى فيكتوريا، وكان ذلك لطيفاً جداً. تأثرت فيكتوريا. لم يعرف والداها بشأن الجراحة، ولم تشأ فيكتوريا إخبارهما، فهي واثقة من معارضتهما، ومن إصدارهما التعليقات القاسية بشأن ذلك. ووافقت غرايسي على إبقاء الأمر سراً.

اعترفت فيكتوريا: "لم أره بعد. سيزيلون الضمادات في الأسبوع المقبل. يفترض أن يبدو جيداً باستثناء بعض الرضوض والورم. قالوا إنني سأعود إلى طبيعتي، نسبياً، بعد أسبوع أو أسبوعين، لكنني سأبقى متعبة. إلا أنني أستطيع تغطية الرضوض بمستحضرات التجميل". أخبروها أنه سيتم وضع ضمادة لاصقة فقط على أنفها بعد ذلك، لكن كل الضمادات والقطب ستختفي خلال أسبوع أو اثنين. "هل تستمتعين؟". اشتاقت فجأة إلى أختها الصغيرة.

قالت غرايسي، وهي تبدو سعيدة: "الجو رائع هنا. لدينا جناح مذهل".

مازحتها فيكتوريا: "ستكونين مدللة جداً عندما تصبحين السيدة وايلكس". لكن الأمر ليس مهماً بالنسبة إليها. فهي تحب حياتها الخاصة أكثر في نواح عدة، ووظيفتها. على الأقل، لا يخبرها أحد بما يجب عليها التفكير فيه، وفعله، وقوله. فهي لا تستطيع تحمل ذلك. يبدو أن غرايسي لا تبالي، طالما أن لديها هاري، وشعرت فيكتوريا بالأسف عليهما معاً.

"أعرف". قالت غرايسي مجيبة عن الملاحظة بشأن كونها مدللة. "أحب ذلك. حسناً، أبلغيني كيف سيبدو أنفك".

"سأتصل بك فوراً حين أراه".

قالت غرايسي مجدداً: "كان أنفك القديم جيداً". لم يكن ضخماً، وإنما دائري فقط.

قالت فيكتوريا: "أنفي الجديد سيكون أفضل". وهي سعيدة بشأنه مجدداً. "استمتعي في كابو. أحبك... وسنة سعيدة!".

"وأنت أيضاً. أتمنى أن تكون سنة جيدة لك أنت أيضاً فيكتوريا". عرفت فيكتوريا أنها تقصد ذلك فعلاً، وتمنت الشيء نفسه لها. أنهتا المكالمة، واستراحت فيكتوريا على الأريكة لمشاهدة فيلم جديد. وفي منتصف الليل، كانت نائمة. إنها سهرة رأس سنة هادئة بالنسبة إليها، وهي لا تبالي على الإطلاق.

الفصل 22

نزعت الطبيبة شوارتز ضمادات فيكتوريا بعد ثمانية أيام، وقالت عندما رأتها إنها مسرورة جداً بالنتيجة، فالجرح يتعافى جيداً. كانت فيكتوريا شجاعة كفاية لرؤية وجهها المغطى بالضمادات، ورأت أنها تبدو مخيفة، وإنما لسبب وجيه. لم تندم على الجراحة للحظة واحدة، وعندما رأت النتيجة النهائية، تحمست بالرغم من الرضوض والورم الخفيف. أشارت الطبيبة إلى مكان الورم، وإلى حيث يمكن توقع تحسنات. لكن، عند أخذ كل الأمور في الاعتبار، تبدو النتيجة رائعة، وأطلقت فيكتوريا صرخة فرح. أنجزت الطبيبة عملاً مذهلاً. وكانت المريضة مسرورة جداً، وقالت إنها تشعر وكأنها شخص مختلف.

الشيء الوحيد المسبب للصدمة – ولم تتفاجأ به فيكتوريا لأنها كانت تتوقعه – هو امتداد الرضوض التي كانت وخيمة. ثمة هالتان سوداوان كبيرتان حول عينيها، مع لون أزرق ممتد على كل وجهها تقريباً. لكن الطبيبة أكدت لها أن كل ذلك سيختفي سريعاً، ويمكنها الشروع في تغطيته بمستحضرات التجميل بعد أيام قليلة. قالت إن مظهرها سيكون مقبولاً جداً عندما تعود إلى المدرسة بعد أسبوع. وسيستمر الوضع بالتحسن بعدما يخف الورم وتختفي الرضوض. وستبدو النتيجة أفضل على مدى الأشهر القادمة. وضعت ضمادة لاصقة على جسر أنف فيكتوريا وأرسلتها إلى المنزل. وقالت لها إنها تستطيع العودة إلى النشاط الطبيعي، ضمن حدود المنطق. لا تزلج على الثلج، ولا بولو في الماء، ولا كرة قدم، قالت ممازحة. لا لرياضة الاحتكاك. وطلبت منها أن تكون

منطقية، وألاّ تفعل أي شيء قد تضرب فيه أنفها. وعندما استفسرت فيكتوريا عن إمكانية الذهاب إلى النادي الرياضيّ قالت لها إنها تستطيع الذهاب، وإنما ينبغي لها التمرن بمنطق وعدم الإفراط في ذلك. إذ لا ينبغي لها أن تمارس الركض، أو تقوم بتمارين رياضية مجهدة، أو تسبح. وهذا ما لا تفعله فيكتوريا على كل حال. وأضافت الطبيبة: "لا علاقات حميمة". وهذه ليست مشكلة بالنسبة إليها في الوقت الحاضر لسوء الحظ.

كانت فيكتوريا مسرورة جداً بالنتيجة بحيث اشترت علبة كبيرة من سلطة قيصر في طريق عودتها إلى المنزل، وتناولتها في المطبخ. خسرت بضعة باوندات نتيجة عدم الأكل كثيراً في أثناء نومها في فترة التعافي، وقضت مسكنات الألم على شهيتها. حتّى إنها لم تتناول البوظة. وللبقاء في مأمن، رماها هارلان كلها مجدداً، وقال إنها نفايات. في تقلبات وزنها، كانت البوظة تعيدها إلى الصفر في كل مرة.

ارتدت ثياب الرياضة بعدما تناولت السلطة، وذهبت إلى النادي سيراً على الأقدام، وهي ترتدي سروالاً صوفيّاً ضيقاً، وشورت الرياضة فوقه، وكنزة نورث ويسترن، ومعطفاً، وتنتعل حذاء رياضياً قديماً. لا يزال جون وهارلان يتزلجان في فيرمونت، وكان النهار صافياً في نيويورك بالرغم من توقع تساقط الثلج.

دخلت النادي الرياضي، وقررت الركوب على دراجة التمارين، وضبطتها على أدنى مستوى لأنها لم تتمرن منذ أسبوع وتريد أن تبدأ بوتيرة خفيفة. وضعت سماعتي الأيبود على أذنيها، واستمعت إلى الموسيقى وهي مغمضة عينيها، وضغطت على الدواستين بوتيرة خفيفة. لم تفتحهما إلا بعد مرور عشر دقائق على ركوبها الدراجة، وذهلت لدى رؤيتها الرجل الوسيم نفسه جالساً قربها؛ ذاك الذي رأته هناك قبل الميلاد. هذه المرة كان بمفرده، من دون المرأة الجميلة التي كانت معه، وكان ينظر إلى فيكتوريا عندما فتحت عينيها. نسيت كيف يبدو وجهها بعد الجراحة،

www.mlazna.com-RAYAHEEN

مع كل الرضوض، وتساءلت عن سبب تحديقه إليها، ثم تذكرت أنفها وشعرت بالإحراج. بدا متعاطفاً معها ومتألماً من أجلها. قال شيئاً فرفعت سماعتي الآيبود عن أذنيها. ثمة اسمرار خفيف على وجهه كما لو أنه قد ذهب للتزلج، وصعقت مجدداً بمدى وسامته.

قال لها ممازحاً: "كيف يبدو الرجل الذي ضربته؟". وابتسمت، مدركة فجأة شكل الرضوض على وجهها، وأنّ هناك هالتين سوداوين حول عينيها. وتساءلت إن كان قد عرف السبب. بدا أكثر جدية فيما تحدث إليها. "أنا آسف. لم أقصد السخرية من ذلك. يبدو مؤلماً. لا بد من أن الحادث كان قوياً. أهو حادث سيارة أو تزلج؟". سألها بطريقة بدهية. ترددت فيكتوريا، مع القليل من الارتباك، ولم تعرف ماذا تقول. فقولها إن ذلك نتيجة *عملية تجميل أنف* بدا أسوأ كثيراً بالنسبة إليها، ويجعلها حمقاء أمام رجل غريب.

"سيارة". قالت ببساطة فيما تابعا التمرّن على الدراجتين.

"تصورت ذلك. هل كنت تضعين حزام الأمان، أم أنه كيس الهواء؟ لا يدرك الناس كم يسهل كسر الأنف بكيس الهواء. أعرف العديد من الأشخاص الذين حصل معهم ذلك". أومأت برأسها موافقة وشعرت بالغباء فعلاً. قال، وهو يبدو متعاطفاً، ومفترضاً فوراً أن الحادث سببه الشخص الآخر: "أتمنى أن تلاحقي المسؤول عن حادثك. عذراً. أنا محامٍ. أتلقى قضايا لأسباب سخيفة. هناك الكثير من السائقين الثملين على الطرقات خلال العطلات، وهناك سائقون سيئون، ومن الغريب ألا يموت المزيد من الأشخاص. لقد كنت محظوظة".

"نعم، صحيح". جداً. *حصلت على أنف* جديد، قالت لنفسها، لكنها لم تقل ذلك بصوت عالٍ.

"لقد عدت للتو من التزلج في فيرمونت مع أختي. كانت معي في آخر مرة رأيتك فيها. المسكينة كانت تتزلج بمفردها واصطدم بها ولد فقد السيطرة على لوح التزلج فكسر كتفها. جاءت من الغرب الأوسط لتمضية

العطلة معي، وها هي الآن تعود مع كتف مكسورة. الأمر مؤلم فعلاً. لكنها تحلت بروح رياضية حيال ذلك". كانت فيكتوريا تحدق إليه وهو يقول لها إنّ الجميلة التي كانت برفقته هي أخته. إذاً، أين هي زوجته؟ تحققت، ولم ترَ خاتم زواج، لكن العديد من الرجال لا يضعون الخاتم، ولا يعني ذلك أي شيء. وحتى لو لم يكن متزوجاً أو لا يملك صديقة، فهي لم تتخيل أنه يريدها، حتى مع أنفها الجديد. فهي لا تزال *فتاة بدينة* حتى مع أنف أصغر وأفضل.

أشار إلى قميصها القطني آنذاك قائلاً: "تورث ويسترن؟ لقد تخرجت أختي من هناك".

"وأنا أيضاً". قالت فيكتوريا بصوت أجش، لا علاقة له أبداً بعمليتها الجراحية. إنها مذهولة جداً.

"إنها جامعة رائعة. لكن الطقس سيئ. أردت الابتعاد عن الغرب الأوسط بعد ترعرعي هناك، ولذلك ذهبت إلى ديوك". عرفت فيكتوريا أنها في كارولينا الشمالية وإحدى أفضل الجامعات في البلاد. فهي تحاول دوماً مساعدة تلاميذها على التقدّم إليها. "ذهب أخي إلى هارفارد. ولا يزال والداي يتذمران من ذلك. فأنا لم أستطع دخولها". قال بتواضع مع ابتسامة. "ذهبت إلى كلية الحقوق في جامعة نيويورك، وهكذا أصبحت هنا. ماذا عنك؟ هل أنت من نيويورك أم من مكان آخر؟". كان يتحدث إليها فيما تابع كل منهما الركوب على الدراجة، وشعرت أن الأمر يفوق التصور؛ أي التمرن مع هذا الرجل الوسيم الذي يخبرها عن عائلته، وتعليمه، ومن أين أتى، ويسأل عنها. وقد تصرف كما لو أن وجهها طبيعي وليس أسود وأزرق، وكما لو أنها لا تملك عينين محاطتين بهالتين سوداوين. نظر إليها كما لو أنها جميلة، وتساءلت إن كان أعمى.

أجابت عن سؤاله: "أنا من لوس أنجلوس. انتقلت إلى هنا بعد الجامعة. أعلّم في مدرسة خاصة".

قال بسرور: "لا بد من أن هذا ممتع. أهم أولاد صغار أو كبار؟".

"الصف الثاني الثالث. اللغة الإنكليزية. إنهم نيقون، لكنني أحبهم".
ابتسمت، على أمل ألا تبدو مثل الغول. لكن، يبدو أنه لم يظن ذلك، وبدا غير منزعج من مظهرها على الإطلاق.

"هذا عمر صعب، بالنسبة إلى حكمي الشخصي. واجه والداي الكثير من الصعوبات معي عندما كنت في الثانوية. سرقت سيارة والدي وحطمتها مرتين. يسهل فعل ذلك على الجليد الأسود في إيلينوي. كنت محظوظاً لأنني لم أمت". ذكر بعد ذلك أنه ترعرع في ضاحية من ضواحي شيكاغو، وعرفت أنها ضاحية ثرية. فبالرغم من ملابس التمارين الرياضية، بدا مرتباً، مع قصة شعر جميلة، وكان حلو الحديث، ومهذباً، ويضع ساعة ذهبية باهظة الثمن. أما هي فبدت مثل متشردة، علماً أنها تذهب دوماً إلى النادي بهذه الطريقة، ولم ترتب أظفار يديها منذ أكثر من أسبوع. إنه الترف الوحيد الذي تدلل به نفسها، لكنها لم تفعل ذلك منذ العملية الجراحية. فهي لا تريد إخافة أحد، وشرح سبب وجود ضماداتها، ولم تخرج من المنزل على كل حال. وها هي الآن بالقرب من الرجل الأكثر وسامة الذي رأته في حياتها، ولم تمشط شعرها ولم تضع حتى الطلاء على أظفارها.

توقفت الدراجتان في الوقت نفسه، ونهضا عنهما معاً. قال إنه ذاهب إلى غرفة البخار، ومدّ لها يده مع ابتسامة دافئة.

"بالمناسبة أنا كولن وايت".

"فيكتوريا داوسون". تصافحا، وبعد عدد من الكلمات التافهة، حملت أغراضها وغادرت، وتوجه هو إلى غرفة البخار، وتوقف للتحدث إلى رجل يعرفه. كانت فيكتوريا لا تزال تفكر فيه عندما عادت مشياً إلى المنزل. شعرت بالتحسن بعد القيام ببعض التمارين في النادي الرياضي، وكان التحدث إليه أمراً لطيفاً. وأملت أن تراه مجدداً.

كانت طبيبتها محقة. ففي الوقت الذي عادت فيه إلى المدرسة، استطاعت تغطية معظم ما تبقى من الرضوض بواسطة مستحضرات

التجميل. بقي ظل خفيف حول عينيها، لكنها بدت بحال جيدة، وأصبح الورم حول أنفها أخف كثيراً. لم يختفِ كله، وإنما اختفى معظمه تقريباً. وأحبت أنفها الجديد. شعرت أنها حصلت على وجه جديد تماماً. وهي تتحرق شوقاً لرؤية أهلها في شهر يونيو ومراقبة ردود أفعالهم، إذا لاحظوا ذلك. بدا الفرق هائلاً بالنسبة إليها.

كانت قد أنهت تعليم آخر صف لها في ذلك اليوم، بعد مساعدة نصف دزينة من التلاميذ على ملء طلبات الجامعة التي لم ينتهوا منها بعد، والذين كانوا خائفين جداً. وبقيت ثلاث فتيات في الصف يتحدثن. إحداهن هي الفتاة التي خضعت لعملية تصغير الثديين خلال عطلة الميلاد، وكانت الفتيات الثلاث هن أنفسهن اللواتي ناقشن الموضوع قبلاً. إنهن أفضل الصديقات؛ فهنّ يذهبن معاً إلى كل مكان في المدرسة.

سألت فيكتوريا بحذر: "كيف كانت العملية؟". لم تكن تريد أن تكون متطفلة جداً. "أتمنى ألا تكون مؤلمة جداً".

قالت الفتاة: "كانت رائعة!". ورفعت قميصها القطني وكشفت عن حمالة ثدييها، إذ لم يعد هناك أي صبيان في الغرفة. "أحبّ ثدييّ الجديدين! ليتني فعلت ذلك قبلاً". ثم نظرت ملياً إلى فيكتوريا، كما لو أنها تراها للمرة الأولى، وهي كذلك نوعاً ما. "آه! لقد فعلتها!". كانت تحدق إلى وسط وجه فيكتوريا ونظرت الفتاتان الأخريان إليها أيضاً. "أحب أنفك الجديد". قالت بلطف، فتوردت فيكتوريا خجلاً.

"هل هذا واضح؟".

"نعم... لا... أقصد، لم يكن أنفك بشعاً جداً قبلاً. لكن الفرق واضح تماماً. هكذا يفترض أن يكون. فلا يفترض بالناس أن يصرخوا ويعرفوا أنك خضعت لعملية تجميلية. يفترض فقط أن يكون شكلك أفضل من دون أن يعرف أحد السبب. أنفك رائع! لكن، انتبهي، لأن العملية مسببة للإدمان. تفعل أمي شيئاً ما طوال الوقت. غرسات في الذقن، بوتوكس،

ثديان جديدان، شفط للدهون. تريد الآن تصغير فخذيها وساقيها. أنا سعيدة بثديي الجديدين". قالت الفتاة وبدت مسرورة.

"وأنا أحب أنفي الجديد". اعترفت فيكتوريا بسعادة، لأنهن كلهن أكثر تكلفاً منها، ومعتادات على فكرة الخضوع للعمليات. "في الواقع، قررت الخضوع للعملية بعدما تحدثت إليك. جعلتني أشعر بالشجاعة. لم أجرؤ قطّ على فعل ذلك قبلاً".

"حسناً، لقد فعلتها". هنأتها، ورفعت يدها على شكل علامة النصر.

غادرن الغرفة معاً، ومررن أمام آيمي غرين وجاستن في الردهة. فابتسمت آيمي ابتسامة عريضة لفيكتوريا. لم تعترف بعد بحملها في المدرسة، ولم يظهر عليها الحمل بعد، بالرغم من أن هذا سيحصل قريباً. وبدا جاستن مثل رجل الأمن الحارس لماسة الأمل. مظهرهما جميل معاً. قالت إحدى الفتيات: "إنه يلحق بها مثل الجرو الصغير". وبرمت عينيها عندما أصبحن أمامهما.

شكرت فيكتوريا الفتيات مجدداً على نصيحتهن الجيدة، وذهبت إلى مكتبها لإحضار بعض الملفات التي أرادت أخذها معها إلى المنزل. تأثرت بالمديح الذي سمعته عن أنفها الجديد. فقد أحبته هي أيضاً. تساءلت لدقيقة ما إذا كان يجدر بها الخضوع لعملية تصغير الثديين أيضاً، ثم تذكرت ما قالته الفتيات، بأن الجراحة التجميلية مسببة للإدمان ولا تعرف بعض النساء أين يتوقفن. ستتوقف هنا، مع أنفها. عليها إنجاز بقية مهمتها بنفسها؛ وهي تعمل بكدّ لتحقيق ذلك. فالزفاف بعد خمسة أشهر.

صادفت كولن وايت مجدداً في تلك الليلة في النادي الرياضي، وتحدثا معاً فيما ركبا على الدراجتين. أخبرها باسم شركة المحاماة التي يعمل فيها في وول ستريت، وقال إنه مسؤول عن الدعاوى القضائية. إنها شركة مهمة، وبدت وظيفته مثيرة بالنسبة إليها. وأخبرته أين تعلّم. لقد سمع بالمدرسة. لم يتحدثا عن شيء خاص، وعندما نزلا عن الدراجتين، فاجأها وسألها إن كانت تستطيع الخروج معه لتناول شراب. بدت في حالة

فوضوية مثلما كانت قبلاً، ولم تصدق أنه يدعوها إلى أي مكان أو أن يراه أحد معها. سألها مجدداً كما لو أنه يقصد ذلك فعلاً، وأومأت برأسها، وارتدت معطفها، ولحقت به عبر الشارع، متسائلة عن السبب الذي يدفعه إلى تناول الشراب معها.

طلبا شراباً، وسألته عن حال كتف أخته بعد حادث التزلج.

"إنها تتألم، حسبما أظن. تستغرق هذه الأمور بعض الوقت، ولا يمكنك فعل الكثير للكتف، باستثناء الوقت. إنها محظوظة لأنها لم تحتج إلى عملية جراحية".

سألها أكثر عن المدرسة التي تعمل فيها، وعن سبب اختيارها مهنة التعليم، وسألها عن عائلتها. أخبرته أن لديها أختاً أصغر منها بسبع سنوات، تخرجت للتو من جامعة جنوب كاليفورنيا في شهر يونيو الفائت، وستتزوج بعد خمسة أشهر.

قال متفاجئاً: "إنها صغيرة جداً. خصوصاً في هذه الأيام". أخبرها أنه في السادسة والثلاثين، وقالت إنها في التاسعة والعشرين.

"وأنا أظن ذلك أيضاً. تزوج والدانا في هذا العمر، مباشرة بعد التخرج من الجامعة، لكن ذلك كان أكثر رواجاً آنذاك. في هذه الأيام، لا يتزوج أحد في سنّ الثالثة والعشرين، وهكذا سيكون عمرها في شهر يونيو. كنت أتمنى أن تنتظر، لكنها لم تقبل. كل شيء متمحور حول الزفاف. أصيبت كل عائلتي بالجنون مؤقتاً. أتمنى على الأقل أن يكون هذا مؤقتاً، فهم يصيبونني بالجنون". قالت ذلك مع ابتسامة حزينة.

سألها: "هل تستلطفين الرجل الذي ستتزوج به؟". ونظر إليها عن كثب. ترددت فيكتوريا مطوّلاً، ثم قررت أن تكون صريحة. "نعم. ربما. إنه جيد، ولكن ليس لها. إنه مسيطر جداً، وصاحب رأي متسلط بالنسبة إلى شاب. لا يسمح لها بفتح فمها ويفكر نيابة عنها. أكره رؤيته وهو يسلبها شخصيتها واستقلاليتها لمجرد أن تكون زوجته". لم تقل إنه يملك مقداراً هائلاً من المال، فهي لا تظن أن هذا ملائم. وليست هذه هي

المسألة. فما كانت لتستلطف هاري أكثر لو كان فقيراً. المال جعله متبجحاً. لكن شخصيته هي التي جعلته مهيمناً، وهذا ما لا تحبه فيكتوريا فيه. أرادت لغرايسي شيئاً أكثر من هذا.

"كادت أختي أن تتزوج رجلاً كهذا. واعدته طوال ثلاث سنوات، واستلطفناه كلنا، ولكنه لم يكن لها. عقدا خطوبتهما في العام الماضي، وكانت في الرابعة والثلاثين، فلم تهتم إلا بالزواج وإنجاب الأطفال، وخافت كثيراً أن يفوتها القطار. لكنها أدركت أخيراً الورطة التي توقع نفسها فيها، وانفصلا قبل أسبوعين من الزفاف. كانت فوضى. انزعجت كثيراً، وكان والداي رائعين معها. أظن أنها فعلت الشيء الصحيح. هذا صعب على النساء. في عمر معين، تبدأ ساعة الوقت بالتكتكة مثل القنبلة. وأظن أن العديد من النساء يتخذن قرارات غير صحيحة بسبب ذلك. أنا فخور لأن أختي أنقذت نفسها. رأيتها هنا. إنها في الخامسة والثلاثين، وستعثر على الرجل المناسب، في الوقت المناسب لإنجاب الأطفال مثلما أتمنى. يفضل أن تبقى بمفردها بدلاً من أن تكون مع الرجل غير المناسب. لا يسهل لقاء الأشخاص الجيدين". لم تصدق فيكتوريا أن امرأة مثل أخته لا يلحق بها عشرة رجال وهم يحملون خواتم الزفاف، أو يرغبون على الأقل في مواعدتها. أضاف: "لم تلتق أحداً منذ أن انفصلا، لكنها تخطت الأزمة، وقالت إنها لن تعود إليه. حمداً لله أنها استيقظت".

قالت فيكتوريا متنهدة: "أتمنى أن تفعل أختي ذلك. لكنها طفلة. إنها في الثانية والعشرين، وهي متحمسة جداً للفستان والزفاف والخاتم. وهي لا ترى ما هو مهم، وأظن أنها صغيرة جداً لاستيعاب ذلك. وعندما ستفعل، سيكون الأوان قد فات، وستكون قد تزوجت منه ولن ينفع الندم".

"هل قلتِ لها ذلك؟". بدا مهتماً بما قالته.

"نعم. لا تريد سماعه وتنزعج كثيراً. تظن أنني أغار منها. وصدقني، لست كذلك". صدقها. "ووالداي لا يساعدانها. إنهما داعمان لها كثيراً،

ومتأثران جداً بمن يكون". بدت شاردة حينها. "إنه يشبه والدي كثيراً. يصعب الفوز في هذه المعركة".

قال: "أنت تسبحين عكس التيار. كل ما يمكنك فعله هو قول ما عليك قوله. وقد ينجح الأمر معها. لا تعرفين أبداً. يريد الناس أشياء مختلفة وليس دوماً ما نظن نحن أنه يجدر بهم الحصول عليه أو ما نريده لهم".

أضافت فيكتوريا: "أتمنى أن ينجح زواجها، لكنني أشك في ذلك". وبدت حزينة من أجل أختها.

"هل أنتما مختلفتان جداً؟ باستثناء فارق العمر؟". أحس أنهما مختلفتان. بدت فيكتوريا امرأة ذكية وحساسة، تضع قدميها على الأرض مع رأس جيد فوق كتفيها. عرف ذلك بمجرد الاستماع إليها. وبدت أختها الصغرى شابة ومدللة، وربما عنيدة ومتهورة أيضاً، ولم يكن مخطئاً.

قالت فيكتوريا بصراحة: "إنها تشبه والديّ. لطالما كنت أنا الغريبة بينهم. أنا لا أشبههم، ولا أفكر مثلهم، ولا أتصرف مثلهم، ولا أرغب في الأشياء نفسها. يبدو أحياناً وكأننا لا نملك الوالدين نفسيهما. في الواقع، لا نملك الوالدين نفسيهما لأنهما يعاملاننا بطريقتين مختلفتين جداً، ولذلك فإن حياتها وطفولتها تختلفان كثيراً عن حياتي وطفولتي". أومأ برأسه كما لو أنه فهم، وأحست أن ما قالته ليس غريباً عليه.

نظر إلى ساعته حينها وطلب الفاتورة. "استمتعت بالتحدث إليك. هل ترغبين في أن نتناول العشاء معاً في وقت ما؟". سألها بتفاؤل فيما حدقت إليه. هل هو مجنون؟ لماذا يريد الخروج معها؟ رأت أنه جيد كثيراً ليكون ملائماً لها. أضاف بتحديد أكبر: "في الأسبوع المقبل؟ بإمكاننا أن نتناول شيئاً خفيفاً إذا أردت". لم يكن يريد دعوتها إلى مطعم متكلف. فهي إنسانة لطيفة ويحلو الكلام معها. أراد تمضية أمسية حقيقية معها، والتعرف إليها، وليس إظهار نفسه ومحاولة التأثير فيها. أراد أن يعرف أكثر من تكون. أحب ما سمعه لغاية الآن. وأحب شكلها، بالرغم من وجهها الملىء بالرضوض.

www.mlazna.com-RAYAHEEN

"نعم، طبعاً، أودّ ذلك". قالت فيما نظر إليها كما لو أنه يتوقع جواباً. ولم تضف كلمة *لماذا؟* افترضت أنه يرغب فقط في أن يكونا صديقين، وأحبت وجود شخص للتحدث إليه. ليس هذا طبعاً موعداً غرامياً.

"ما رأيك في يوم الثلاثاء؟ لديّ اجتماع ليلة الاثنين".

"طبعاً... نعم... طبعاً...". شعرت بأنها غبية وهي تتحدث إليه.

سألها بتهذيب: "هل أستطيع الحصول على رقم هاتفك أو بريدك الإلكتروني؟". دوّنتهما له وأعطته الورقة. فأدخلهما مباشرة إلى هاتفه، ووضع الورقة في جيبه، وشكرها. "استمتعت فعلاً بلقائك فيكتوريا". قال بسرور، وحاولت ألا تركز على مدى وسامته؛ فهذا يجعلها تتوتر كثيراً.

أجابت بصوت خافت: "وأنا أيضاً". هذا غريب جداً. استلطفته، لكنها رأت أن رجلاً مثله لا يجدر به التحدث إليها. إذ يفترض به أن يكون مع آية في الجمال، مثل أخته التي ليست لديها مواعيد غرامية. العالم غريب جداً.

ودعا بعضهما أمام النادي الرياضي، وعادت إلى المنزل سيراً على الأقدام، وهي تفكر فيه، وتحاول أن تتصور سبب دعوته إيّاها لتناول العشاء. أخبرت هارلان بذلك عندما عادت إلى المنزل، وشرحت له أن هذا ليس موعداً غرامياً، وإنما يريد فقط أن يكونا صديقين.

"كيف تعرفين ذلك؟". بدا هارلان متفاجئاً مما قالته. "هل قال لك ذلك؟".

"طبعاً لا. إنه مهذب جداً. لكن هذا واضح. يجدر بك رؤية الرجل. يبدو مثل نجم سينمائي، أو رجل أعمال مهم أو إعلان في مجلة مهمة. وانظر إليّ". أشارت إلى ملابسها الرياضية. "والآن، أخبرني، من يواعد امرأة مثلي؟".

"وهل كان يرتدي ربطة عنق سوداء في النادي؟".

"مضحك جداً. لا. لكن رجالاً مثله لا يواعدون نساء مثلي. هذا موعد صداقة، وليس موعداً غرامياً. ثق بي. أنا أعرف. عشت التجربة قبلاً".

"تبدأ العلاقات الغرامية بهذه الطريقة أحياناً. لا تجزمي. بالإضافة إلى ذلك، أنا لا أثق بتفسيرك. أنت لا تعرفين شيئاً. كل ما تعرفينه هو أن والديك يقولان لك إنك لا تستحقين شيئاً، وإنك لا تساوين شيئاً، وإن أحداً لن يرغب فيك. صدقيني، هذا الشريط يتكرر بصوت عالٍ جداً بحيث لا يمكنك سماع أي شيء آخر. حتى عندما يكون الأمر واضحاً، أنا أقول لك إنه إذا كان هذا الرجل يملك دماغاً وعينين في رأسه، فسيعرف أنك ذكية، ومرحة، وطيبة، ولامعة جداً، وجميلة، وصاحبة ساقين رائعتين، وسيكون أسعد رجل في العالم إذا حصل عليك. لذا، قد لا يكون هذا الرجل أحمق".

أصرّت مجدداً: "ليس هذا موعداً غرامياً".

قال هارلان بصرامة: "أراهن على أنه كذلك".

"وكيف تعرف هذا؟". بدت مرتبكة، فيما فكّر هارلان في السؤال.

"سؤال جيد، لأن رادارك معطل ولا تملكين مهارات فك الرموز. إذا قبّلك، فهذا حتماً موعد غراميّ. لكنه لن يقبلك في الموعد الأول إذا كان مهذباً. وهو يبدو أذكى من ذلك. ستعرفين بنفسك؛ إذا طلب منك الخروج معه مجدداً، وإذا بدا مهتماً بك. وإذا قام ببعض التصرفات اللطيفة، أو لمس يدك، أو بدا أنه مستمتع برفقتك. آه، اللعنة فيكتوريا. خذيني معك، وسأقول لك إذا كان هذا موعداً غرامياً".

قالت: "سأعرف بنفسي. لكنه ليس موعداً غرامياً".

"تذكري أنك تدينين لي بخمسة دولارات إذا صحّ أي من المعايير. ولا خداع. أحتاج إلى المال".

"أبداً إذاً بادخار المال لأنك أنت من سيدفع لي خمسة دولارات. ليس هذا موعداً غرامياً". كانت واثقة من ذلك.

مازحها: "لا تنسي أنفك الجديد. قد يصوت لصالحك".

قالت وهي تضحك: "لم أفكر في ذلك. في المرة الثانية التي رآني فيها، كانت الرضوض تغطي كل وجهي وعينيّ، ولم أكن أضع مستحضرات التجميل".

قال هارلان وهو يبرم عينيه: "آه، أنت محقة. لـيس هـذا موعـداً غرامياً، بل إنه الحب الحقيقي. ضاعفي الرهان. فليكن عشرة دولارات".

"حسناً. باشر في الادخار". عانقها بطريقـة أخويـة، فيمـا غـادرا المطبخ، وذهب كل منهما إلى غرفته. لديها كدسة مـن الأوراق الواجـب تصحيحها. والغموض المحيط بسبب طلب كولن وايت الخروج معها سيحل قريباً جداً، فهما سيتناولان العشاء بعد خمسة أيام. لم يطلب الخروج معهـا في عطلة نهاية الأسبوع، مما جعلها تتساءل إن كان يملك صـديقة. لقـد عاشت هذه التجربة مع جاك بايلي، وأملت ألا يكون الوضع مماثلاً. لكن، ليس هذا شيئاً. إنها أكيدة. إنه مجرد عشاء مع صديق. والأمر مخيف أقـل بهذه الطريقة.

www.mlazna.com
^RAYAHEEN^

الفصل 23

بعد خمسة أيام، في اليوم الذي يفترض بها أن تتناول فيه العشاء مع كولن وايت، توجب عليها القيام بأحد تلك الواجبات المؤلمة التـي تترافـق أحياناً مع عملها. فقد مات فجأة والد أحد التلاميذ بسبب نوبة قلبيـة علـى منحدر تزلج في نيوهمبشاير، وعليها الذهاب إلى الدفن مع المدير وعـدد من الأساتذة الآخرين. كانت العائلة محطمة، والابن الأصغر أحد تلاميذها في الصف الثانوي الثالث. هناك أربعة أولاد في العائلة، وكلهم ذهبوا إلى ماديسون. إنها عائلة يحبها الجميع، ذهبت إلى الدفن كجزء من المجموعـة مع إريك والكر وعدد من الأساتذة الآخرين. كـان الجـو حزينـاً جـداً، والرثاءات مؤثرة جداً عندما تحدث كل واحد من الأولاد، وبكى الجميـع. أشفقت فيكتوريا على تلميذها، ووضعت ذراعيها حولـه وعانقتـه عنـدما عادوا جميعاً إلى شقة العائلة في فيفث أفنيو. لقد علّمت أخاه الأكبر وإحدى أختيه أيضاً، خلال سنواتها السبع في المدرسة، وأحبتهم جميعـاً. ذهبـت الأخت الكبرى إلى ماديسون قبل أن تصل فيكتوريا إلى هناك، وهـي الآن متزوجة، ولديها ولدان. كان والدهما شاباً نسبياً وبصحة جيدة، وكان موته المفاجئ صدمة مريعة للجميع، وخصوصاً لأولاده.

كانت تجربة محزنة، وأمضت فيكتوريا بقية اليوم بهدوء، وحاولـت عدم التفكير في الأمر عندما جاء كولن لاصطحابها في تمام السابعة. لكنها أخبرته على كل حال، وقال إن عمه قد مات فجأة أيضاً. كان الأمر مريعاً بالنسبة إلى أفراد العائلة، لكنه قال إنها طريقة رائعة للموت، من دون ألـم أو مرض، وبعد حياة رائعة. إنه محق في ذلك.

التقته في أسفل المبنى، واستقلا سيارة أجرة إلى مطعم يعرفه ويحبه في الفيلاج. كانت قد سمعت عنه، وسمعت أنه يصعب الدخول إليه. إنه وايفرلي إين. وهو مطعم حيوي، والطعام لذيذ، والجو جميل ومبهج. طلبا شرائح اللحم، وكبحت نفسها كي لا تطلب طبق المعكرونة والجبن، بالرغم من قوله إن طعمه رائع.

اعترفت له عندما طلبت السبانخ المسلوق: "أعتمد حمية غذائية منذ أن ولدت. والداي وأختي يملكون أجساماً نحيلة ويستطيعون أكل أي شيء يريدونه. يبدو أنني ورثت جينات جدة والدي. كانت امرأة بدينة مثلما يقولون. وأنا أواجه تلك المعركة طوال حياتي". وجدت غرابة في صراحتها الكبيرة معه خصوصاً وأنها تعتبره مجرد صديق. أصبحت ملابسها فضفاضة عليها الآن، ولذلك تستطيع التكلم عن الموضوع، من دون الإحساس العادي بالذنب بسبب ما تأكله. التزمت بالحمية طوال أشهر، وبدا ذلك جلياً. إنها مصممة على بلوغ المقاس عشرة بحلول موعد الزفاف، وباتت قاب قوسين من تحقيق ذلك. وبعد ذلك، عليها الحفاظ على هذا الوزن، وهذا شبيه بالدوران في الفضاء بطائرة 747.

"الناس مهووسون جداً بهذا الأمر في هذه الأيام. طالما أنك تتمتعين بصحة جيدة، فما الفرق الذي تحدثه بضعة باوندات؟ حميات مجنونة. فتيات في الثالثة عشرة من أعمارهن على أغلفة المجلات ينتهين في المستشفيات بسبب الأنوركسيا. النساء الحقيقيات لسن هكذا. ومن يريدهن هكذا؟ ما من أحد يريد امرأة تبدو مريضة أو كأنه جرى إطلاقها من مخيم للاجئين. عبر التاريخ، كان يفترض بالنساء أن يبدون مثلك". قال كولن ببساطة، وبدا أنه يقصد ذلك فعلاً. حدقت إليه غير مصدقة. إنه مجنون ربما، أو أنه يحب النساء الممتلئات. هذا غير منطقي بالنسبة إليها.

تحدثا عن الفنون، والسياسة، والتاريخ، والهندسة المعمارية، وأحدث الكتب التي قرآها، والموسيقى التي يحبانها، والأطعمة التي يكرهانها كالملفوف والقنبيط. قالت إنها جرّبت حمية حساء الملفوف وحصلت على

نتائج رائعة انقلبت فوراً. ثم تحدثا عن عائلتيهما، وأخبرته فيكتوريا أكثر مما أرادت. أخبرته أنه جرت تسميتها تيمناً بالملكة فيكتوريا لأن والدها رأى أنها قبيحة جداً وكانت نكتة جميلة بالنسبة إليه، وأخبرته عن قوله إنها كبك الاختبار فيما غرايسي الوصفة المثالية. نظر إليها كولن مرعوباً عندما قالت ذلك.

قال وهو يبدو متعاطفاً معها: "من المذهل أنك لا تكرهينها".

"ليست غلطتها. إنها غلطتهما. وهي تبدو مثلهما، ولذلك يظنان أنهما مثالية. وعليّ الاعتراف بأنها رائعة. تبدو مثل أختك نوعاً ما، وإنما ذات بنية أصغر". إنه معيار كمال لم تتوصل إليه فيكتوريا مطلقاً وعرفت أنها لن تفعل ذلك أبداً.

ذكّرها: "نعم، ولم تواعد أختي أحداً منذ عام، وبالتالي ليس هذا الأمر ضمانة للسعادة أيضاً". وجدت فيكتوريا صعوبة في تصديق ذلك. أضاف بجدية: "الناس الذين يقولون مثل هذا الكلام لأولادهم ما كان يجدر بهم إنجابهم".

"صحيح. لكنهم يفعلون ذلك على كل حال. يمكن لأي كان أن ينجب الأولاد، سواء أكان مؤهلاً أم لا، والعديد من الأشخاص ليسوا مؤهلين. يظن والدي أن الأمر مضحك حين يسخر مني. خضعت لسنتين من العلاج النفسي قبل بضعة أعوام، ثم أخذت استراحة لمدة سنتين. وعدت إليه في الصيف الماضي. يحدث ذلك فرقاً، إذ تدرك – على الأقل من الناحية الفكرية – أن العيب فيهم، وليس فيك. لكن، في أعماقك، تتذكر كل الأمور السيئة التي قالوها عنك عندما كنت في الخامسة، أو السادسة، أو الثالثة عشرة من عمرك. وأظن أنك تسمعها في رأسك إلى الأبد. حاولت إغراق تلك الأصوات بتناول البوظة، لكن الأمر لم ينجح". لم تكن يوماً صريحة بهذا القدر مع أي كان في حياتها، وبدا متفهماً للموضوع تماماً. استلطفته فعلاً، وأملت أن يكون صادقاً، بالرغم من أنها باتت تخشى الجميع الآن بعد التجارب التي عاشتها مع الرجال غير الصادقين، مثل جاك بايلي وبعض الرجال الآخرين. لم تكن حياتها الغرامية سعيدة لغاية الآن.

www.mlazna.com-RAYAHEEN

اعترف لها: "أملك علاقة غريبة مع والديّ أنا أيضاً. كان لديّ أخ أكبر مني، وهو الابن المثالي، والرياضي المثالي، والتلميذ المثالي. إنه مثالي في كل شيء. فقد تخرج من هارفارد، وهو كابتن فريق كرة القدم، وقد دخل كلية الحقوق في جامعة يال، وهو الأول في صفه. كان ولداً رائعاً، ورجلاً مذهلاً، وأخاً ممتازاً. قتله سائق ثمل في لونغ آيلند في عطلة الرابع من يوليو. احتجت إلى وقت طويل لأتجاوز المحنة. واختبأت نوعاً ما وسط صفي. جامعة ديوك وجامعة نيويورك لم تكونا كافيتين لوالدي مقارنة مع هارفارد ويال. لست الجوكر، ولم أكن كذلك يوماً. أحافظ على لياقتي البدنية وألعب كرة المضرب والسكواش، لكن هذا كل شيء. بلايك كان الولد الذهبي، ولقد أحبه الجميع. كان أخي البكر. ولطالما كنت ظله عندما كنت ولداً. وتوقف العالم عند والديّ عندما مات. لم يخرجا من المحنة مطلقاً. فقد تقاعد والدي، وذبلت أمي نوعاً ما. لم يفرح أي منهما منذ ذلك الحين. ولا أنا طبعاً. استوعبت أختي كل ذلك لأنها فتاة. لكنهم يتصورون أنني بديل سيئ لبلايك. أراد تعاطي السياسة في النهاية؛ وربما كان سيبلي حسناً. كان نوعاً من كنيدي، مع مقدار هائل من الجاذبية والفتنة. أمّا أنا فمجرد رجل عادي. عشت مع امرأة قبل بضع سنوات، ولم تنجح العلاقة. ولذلك صارا يتساءلان الآن عن سبب عدم زواجي. برأيهما الشخصي، أنا دوماً في المرتبة الثانية طوال حياتي، أو غير مؤهل على الإطلاق، مقارنة مع أخي. يصعب التواجد معهما والإحساس بأنك لست على المستوى المطلوب. كان أكبر مني بخمس سنوات، ومات قبل أربعة عشر عاماً. كنت قد تخرجت من الجامعة للتو، وكنت خيبة أمل بالنسبة إليهما منذ ذلك الحين". لم يعش الطفولة الصعبة التي عاشتها، لكنه عاش حياة صعبة طوال أربعة عشر عاماً ولاحظت ذلك في عينيه؛ ذلك الشعور المريع بأنك لست جيداً كفاية ليحبك الأشخاص الذين تحبهم أنت كثيراً، وفي النهاية لا يحبك أحد. تعرف ذلك تماماً. "لست تعيساً بقدرك. فأنا لم أخضع للعلاج مطلقاً، لكن ربما يجدر بي فعل ذلك. قبلت فقط بالإرث الذي

تركه لي أخي. حاولت أن أكون هو لبعض الوقت، ولم أستطع. أنا لست هو، بل أنا شخص مختلف. وهذا ليس جيداً لهما بما فيه الكفاية. إنهما شخصان حزينان". ولم يكن هو حزيناً، لحسن الحظ. لكنه عاش مع الرسائل السامة تماماً مثلها، لأسباب مختلفة. وبفضل بعض كتب المساعدة الذاتية التي قرأتها، رأت أنه ناجٍ من الشعور بالذنب بشكل من الأشكال.

"لطالما شعرت أن والديّ يحملان لافتة كتب عليها *نحن لا نحبك*. كان ذلك صريحاً أكثر". ابتسمت له، وضحك. الصورة مثالية جداً، ومطابقة تماماً لشعوره حيال والديه. تجاربهما في الحياة متشابهة كثيراً؛ ومن حيث التفاصيل أيضاً. هناك الكثير من الأمور المشتركة بينهما، نظراً إلى علاقتيهما الصعبتين مع أهلهما، وقد حاولا مقاومتهما جيداً وبقيا شخصين سليمين. شعرا أنهما اكتشفا الكثير من الأمور المهمة في بعضهما عندما انتهت السهرة. وضع ذراعه حولها في طريق العودة في سيارة الأجرة، لكنه لم يحاول تقبيلها، وهذا جيد له. فهي تكره أن يتحرش بها غرباء يظنون أنك تدين لهم بذلك لمجرد أنهم دفعوا عنك فاتورة العشاء. لم يفعل ذلك، واحترمته بفضل هذا الأمر. وقبل أن يعودا إلى مبناها، سألها إذا كانت تود تناول العشاء معه مجدداً. وقال إنه يتمنى موافقتها، واعتذر عن التطرق إلى موضوعات جدية معها في الموعد الأول. لكن بالنسبة إليهما معاً، هذه هي الحياة الحقيقية، ومن المريح تشاركها مع شخص متفهم.

قالت بصراحة: "أحب تناول العشاء معك مجدداً". واقترح عليها ليلة السبت، وهذه نظرية تدحض الفكرة القائلة إنه يملك صديقة لعطلة نهاية الأسبوع، إلا إذا كان يراها يوم الجمعة، قالت فيكتوريا لنفسها. لقد فعل جاك ذلك. لكن كولن ليس جاك. إنه رائع.

قبّلها على وجنتها، وراقبها وهي تدخل المبنى، وقال إنه سيتصل بها في اليوم التالي. كانت تبتسم عندما دخلت الشقة، وابتسم هارلان ابتسامة عريضة جداً عندما رآها. وكان جون قد خلد إلى السرير.

قالت فيما دخلت: "أدين لك بعشرة دولارات".

"كيف عرفت ذلك؟". بدا محتاراً.

"أحاديث رائعة، أمسية رائعة، رجل رائع. وضع ذراعه حولي في سيارة الأجرة في طريق العودة إلى المنزل. لمس يدي مرتين خلال العشاء. لا يهتم إذا كنت بدينة أم لا، وإنما يحب النساء *الحقيقيات*. ودعاني لتناول العشاء ليلة السبت". كانت تبتسم ابتسامة عريضة، فاقترب منها وعانقها. كان هارلان يعانقها ويقبلها على الدوام. جون أكثر برودة معها، لأنها طبيعته، وهو أقل ارتياحاً مع النساء. فقد كانت أمّه مريعة، وكانت تضربه، وجعلته يكره النساء إلى الأبد. لكل واحد ندوبه.

قال هارلان بعدما عانقها: "اللعنة! تدينين لي بخمسين دولاراً، أو ربما مئة. هذا أفضل من موعد غرامي. إنه رجل حقيقي. يبدو مذهلاً. متى أستطيع لقاءه؟ قبل الزفاف. أقصد زفافك. انسي زفاف غرايسي". كانا يضحكان، وأخرجت ورقة عشرة دولارات من محفظتها وأعطته إيّاها. كانت في موعد غرامي! ومع رجل مذهل! إنّه يستحق الانتظار ثلاثين عاماً تقريباً، بالرغم من أنه لا يزال من المبكر معرفة ما سيحصل. قد لا تفضي العلاقة إلى أي شيء، وحتى لو فعلت، فقد تنهار لاحقاً. إنها الحياة.

تلك الليلة، اتصل بها كولن مباشرة قبل أن تخلد إلى النوم، وأخبرها عن الوقت الرائع الذي أمضاه معها، وأنه يتحرق شوقاً لرؤيتها مجدداً. وشعرت تماماً بالشيء نفسه حياله.

"أحلاماً سعيدة". قال لها قبل أن ينهي المكالمة، وابتسمت فيما كانت مستلقية على السرير، والهاتف لا يزال في يدها. إنها أحلام سعيدة بالفعل.

الفصل 24

موعد فيكتوريا الثاني مع كولن كان أفضل من الأول. فقد ذهبا إلى مطعم أسماك في بروكلين، وتناولا الكركند الطازج، وهما يضعان المناديل الورقية على صدريهما. كان المطعم كثير الضجة وحيوياً، واستمتعا برفقة بعضهما. كانت أحاديثهما رائعة كما في المرة الماضية، وشعرا بالارتياح للتحدث عن نفسيهما وعمّن يكونان فعلاً، وبالكشف عن نفسيهما. بدآ يلتقيان في النادي في الأمسيات، ويتحدثان عن نهارهما في أثناء الركوب على الدراجة. كانا مرتاحين تماماً مع بعضهما. عانقها دوماً وقبّلها على وجنتها. لكن، لم يتعدّ الأمر ذلك، وكانت مرتاحة لهذا، وأحبته.

في موعدهما الثالث، أخذها إلى الباليه لأنها قالت إنها تحبه. وذهبا إلى معرض في المتروبوليتان يوم الأحد، وتناولا الغداء بعد ذلك. أخذها إلى افتتاح مسرحية في برودواي. كانت تستمتع معه كثيراً، وكان كولن مبدعاً جداً في الأماكن التي أخذها إليها. فهو يفكر ملياً، ويبحث عن المكان الذي يظن أنها تستمتع فيه.

وبعد ليلتهما في المسرح، بدا منزعجاً للمرة الأولى عندما طلب منها تناول العشاء معه. حذرها قائلاً إنها قد لا تحب السهرة، ويحتمل ألا تكون ممتعة، لكنه أراد سؤالها على كل حال.

"سيأتي والداي إلى المدينة، وأريدك أن تلتقيهما. لكنهما غير ممتعين كثيراً. ليسا شخصين سعيدين، وسيتحدثان عن أخي طوال الوقت. لكن، سيعني لي الكثير إذا التقيتهما. ما رأيك؟".

قالت بلطف: "أظن أنهما سيكونان أفضل من والديّ بكثير". تأثرت وشعرت بالإطراء لأنه أراد منها التعرف إليهما.

وعندما فعلت، كانا كل ما قاله عنهما وأسوأ. إنهما شخصان وسيمان، وأرستقراطيان، وذكيان. لكن أمه بدت مكتئبة، فيما بدا والده محطماً من الحياة، وبسبب الابن الذي خسره. انحنت كتفاه إلى الأمام، وكان وجهاهما وحياتاهما من دون لون أو معنى. بدا وكأنهما لا يريان كولن، وإنما فقط شبح أخيه. كل الموضوعات تفضي إليه، وكل ما يفعله كولن يفضي إلى مقارنة غير جميلة مع أخيه. لا يستطيع كولن الفوز. إنهما سيئان مثل والديها بطريقتهما الخاصة، ومسببان أيضاً للاكتئاب. أرادت أن تضع ذراعيها حول كولن وتقبله بعدما أوصلا والديه إلى الفندق، لكنه قبّلها بدلاً من ذلك. إنها المرة الأولى التي يفعل فيها هذا، وخرج منها كل ما تشعر به تجاهه؛ كل الحنان والتعاطف والحب. أرادت شفاء كل الجروح القديمة التي عانى منها، والوحدة الناجمة عن رفض والديه له. تحدثا لوقت طويل بعد ذلك عن الألم الذي يشعر به، وأحس بالامتنان لدعمها له.

كان جون وهارلان قد خلدا إلى السرير عندما عادت فيكتوريا وكولن إلى شقتها، وتحدثا وقبّلا بعضهما لساعات طويلة. لم تحب والديه؛ تماماً مثلما لا تحب والديها، بالرغم من أن والديه يملكان عذراً، فيما لا يملك والداها أي عذر. والداها لا يحبانها بكل بساطة، أما والداه فيندبان ابنهما. لكن، في الحالتين، كان أهلهما غير لطفاء، وغير محبين، ونابذين إلى درجة الوحشية. وفي الحالتين، أقنعوا فيكتوريا وكولن بأنهما غير محبوبين. وسيحمل كلاهما ندوباً نتيجة لذلك إلى الأبد؛ كما هي حال العديد من الأشخاص. بالنسبة إلى فيكتوريا، يعتبر ذلك إحدى أسوأ الجرائم التي يرتكبها الأهل؛ أي إقناع ولدك بأنك لا تحبه، وكذلك بأنه لا يستحق الحب أيضاً، وأن أحداً آخر لن يحبه. لقد كانت تصرفات والديها لعنة حياتها، وكذلك الأمر بالنسبة إلى كولن أيضاً.

وتلك الليلة، نجحا في منح بعضهما الراحة، والموافقة التي استحقاها واحتاجا إليها منذ فترة طويلة. لقد كانت أمسية مهمة بالنسبة إليهما معاً؛ كثيراً. ولم تعد تخبر هارلان عن كل شيء يحصل في مواعيدهما. بدأت تنحاز إلى كولن، وبدا ذلك محقاً. وشعر هو بالشيء نفسه حيالها. وأراد أن يخبر أخته فقط عندما تتصل. أراد حماية فيكتوريا أيضاً، وحماية العلاقة التي يتشاركانها. وشعرا بالاحترام تجاه بعضهما، ورغبا في التكتم.

العشاء التالي الذي تشاركاه بعد زيارة والديه كان مهماً لهما معاً. كان سخيفاً ومضحكاً، وشعرت فيكتوريا بالإحراج لأنه عنى لها الكثير، لكن هذه هي الحقيقة، وفهم كولن ذلك. إنه يوم الفالنتين، واصطحبها لتناول العشاء في مطعم فرنسي رومنسي يقدّم طعاماً لذيذاً، بالرغم من أنها تناولت القليل من الطعام. كان العشاء رائعاً، وعادا بعد ذلك إلى شقته وليس إلى شقتها. قدم لها شراباً، مع سوار ذهبي صغير فيه ماسة صغيرة على شكل قلب لتضعه حول معصمها، ثم قبّلها، وكان الوقت والمكان مثاليين لكليهما. ذابت بين ذراعيه، واختفت كل السنوات الموحشة التي عاشاها حتى الآن من دون بعضهما. والشيء الوحيد الذي عرفاه، عندما انتهت السهرة، هو كم يحبان بعضهما. شعرا أنهما يستحقان ذلك؛ يستحقان الحب أخيراً.

بعد ذلك، اتخذت حياتهما معاً منحى يومياً. فقد خرجا لتناول العشاء معاً، وبقيا في المنزل معاً، وغسلا الثياب معاً، وذهبا إلى النادي الرياضي معاً، وأمضيا الليالي في شقته أو شقتها، وذهبا إلى السينما، ونجحا في دمج حياتين حقيقيتين في حياة واحدة. سار كل شيء على ما يرام، وبطريقة أفضل مما حلما بها.

كانت فكرة كولن أن يأخذ إجازة لمدة أسبوع ويذهب مع فيكتوريا في إجازة الربيع. توسلت إليها غرايسي للذهاب إلى المنزل في لوس أنجلوس، لكن فيكتوريا لم تشأ فعل ذلك. فقد عرفت أن عائلتها ستفسد الأمر عليهما. وإذا بقيا معاً، فسيكون قد التقاهما في وقت مبكر جداً. خافت أن تعرّفه إلى

والديها، وناقشت الأمر مرات عدة مع طبيبتها النفسية التي فرحت من أجلها.

سألتها الطبيبة النفسية وهي مذهولة من رفضها: "لماذا تخافين أن يلتقي والديك؟". وكانت العلاقة جيدة. وأفضل مما حلمت به فيكتوريا.

"ماذا لو أقنعه والداي بأنني لا أستحق أن أكون محبوبة، وقرر هو أنهما محقان". بدت خائفة جداً فيما قالت ذلك.

سألتها الطبيبة وهي تنظر إلى عينيها: "هل تظنين أن هذا سيحصل فعلاً؟". وهزّت فيكتوريا رأسها.

"لا. لكن، ماذا لو حصل؟ إنهما يجيدان الإقناع".

"لا. ليس صحيحاً. الشخص الوحيد الذي أقنعاه هو أنت. لن يصدقهما أحد باستثنائك. ولهذا السبب، إنّ ما فعلاه كان قاسياً جداً. لن يصدقهما أحد. ويبدو كولن أذكى من ذلك بكثير".

"صحيح. أخاف فقط مما قد يقولانه. وسيقومان بإذلالي أمامه".

"ربما. لكن، إذا فعلا، فأنا أضمن لك أنه لن يحب الأمر، وسيحتقرهما. بالمناسبة، هل دعوته إلى زفاف أختك؟".

"ليس بعد. لكنني سأفعل. غير أنني لا أريده أن يراني في ذلك الفستان البني الذي يبدو مريعاً عليّ. هذا محرج جداً".

ذكّرتها الطبيبة: "يمكنك إقناعها بالسماح لك بارتداء شيء آخر. لم يفت الأوان بعد".

"حاولت. لن تسمح لي. عليّ فقط القبول به وارتداؤه. لكنني أكره أن يراني كولن مريعة جداً".

"يبدو أنه يحبك على كل حال. لن يكون الفستان البني مهماً بالنسبة إليه". شعرت الطبيبة بالأسف لأن فيكتوريا لم تواجه أختها بشأن ذلك.

حياتها مع كولن كانت رائعة أيضاً، لكنها كانت محرجة من وزنها في البداية. فحتّى بعد تخفيض وزنها، كانت أضخم مما أرادت، وكان هناك

الكثير من اللحم الزائد هنا وهناك. لم تشأ أن يرى ذلك، وكانت تطفئ الضوء على الدوام، أو تبقي نفسها مغطاة وتركض إلى الحمام في الظلام، أو ترتدي ثوباً. إلى أن أقنعها في أحد الأيام بأنه يحب جسمها تماماً كما هو. فهو يعشقه، ويحب كل إنش من جسدها الأنثوي، وصدقته. جعلها تشعر بأنها ملكة وأميرة الحب. ما من شيء كان مثيراً هكذا في حياتها، وبعدما بدأت تدرك حقيقة شعوره حيالها صدقته. لم تستمتع بهذا القدر في حياتها قطّ، وخرج اليأس من حميتها الغذائية. باتت تأكل الطعام بانتباه، وابتعدت عن البوظة والأشياء الدسمة، وكانت حريصة على الذهاب إلى وايت وانشرز. أكثر من أي شيء آخر، أرادت الصراخ من على السطوح بأن كولن يحبها. إنها محبوبة في النهاية. لم تكن يوماً سعيدة بهذا القدر في حياتها، وشعر كولن بالشيء نفسه أيضاً. كان غارقاً في دفء حب فيكتوريا، وموافقتها، وإعجابها. إنها كل ما اشتاق إليه في حياته طوال سنوات. حياتهما معاً كانت حديقة غناء نما فيها كل شيء بسخاء. الحب الذي تشاركاه كان شيئاً جميلاً بالنسبة إليهما معاً.

مباشرة قبل عطلة الربيع، حضرت فيكتوريا حفلة استقبال طفل آيمي غرين. كان يفترض أن يولد الطفل في أي دقيقة، ولم تكن آيمي تأتي إلى الصفوف، ولن تفعل إلا بعد ولادة الطفل. من المؤثر رؤيتها بهذا الحجم الضخم، وأمها تحوم حولها. بدت آيمي سعيدة، وجرت الترتيبات في المدرسة كما يجب. ستعود بعد ولادة الطفل، خلال أسابيع قليلة، لإنجاز الامتحانات النهائية. تم قبولها في جامعتي هارفارد ونيويورك. وقررت البقاء في المدينة، بحيث تكون مع طفلها وأمها التي ستساعدها. وسيذهب جاستن إلى جامعة نيويورك أيضاً. تسير الأمور كما يجب معهما. انتقل للعيش معها ومع أمها خلال الأشهر الأخيرة من الحمل، بموافقة والديه، بالرغم من أنهما لم يتحمسا للأمر في البداية. لكن عائلة آيمي كانت منطقية، وكانت رؤية شابين يحاولان بكدّ فعل الشيء الصحيح أمراً مؤثّراً. أصبح عمر كليهما ثمانية عشر عاماً. وأخبرت

www.mlazna.com-RAYAHEEN

فيكتوريا كولن عنهما. أحبت مشاركته في كل جوانب حياتها، وفعل هو الشيء نفسه بشأن عمله، وكان تواقاً لتعريفها إلى أصدقائه. كانا مع بعضهما في معظم الأوقات. لم يبتعدا عن بعضهما مطلقاً، وإنما أضافا إلى بعضهما كل ما لديهما.

فاجأها كولن بمزرعة قديمة رائعة أعيد ترميمها في كونكتيكوت استأجرها لهما خلال عطلة الربيع. إنها مزرعة خاصة وجميلة، ومريحة جداً. كانت مثل منزل الدمى بالنسبة إليهما معاً. وهي قريبة من قرية هادئة. قاما بنزهات طويلة، واستأجرا حصانين وامتطياهما في الريف، وحضّرا الطعام معاً في الليل، واستمتعا مع بعضهما طوال الوقت. وعندما حان وقت العودة، امتعضا من تسليم المنزل. كانت عطلة مثالية.

سار كل شيء على ما يرام في حياتهما، حتى أسبوع من عودتهما من إجازة الربيع. كانت فيكتوريا في منزل كولن عندما تلقت اتصالاً على هاتفها الخلوي. إنها غرايسي، وكانت تبكي بشدة بحيث لم تفهم فيكتوريا كلمة مما قالته. لكن، من الحديث الذي سمعه والأسئلة التي طرحتها، فهم كولن أن هناك مشكلة ما، لكن لم يعرف أي منهما حقيقتها. ظنت ربما أن أحد والديها قد مات، أو ربما هاري. كانت غرايسي تهذو في كلامها، وبدأت فيكتوريا تشعر بالذعر.

صرخت فيها: "اهدئي، اهدئي". واستمر البكاء، ثم اتضحت القصة.

قالت: "لقد خخخخ.... خانني". ثم انفجرت في البكاء مجدداً.

سألتها فيكتوريا بحدة: "كيف عرفت؟". وظنت أن هذا الأمر نعمة ربما إذا كان سيمنعها من الزواج بالرجل غير المناسب. هذا هو المقصود ربما، وليس الأمر سيئاً جداً، مهما كان محطماً بالنسبة إلى غرايسي.

"رأيته يغادر مبنى مع امرأة. كنت متوجهة إلى منزل هيثر لأعرض عليها تصاميم فستاني، ورأيته. كان يخرج من المبنى معها، وقبّلها، ثم صعدا في سيارته وانطلقا بعيداً. أخبرني أنّ عليه لقاء والده لإنجاز بعض

الأعمال، وكذب". انفجرت في البكاء مجدداً. "ولم يأتِ إلى المنزل في الليلة الفائتة. اتصلت به ولم يجب على الهاتف".

سألتها فيكتوريا بمنطق: "هل أنت واثقة من أنه هو؟".

"أنا متأكدة. لم يرني. كانت نافذة سيارتي مفتوحة، واستطعت حتى سماعهما وهما يضحكان لأنني كنت قريبة جداً. بدت رخيصة، لكنني رأيتها قبلاً. أظن أنها إحدى سكرتيرات والده". كانت غرايسي تبكي مثل طفلة صغيرة.

"هل أخبرته أنك رأيته؟".

"نعم. قال لي إن هذا ليس من شأني، ولم نتزوج بعد، ولا يزال رجلاً حراً. وإذا أزعجته بشأن ذلك، فسيلغي الزفاف. قال إنه لهذا السبب اشترى لي خاتماً كبيراً جداً كي أبقي فمي مغلقاً وقابعاً في الخلف". هذا شيء مريع فعلاً، وصدمت فيكتوريا، فهذا يؤكد رأيها في هاري، بل وما هو وأسوأ.

"لا يمكنك الزواج به غرايسي. لا يمكنك الزواج برجل يعاملك هكذا. وسيخونك مجدداً". فهم كولن فحوى الحديث حينها، وجلس على الأريكة بالقرب من فيكتوريا مع نظرة قلقة. لم يتعرف بعد إلى أختها الصغرى، لكنه شعر بالأسف عليها. إنها مجرد طفلة.

قالت غرايسي مثل طفلة تائهة: "لا أعرف ماذا أفعل".

"ألغي الزفاف. ليس أمامك أي خيار آخر. لا يمكنك الزواج برجل يخونك الآن، ويطلب منك إبقاء فمك مغلقاً لأنه أعطاك خاتماً كبيراً. إنه لا يحترمك". أو لا يحترم نفسه على ما يبدو، قالت فيكتوريا لنفسها. وكان كولن يومئ موافقاً على ما قالته. بدا الرجل حقيراً، وهو لا يرغب في أن تتزوج أخته بشخص مثله.

بكت غرايسي قائلة: "لا أريد إلغاء الزواج فأنا أحبه".

"لا يمكنك السماح له بمعاملتك هكذا. اسمعي، لِمَ لا تأتين إلى نيويورك لتمضية بضعة أيام؟ سنتحدث. هل أخبرت بابا؟".

"نعم. قال إن الرجال يفعلون ذلك أحياناً، ولا يعني ذلك أي شيء".

"هذا هراء. بعض الرجال يفعلون ذلك. لكنّ الرجال المحترمين لا يفعلون ذلك إذا كانوا يحبون زوجاتهم. أظن أن الأمر قد يحصل، لكن ليس هكذا، مع ساقطة قبل شهرين من زفافك. ليس هذا دليلاً جيداً".

"أعرف". بدت محطمة وتائهة.

"سأحضر لك تذكرة، وأريدك أن تأتي غداً". لقد تأخر الوقت جداً لليلة.

"حسناً". بدت غرايسي أكثر هدوءاً، وكانت لا تزال تبكي عندما أنهت المكالمة. مباشرة بعد ذلك، اتصلت فيكتوريا بشركة الطيران، وحجزت تذكرة، وأرسلت إلى غرايسي رسالة هاتفية بالمعلومات. كانت تنوي أخذ إجازة من المدرسة لبضعة أيام إذا اضطرت إلى ذلك، وذلك لتمضية الوقت مع أختها. هذا مهم. لا يمكنها الزواج بهاري. لا شك في ذلك. ووافقها كولن الرأي عندما أخبرته بما حصل.

قال كولن: "إنها مجرد البداية. إذا كان يخونها الآن، فلن يتوقف أبداً. ربما كان يخونها على الدوام، لكنها لم تكن تعرف". ووافقته فيكتوريا الرأي. لديه الكثير من الفرص مع عائلته، وفي رحلاته إلى أوروبا، وفي حفلات العازبين في عطلات نهاية الأسبوع. كولن محق، إذا كان هاري مخادعاً، فستعيش غرايسي حياة تعيسة. كانا لا يزالان يتحدثان عن ذلك عندما خلدا إلى السرير في تلك الليلة.

في اليوم التالي، انتظرت فيكتوريا حتى ساعة مناسبة بين الحصص للاتصال بأختها. كانت غرايسي قد استيقظت للتو، بعد البكاء معظم الليل. قالت إن هاري لم يتصل، وفي آخر مرة تحدثت فيها إليه، هددها مجدداً بإلغاء الزفاف، كما لو أن غرايسي قد فعلت الشيء الخطأ بلومه على سلوكه وإخباره بما رأته.

قالت فيكتوريا بصرامة: "اتركيه". أملت أن تفعل ذلك.

قالت غرايسي وهي تبكي مجدداً: "لا أريده أن يلغي الزفاف". وشعرت فيكتوريا بالذعر. لا يمكنها الزواج بهذا الرجل. فهو لم يعتذر

حتى على ما فعله، ولم يكشف عن أي ندم، وكلها علامات مريعة. إنه ولد غني سيئ التصرف ويفعل ما يحلو له، وهو يهدد زوجته العتيدة بدلاً من الركوع أمام قدميها، والاعتذار منها، الأمر الذي كان سيعتبر بداية، وربما غير كاف أيضاً. ما كان الأمر كافياً بالنسبة إلى فيكتوريا.

"استقلي الطائرة. سنتحدث هنا. أخبري ماما وبابا أنك تريدين زيارتي. بالإضافة إلى ذلك، أريدك أن تلتقي كولن". وكانت قد أخبرتها سابقاً كل شيء عنه، بالرغم من أن الوقت لا يبدو مناسباً الآن لكي يلتقيا بعضهما.

"ماذا لو جن جنونه لأنني ذهبت إلى نيويورك؟". بدت مذعورة.

"غرايسي، هل أنت مجنونة؟ ماذا لو جن جنونه؟ لقد خدعك. أنت من يفترض به أن يجن جنونه. وليس هو".

"قال إنني كنت أتجسس عليه".

"وهل هذا صحيح؟".

شرحت مجدداً: "لا. كنت ذاهبة إلى هيثر لأريها تصاميم فستاني".

"إنه إذاً رجل حقير، وخائن. تعالي إلى نيويورك". ذكّرتها بموعد الرحلة. وكان لدى غرايسي الوقت الكافي للاستعداد لها.

قالت: "حسناً، سآتي. أراك لاحقاً". وبدت متوترة لكنها لم تكن تبكي. حجزت لها فيكتوريا في رحلة الظهر من لوس أنجلوس التي يفترض أن تصل عند الساعة الثامنة مساء إلى مطار جون كنيدي حسب توقيت نيويورك. وكانت فيكتوريا تنوي الذهاب إلى المطار لإحضارها. وستستقل الحافلة عند الساعة السابعة، وقد حجزت مقعداً فيها. رنّ هاتفها عند الساعة السادسة مساء، فيما كانت لا تزال في شقتها تستعد لاستقبال غرايسي، وتبدل الملاءات.

كانت غرايسي هي المتصلة، وشعرت فيكتوريا بالارتباك. "أين أنت؟ هل تتصلين من الطائرة أم أنك هبطت في وقت أبكر؟".

قالت غرايسي وهي تبدو منزعجة ومذنبة: "أنا في لوس أنجلوس. غادر هاري للتو. قال إنه سيسامحني ولن يلغي الزفاف إذا نسيت كل

القصة ولم أكررها مجدداً". بدت مثل رجل آلي، وأصيبت فيكتوريا بالجنون.

"فعل ماذا مجدداً؟ القبول بالخيانة؟ عمّ يتحدث؟ ما الذي لا يجدر بك فعله مجدداً؟". كان صوتها يرتجف من شدّة الغضب والقلق على أختها. قلب هاري الطاولة على غرايسي ولامها، فيما الخطأ كله منه، وليس خطأ أختها.

"التجسس عليه واتهامه". كانت تبكي لكن فيكتوريا لم تستطع سماعها. "يقول إنني لا أعرف عما أتحدث، وإنّ كل ما فعله هو تقبيلها، وليس الأمر من شأني على كل حال".

"هل هذا هو الرجل الذي تريدين الزواج به؟". كانت فيكتوريا تصرخ. وكانت في الشقة بمفردها.

قالت غرايسي بحزن: "نعم، أريد الزواج به. لا أريد خسارته، فأنا أحبه". وراحت تبكي مجدداً.

"لن تحصلي عليه أبداً، إلا بالاسم، إذا كان يخونك أصلاً. ليس هذا كافياً. إنه يبتزك لتصمتي غرايسي. إنه يقول لك إنك إذا لمته على عيبه، حتى لو كان مخطئاً، فسيهجرك. إنه أحمق كبير". راحت غرايسي تبكي بقوة أكبر.

"لا أبالي. أنا أحبه!". أصبحت فجأة غاضبة على أختها، بدلاً من أن تغضب على زوجها المستقبلي، لأنها جعلتها تواجه الحقيقة المخيفة جداً بالنسبة إليها. "يقول إنه لن يخونني عندما نتزوج".

"وهل صدقته؟".

"نعم. إنّه لا يكذب عليّ".

قالت فيكتوريا بنبرة يائسة: "لقد كذب عليك. لقد خرج مع امرأة أخرى قبل ليلتين. لقد رأيته، ولم يذهب إلى المنزل. أنت أخبرتني بذلك. هل هذه هي الحياة التي تريدينها؟".

"لا. لن يفعل ذلك. إن سلوكه ذاك بسبب ضغط ما قبل الزواج".

"لكن ضغط ما قبل الزواج لا يجعلك مخادعة، أو لا يفترض به أن يجعلك كذلك. وإذا حصل ذلك فيفترض ألاّ يكون هناك زفاف".

قالت غرايسي بعصبية: "لا أهتم بما تقولينه". كانت فيكتوريا تكشف لها الحقيقة، وهي تفعل كل شيء للهروب والاختباء في أكاذيب هاري. "نحن نحب بعضنا وسنتزوج. وهو ليس مخادعاً".

قالت فيكتوريا بسخرية: "لا، إنه رجل رائع. هذا مقرف، وأنت الشخص الوحيد الذي سيدفع الثمن".

قالت غرايسي: "لا، لن أفعل. سأكون بخير". عرفت فيكتوريا أن الأمور لن تكون بخير، لكن غرايسي لم تشأ سماع ذلك.

سألت فيكتوريا بصوت مخنوق: "هل ستأتين إلى نيويورك؟".

"لا. لا يريدني هاري أن أفعل ذلك. يقول إنّ لديّ الكثير من الأمور هنا، وسيشتاق إليّ كثيراً". ولا يريد أن تتأثر زوجته المستقبلية الساذجة بأختها الكبرى الأكثر حكمة، والتي لا تستلطفه. فهمت فيكتوريا هذا بسهولة.

"أعرف. إنّه لا يريدك أن تتحدثي إليّ. افعلي ما تريدينه غرايسي. لكن، تذكري أنني موجودة من أجلك". وعرفت أن أختها الصغرى ستحتاج إليها عاجلاً أم آجلاً، وحطّم ذلك قلبها. وفيما أقفلتا الخط، لم تكف عن التساؤل إن كان الأمر نفسه قد حصل مع أمها أيضاً. لقد خدعها والدها ربما في مرحلة ما، ولهذا السبب يريد التغاضي عن خطأ هاري. وإلا ما كان يجدر به فعل ذلك، لمصلحة ابنته، سواء أكان هناك مال أم لا. فالمال لن يعطي السعادة إذا كان هاري مخادعاً أو رجلاً سيئاً. لكنه يحب الفخامة الناجمة عن ذلك الارتباط.

فكرت فيكتوريا في الاتصال بوالدها، لكن الأمر بدا غير مجدٍ. فهو لن يصغي إليها. إنه مهتم جداً بزفاف غرايسي للأسباب غير الصحيحة. إنهم متحمسون هم الثلاثة لزواجها من هاري وايلكس، سواء أكان ذلك للأفضل أم للأسوأ. وبدا الأمر للأسوأ بالنسبة إلى فيكتوريا. اتصلت بكولن

وأخبرته بما حصل، وانزعج من أجلها، فقد عرف كم تهتم بأمر أختها الصغرى، وبدا الوضع سيئاً بالنسبة إليه.

"من المؤسف أن والديك لم يتصرفا بذكاء أكبر من ذلك".

"إنهما أحمقان ويحبان اسم عائلته. وهي طفلة حمقاء. وتظن أنها إذا خسرته، فلن يكون هناك أبداً رجل آخر مثله. ستكون تعيسة معه في يوم من الأيام". لم يعارضها كولن. وكانت مكتئبة بسبب هذا الأمر في تلك الليلة. أرسلت إلى غرايسي رسالة هاتفية تخبرها فيها بأنها تحبها، لكنها لم تتصل بها. فهي لا تستطيع قول أي شيء، سوى الحقيقة.

ولم تساعدها الدكتورة واتسون كثيراً في اليوم التالي. فقد قالت الشيء نفسه مثلما فعلت قبلاً، حتى الآن، بعد أن خدع هاري غرايسي، أو هكذا يبدو.

ذكّرت فيكتوريا بالقول: "هذه قراراتها وحياتها. أوافقك تماماً على ما تقولينه. إنه يبتزها، وهو مهين، وربما غير صادق. لكنها الشخص الوحيد الذي يستطيع الوقوف في وجه هذا وتغييره أو التماشي معه. لا دخل لك في ذلك". كانت حاسمة في هذا، فغضبت فيكتوريا منها أيضاً، وشعرت بأنها عاجزة.

"إذاً هل يجدر بي الجلوس والتفرج؟". تلألأت دموع الغضب والإحباط في عيني فيكتوريا.

"لا، عليك أن تعيشي حياتك الخاصة. ركزي على حياتك مع كولن، وأنا مسرورة لأن الأمور تجري على ما يرام. ما من شيء يمكنك فعله أو يجدر بك فعله في حياة أختك، أو زواجها. هذا خيارها، سواء أكان جيداً أم سيئاً، ومهما كان رأيك".

"حتى لو كانت في الثانية والعشرين من عمرها، ولا تعرف الأفضل لها، وتحتاج إلى الإرشاد؟". تألمت فيكتوريا مما قالته الدكتورة واتسون، وتحديداً لأنه صحيح.

"هذا صحيح. إنها لا تطلب منك الإرشاد، بل إنها تطلب منك التراجع". عرفت فيكتوريا أن الطبيبة محقة، وهذا ما جعل معركتها أصعب.

بدت غاضبة. "إذاً، هل يجدر بها أن تصدق أكاذيبه؟".

"نعم، إذا كان هذا ما تريده، وهكذا يبدو. لا يعجبني الأمر أيضاً، وأشعر بالاضطراب عندما أسمع قصصاً كهذه. لكنك لا تستطيعين فعل شيء".

"أكره ذلك". غضبت كثيراً من زواج غرايسي به. لكنها لا تريد خسارة علاقتها مع أختها بسبب ذلك، وعرفت أن هذا قد يحصل. لقد ابتز هاري أختها لتصمت، وساعده صغر سنّها وسذاجتها ونرجسية والدهما وجشعه. فقد أراد والدها أن تتزوج ابنته رجلاً من آل وايلكس، بأي ثمن، لكي يتباهى بنفسه. وخافت غرايسي أن تخسر هاري، فيما خافت فيكتوريا أن تخسر أختها نفسها، وهذا أسوأ.

المشكلة الثانية كانت اتصالاً تلقته من غرايسي بعد أسبوع. فبصفتها وصيفة الشرف، أرادت أن تصمم لها فيكتوريا *عطلة نهاية أسبوع وداع العزوبية* في لاس فيغاس، مع المرافقات العشر الأخريات، بمن فيهن فيكتوريا، الأمر الذي بدا شائناً بالنسبة إليها. وعندما استفسرت فيكتوريا عن علاقة أختها مع هاري، قالت غرايسي إن كل شيء رائع وبدّلت الموضوع. إنها مهددة بالصمت الذي أراده، حتى مع أختها. إذا كانت غرايسي قلقة، فلن تعترف بذلك. كل ما أرادته هو أن تنظم لها فيكتوريا عطلة نهاية أسبوع. لم ترغب فعلياً في تنظيم تلك العطلة أو في الذهاب فيها، ولم تكن تريد تسهيل زواجها من مخادع، لكنها لم تملك الشجاعة لرفض طلب أختها أيضاً.

"ألم يعد الناس يخرجون لتناول العشاء لوداع العزوبية؟ من يملك الوقت للتحضير لعطلة نهاية أسبوع". فقط الأشخاص الذين يملكون الكثير من المال ولا يعملون، وليست هذه حالها.

www.mlazna.com-RAYAHEEN

قالت غرايسي: "لا. الناس يستمتعون في عطلات نهاية أسبوع الآن. أقام هاري حفلته في سان بارتس في الأسبوع الماضي. ذهبوا لمدّة خمسة أيام". ولم تشأ فيكتوريا تخيل ما حصل هناك.

تنهدت بصوت عالٍ وهي غير راضية عن المشروع، ثم قالت: "أرسلي لي لائحة بما تريدينه، وسأرى ما يمكنني فعله. ألا يوجد شخص آخر يمكنه فعل ذلك؟ أنا أعمل غرايسي، وأعاني من الفارق في التوقيت. كلكن في الساحل الغربي، ولا تعمل أي منكن". كل مرافقاتها فتيات غنيات مدللات ومدعومات من أهلهن، أو لا يزلن في المدرسة.

قالت بعناد: "أنت مرافقة الشرف، وأنت من يجدر بها فعل ذلك؟". وشعرت فيكتوريا بالذنب. العلاقة بين الأختين متوترة إلى أقصى الحدود هذه الأيام بسبب الزفاف.

سألت فيكتوريا، وهي تبدو محبطة: "متى تريدين الذهاب؟".

قالت غرايسي بسعادة وهي غير مبالية بانزعاج أختها: "في شهر مايو".

"حسناً. سأهتم بالأمر. أحبك". قالت فيكتوريا بحزن وأقفلت الخط. وكانت غرايسي قد وعدتها بإرسال كل الأسماء والتفاصيل. وقالت إن والدها سيدفع تكاليف ذلك أيضاً. إنه يبدد الكثير من المال من أجل هذا الزواج، وما كان ليفعل أي شيء منه لفيكتوريا. لقد قال لها ذلك مباشرة، وطلب منها الذهاب من دون زواج إذا عثرت على زوج.

لحسن الحظ، وبالرغم من كل توترات الزواج، سارت الأمور على ما يرام مع كولن، لكن فيكتوريا لم تعتبر الأمر جيداً عندما تلقت اتصالاً من أمها تقول فيه إن والدها سيقابل زبوناً في نيويورك وإنهما سيأتيان لمدة يومين. هذا كل ما تحتاج إليه فيكتوريا، فقد عرفا بشأن كولن، وسيرغبان حتماً في لقائه. وقد التقت هي والديه. كرهت الأشياء التي عرفت أن والدها سيقولها عنها. أخبرت كولن بذلك في تلك الليلة.

"هل تتناول العشاء معهما برفقتي؟". سألته بنظرة كئيبة، فابتسم وقبّلها.

"طبعاً".

"وبما أننا نتحدث عن الموضوع، أريد أن أسألك شيئاً ما".

مازحها: "الجواب هو نعم. ما هو السؤال؟". عرف كم هي منزعجة وقلقة هذه الأيام، وشعر بالأسف عليها. إنها قلقة على أختها، بسبب كل ما سمعه.

سألته: "هلاّ رافقتني إلى زفاف أختي". فابتسم لها.

"ظننت أنك لن تطلبي مني ذلك أبداً".

"ستبدو كل الأخريات رائعات في فستان المرافقة، وأنا سأبدو حقيرة فيه. لن تكون فخوراً بي". قالت والدموع تتلألأ في عينيها.

"سأكون فخوراً بك، وبوجودي معك. ولا يمكن أن تبدي حقيرة أبداً. بالمناسبة، متى سيأتي والداك؟".

"خلال يومين". جعلت الأمر يبدو وكأنه نهاية العالم، وهو كذلك بالنسبة إليها. سيسخر منها والدها أمام الرجل الذي تحبّه، وسيثبت لها كم هي غير محبوبة. وماذا لو صدقه كولن؟ لم يخطر لها أن ذلك سيجعل والدها يبدو سيئاً وليس هي، إذ يعرف كولن تماماً كم هي رائعة.

أجرت الاتصالات بلاس فيغاس في اليوم التالي، بالرغم من أن الطبيبة واتسون ذكّرتها بقدرتها على الرفض إذا أرادت ذلك. لكنها لا تريد تخييب أمل غرايسي، فهي لم تفعل ذلك قطّ.

وصل والداها إلى نيويورك في اليوم التالي، ونزلا في فندق كارليل، ووجها الدعوة لها ولكولن إلى مشرب بيميلمانس لتناول الشراب. اتضح أن والديها قد تناولا العشاء مع زبون والدها ولا يملكان الوقت لتناول العشاء معهما، وهذه نعمة. المشروبات ستكون كافية. عرفت أن والدها يستطيع تدميرها خلال خمس دقائق فهو لا يحتاج إلى سهرة كاملة لفعل ذلك.

لاحظت فوراً كم تأثر والدها بكولن، وكم بدا متفاجئاً، كما لو أنه لم يصدق أن كولن يمكن أن يكون مع إنسانة مثلها. لم تصدق فيكتوريا ذلك أيضاً، لكنه أراد أن يكون معها وأثبت ذلك بشكل جليّ خلال الأشهر الأربعة الماضية.

تصرف الجميع بأفضل ما يمكن، وكانوا يتحدثون منذ نصف ساعة عندما قال والدها إنه يأمل أن تنتبه إلى ما تأكله لتستطيع ارتداء فستان المرافقة الذي اختارته لها أختها. تجمدت فيكتوريا عندما قال ذلك.

فقالت بهدوء: "لقد خسرت بعض الوزن بابا، ونحن نذهب إلى النادي كل يوم".

قال وهو يبتسم ابتسامة عريضة لكولن الذي بدا متيقظاً في انتظار ما سيأتي لاحقاً: "أنا واثق بأنك قد أثرت فيها. لكن، انتبه من البوظة". وضحك الضحكة التي تكرهها. لم يلاحظ هو أو أمها الوزن الذي خسرته، ولا أنفها الجديد الذي لم يعرف كولن بشأنه أيضاً. فهي لم تخبره قطّ لأنها تظن أنه من غير الضروري أن يعرف. استدار نحو كولن حينها، وأخبره كم أن هاري رجل رائع، وكم أنهما مسروران بهذا الزواج.

تحدثت فيكتوريا بصوت واضح حينها: "لا، ليس رجلاً رائعاً بابا. لقد خدعها، وأنت تعرف ذلك". بدا والدها مذهولاً لدقيقة، لافتضاح أمره، ونظر إلى فيكتوريا مباشرة.

قال بتلعثم: "مجرد بعض النزوات غير المؤذية. كل الشباب يفعلون مثل هذه الأشياء قبل الزواج. هذا يزيل الضغط". وغمز كولن كما لو أنه سيوافقه الرأي. لكن كولن لم يبادله بالمثل.

قالت فيكتوريا وهي تبدو منزعجة: "كيف يمكنك أن تسمح لها بالزواج من رجل يخونها أصلاً قبل الزواج؟". فيما زعمت أمها عدم سماعها، وارتشفت مشروبها، وحدقت بعيداً.

أصرّ والدها وهو لا يزال يبتسم: "إنها مجرد مشاجرة بين حبيبين وسوء تفاهم. أنا واثق من ذلك". أرادت فيكتوريا ضربه لكنها لم تفعل.

عرفت أنه لا جدوى من النقاش معه. فهو لن يوافقها الرأي، ويدعم الزواج تماماً، مهما فعل هاري. وبدا كولن غير متأثر بالمشهد. بدا لطيفاً وقوياً، وعكس تصرفه الإجمالي أنه في الواقع حليف فيكتوريا وليس حليف أحد آخر. فهم والدها الرسالة، وأدرك أنها تملك حليفاً الآن، وأن أي شخص يهاجمها أو يقلل من شأنها سيواجه كولن أيضاً. برزت الرسالة بوضوح، حتى من دون كلمات. غادر والداها بعد فترة وجيزة، وقالا لكولن إنهما فرحا بلقائه.

"لم يكونا سيئين مثل المعتاد". قالت فيكتوريا فيما غادرا فندق كارليل وتوجها مشياً نحو ضاحيتها. كانت أمسية منعشة، وكانا يمسكان يدي بعضهما. توترت من مجرد رؤية والديها، ومن كل شيء آخر يحصل هذه الأيام ولا تستطيع السيطرة عليه.

قال كولن بهدوء: "لم يخدعاني. سمعته يتحدث عن الفستان والبوظة، ولم يكترث مطلقاً إذا كان هاري يخدع أختك. يريدها أن تتزوّج رجلاً غنياً. يظن أن هذا يجعله يبدو جيداً. تماماً مثلما ظن والداي أن إنجازات أخي جعلتهما يبدوان جيدين، بحيث يستطيعان التبجح بذلك، ولم تكن إنجازاتي جيدة كفاية مطلقاً. أعرف تماماً كيف هم هؤلاء الأشخاص". ونظر إلى فيكتوريا بتعاطف. فهم ما واجهته كل حياتها، وعبء ذلك عليها. بدت حزينة ومنزعجة من نفسها فيما كان يتنزهان. وبدت متوترة ومنطوية على نفسها عندما قبّلها في طريق العودة إلى المنزل. بدا وكأنها تنفر منه أيضاً. لاحظ ذلك في عينيها، فتوقف عن المشي، ونظر إليها.

قال لها: "لست أنا العدو وإنما هما. فهما من يقولان لك إنك إن لم تكوني جيدة كفاية فلن يحبك أحد. تعالي إلى هنا". وشدها بين ذراعيه ونظر إلى عينيها الزرقاوين الكبيرتين المماثلتين للون عينيه وقال لها: "أنا أحبك. أنت رائعة. إنهما مغفلان. وأنا أحب كل شيء فيك، مثلما أنت. هذه هي رسالتي لك. ليست رسالتهما. إنها رسالتي. أنت المرأة الأكثر روعة التي عرفتها في حياتي". وفيما قال ذلك، قبّلها، وانهمرت دموع الارتياح

www.mlazna.com-RAYAHEEN

على وجنتيها، وبكت بقوة بين ذراعيه. لقد أخبرها للتو بكل مـا انتظـرت سماعه طوال حياتها، ولم تسمعه قبلاً.

www.mlazna.com
^RAYAHEEN^

الفصل 25

عندما ذهبت فيكتوريا إلى المدرسة في اليوم التالي، كانـت هنـاك مجموعة كبيرة من البالونات الزرقاء في الردهة أحضرها أحد التلاميـذ، وثمة لافتة كبيرة على لوح الإعلانات. لقد أنجبت أيمي غرين طفلها، وهو صبي صغير. وزنه ستة باوندات وثماني أونصات، وطوله تسـعة عشـر إنشاً، واسمه ستيفن ويليامز. فرحت فيكتوريا من أجلها، وأملت أن تكـون الأمور قد سارت معها على ما يرام. إنها واثقة من أنها ستعرف كل شيء من الفتيات؛ فالمدرسة تضج بالخبر طوال اليوم.

سمعت فيكتوريا لاحقاً في أحد صفوفها أن جاستن كان فـي غرفـة الولادة مع آيمي وأمها. لم يعرفا جنس الطفل مسبقاً، وكان الأمر مفاجئـاً بالنسبة إليهم، والأم والطفل بصحة جيدة وسيعودان إلى المنزل بعد يـوم. أملت أن تعود آيمي إلى المدرسة بعد أسبوعين، أو ثلاثـة أسـابيع علـى الأكثر. جعلت المدرسة الأمر ينجح معها. وتنوي فيكتوريا زيارتها عنـدما تصبح آيمي قادرة على استقبالها. الفتيات اللواتي تحدثن إليها قلـن إنهـا بصحة جيدة، وإن الولادة لم تكن سيئة جداً فارتاحـت فيكتوريـا. إنهمـا صغيران، لكنهما على الأقل في الصّف الثانويّ الثالث، وليسا في الصّـف الثانويّ الأول. إنها ضربة قوية، لكنهمـا يملكـان الفرصـة لإنجاحهـا، خصوصاً بمساعدة والدة آيمي ودعمها.

خلال إحدى استراحاتها، أجرت فيكتوريا المزيد مـن الاتصـالات للتحضير لرحلة فيغاس، واتصلت بأختها في عطلة نهاية الأسبوع لإخبارها عن ذلك. بدت غرايسي أكثر هدوءاً مما كانت عليه عند اكتشـافها خيانـة

هاري لها. وتم نسيان الموضوع تماماً، بناء على رغبة هاري. فلقد تعاون معه الجميع في ذلك، ولا سيّما العروس ووالديها، الأمر الذي لم تعتبره فيكتوريا ملائماً على الإطلاق. لكنها كانت تحاول إبعاد نفسها عن الموضوع. ذهبت هي وكولن إلى النادي الرياضي كل صباح، ليس لأنه قلق بسبب وزنها، وإنما لأن هذا يساعدها على التخلص من التوتر مثلما قال، وبدا ذلك صحيحاً؛ فقد تضاءل قلقها. وأعطت غرايسي كل تفاصيل حفلة وداع العزوبية التي خططت لها والمقرّرة في عطلة نهاية أسبوع في لاس فيغاس، والتي لا تزال تعتبرها فكرة سيئة، أو فكرة لا تستمتع بها على كل حال. إنها تفضل عطلة نهاية أسبوع هادئة في سانتا باربارة مع غرايسي وصديقاتها، أو في بيلتمور أو في مزرعة سان إيسيدرو. لكنهن صغيرات ويردن اللعب.

حجزت غرفاً لهن جميعاً في فندق بيلاجيو، بمعدل فتاتين في الغرفة، وتوجب على كل الفتيات إعطاء غرايسي أرقام بطاقات الاعتماد. وحجزت فيكتوريا للعشاء أيضاً، واشترت التذاكر لسيرك الشمس. ستسافر من نيويورك، فيما ستسافر الأخريات من لوس أنجلوس للوصول ليلة الجمعة والمغادرة صباح الأحد بعد الخروج من الفندق. أنجزت وظيفتها كمرافقة شرف، وفرحت أختها بالمشروع، واعتذرت عن فرض الضغط عليها.

قالت فيكتوريا: "لا بأس. إنها فرحتك الكبرى". وحاولت أن تتحلى بروح رياضية حيال ذلك، وهذه حالها دوماً. وهذه المرة كان الأمر مضاعفاً لأنها لا تستلطف هاري أبداً، ولأنها قلقة جداً على أختها. شعرت وكأنهم يأخذونها لينفّذوا فيها حكم الإعدام، لكن هذا ما أرادته غرايسي. والدكتورة واتسون محقة. إنها حياة غرايسي.

قالت غرايسي، وهي تبدو على طبيعتها أكثر: "سأفعل ذلك معك يوماً ما". عرفت فيكتوريا أنها تتعرض للكثير من الضغط، ليس فقط بسبب الزفاف، وإنما أيضاً بسبب هاري الذي يدير كل شيء وبشكل يومي. تم تبديل عدد من الأمور لتلائمه. سيأخذها إلى جنوب فرنسا في شهر العسل.

أولاً إلى فندق الكاب في الكاب دانتيب، ومن ثم إلى سان تروبيز، حيث أراد لقاء أصدقائه في شهر عسله مع غرايسي.

ضحكت فيكتوريا، وقد استرخت قليلاً: "أتمنى ألا تفعلي ذلك في فيغاس".

"كيف حال كولن؟". كانت غرايسي تواقة للقائه، ولم تصدق أنها لم ترَ أختها منذ مناسبة الشكر. إنها أطول فترة تمضي على عدم رؤيتهما بعضهما، وقد تغيرت الكثير من الأمور معهما.

"رائع".

"أحبه والدي". قالت غرايسي ذلك، وتفاجأت فيكتوريا لأن كولن جلس هناك مثل الحارس لحمايتها وأرسل رسالة ضمنية كبيرة لوالدها. ربما لم يفهمها هذا الأخير أو زعم ذلك. "تفاجأ لأنّه معك. قال إنه يبدو رجلاً ناجحاً، ورأى أنه يفترض به التواجد مع محامية أخرى وليس مع معلمة مدرسة. لكنه استلطفه". التحطيم واضح. ليست جيدة كفاية لكولن. تأتي الرسائل الآن من غرايسي. ليست فقط كلبة هاري، وإنما أيضاً كلبة أمها وأبيها.

"إنه يحبني". قالت فيكتوريا بهدوء. وشعرت بأمان تام في حبه الآن، وكان شعوراً رائعاً.

"تقول أمي إنه وسيم جداً".

"نعم، هذا صحيح. أنا واثقة أن هذا فاجأ والدي أيضاً. فقد كان يتوقع أن أواعد شخصاً يعتبره فاشلاً مثلي".

"ليس بهذا السوء. لا تكوني قاسية عليه". دافعت غرايسي عن والدها، ولم تكن فيكتوريا تريد الدخول في مناقشة معها؛ فهي تعرف أن هذا عديم الجدوى. إنه يقيم لغرايسي زفافاً كبيراً ويفعل لها كل ما تريده، وهي تعرف كيف تستفيد منه ومن زوجها المستقبلي. وهو الأب الذي كان دوماً لطيفاً معها وعشقها. وإذا قبلت أن تكون المرأة المطيعة لرغبات هاري، فإنها تقبل أيضاً بأن تكون المرأة المطيعة لرغبات والدها. إنها

تتشارك ذلك مع أمها الآن، فيما فيكتوريا في الطرف المقابل من الطيف. إنها محاربة الحرية التي تحمل راية الحقيقة التي لا يريد أحد سماعها. وأصبح كولن حليفها الآن، وليس غرايسي. لقد ولّت تلك الأيام، ولن تعود أبداً مجدداً إذا تزوجت هاري، وهذا ما سيحصل على ما يبدو. اشتاقت فيكتوريا إلى العلاقة التي تشاركتها مع أختها في السابق ولم تعد موجودة الآن، وشعرت بالامتنان لوجود كولن.

أنهت مع غرايسي كل التفاصيل المتعلقة برحلة فيغاس، ثم أمضت عطلة نهاية أسبوع هادئة مع كولن. ستذهب إلى لاس فيغاس في عطلة نهاية الأسبوع القادم، غير أنها لم تكن متحمسة لذلك. فليس هذا هو رأيها في الرحلة الممتعة.

ذهبت لزيارة آيمي غرين وطفلها قبل أن تغادر. كان الطفل رائعاً وصغيراً جداً، وبدت آيمي سعيدة. كانت ترضعه، وستشفط الحليب عند عودتها إلى المدرسة. ثمة أسابيع قليلة قبل العطلة الصيفية. كان جاستن موجوداً هناك أيضاً، وبدا مثل والد فخور عندما حمل الطفل فيما تحدثت آيمي إلى فيكتوريا. أحضرت فيكتوريا كنزة زرقاء صغيرة مع حذاء صغير هدية للمولود، فوضعتهما آيمي عليه وبدا مثل دمية صغيرة. من الغريب رؤية هذين الشابين وقد أصبحا والدين الآن. طفلان ينجبان طفلاً، لكنهما ناضجان ومسؤولان مع ابنهما، فيما تواجدت أمها دوماً بالقرب منهما. إنه وضع مثالي بالنسبة إلى آيمي وجاستن، وأعطى أمها حياة جديدة بعد الطلاق. بدا الأمر نعمة بالنسبة إلى الجميع.

في اليوم التالي، سافرت فيكتوريا إلى لاس فيغاس بعد المدرسة، ووعدت بالاتصال بكولن، وعرف كم هي خائفة من الرحلة. فهي واثقة بأن صديقات غرايسي سيشربن كثيراً، ويلعبن، ويصبن بالجنون، ويخترن الشباب، لأنهن كلهن غير متزوجات. وشعرت بأنها المعلمة في إحدى الرحلات المدرسية. إنهن مجموعة من الفتيات اللواتي يبلغن من العمر اثنين وعشرين عاماً وثلاثة وعشرين عاماً يتحضرن للجنون.

وشعرت وكأنها المرأة العانس في المجموعة، التي توشك على بلوغ الثلاثين.

الشيء الوحيد الجميل في الرحلة هو أن فيكتوريا سترى أختها، ورمت غرايسي نفسها بين ذراعيها عندما وصلت، وتحققت من أنف فيكتوريا الجديد، وقالت إنها قد أحبته.

بدأت الفتيات بالشرب قبل أن تصل إلى هناك، فيما لعبت بعض الفتيات وربحن القليل من المال. خرجن جميعاً لتناول العشاء، وتجولن بعد ذلك في الكازينو الذي كان عالماً غريباً مضاء بأنوار اصطناعية، ومليئاً بالأنوار الساطعة، والأشخاص المتحمسين، والمال المتنقل بين الأيدي، والفتيات اللواتي يرتدين ملابس مثيرة ويوزعن المشروبات المجانية. انسكبت بعض المشروبات على الفتيات، لكنهن أحببن الجو واكتشفن أن هناك أماكن جيدة للتسوق في كل الفنادق، خصوصاً في فندقهن، وهناك الكثير من الرجال العُزّاب المتجولين في الكازينو والفندق.

شعرت فيكتوريا بأنها مجبرة على البقاء معهن طوال السهرة، وكانت مرهقة وضجرة. إنهن سخيفات جداً وشربن كثيراً، وتوددن إلى الرجال، باستثناء غرايسي التي أحسنت التصرف. اتصل بها هاري طوال الليل للتحقق منها. كانت الساعة الثانية من بعد منتصف الليل عندما دخلت فيكتوريا غرفتها أخيراً. إنها الوحيدة التي لا تملك رفيقة في الغرفة، ولا تريد ذلك. إذ كانت غرايسي تنام في الغرفة نفسها مع أفضل صديقة لها. ولم تستطع فيكتوريا الاتصال بكولن عندما وصلت إلى غرفتها أخيراً لأن الوقت متأخر جداً في نيويورك، بالرغم من أنها راسلته مرات عدة وأجابها برسائل تشجيعية. إنها عطلة نهاية أسبوع ماراثونية، لكنها شعرت بأنّ هذا واجبها كمرافقة شرف، وأحبت غرايسي كل دقيقة من ذلك. كانت تبدو مثل طفلة صغيرة في ديزني لاند أكثر من كونها عروساً.

كان اليوم التالي مليئاً بالتسوق، وتناول الغداء، والتدليكات، والعناية بالأظفار، والعناية بالقدمين، والسباحة في الحوض، وتناول العشاء في لو

سيرك، وحضور سيرك الشمس الذي كان عرضاً مذهلاً، وأخيراً بتمضية الوقت في الكازينو حتى الثالثة من بعد منتصف الليل. تسهل عدم معرفة الوقت هنا، بسبب عدم وجود ساعات وبسبب توقف الزمن على ما يبدو، وهذا ما تريده الكازينوهات. وبقيت بعض الفتيات مستيقظات طوال الليل، وشربن حتى بدت حالهن لا تسر عدواً أو صديقاً؛ لكن غرايسي لم تفعل ذلك. وانسحبت فيكتوريا عند الساعة الثالثة من بعد منتصف الليل، وذهبت إلى غرفتها لتنام.

التقين جميعاً لتناول الغداء في اليوم التالي، ثم تركت فيكتوريا المجموعة للعودة إلى نيويورك. إذ إنّ الفتيات الأخريات سيغادرن في وقت لاحق، وقبّلت غرايسي قبل أن تغادر. عانت بعض صديقاتها من تأثير الشراب، لكن كل الفتيات قلن إنهن استمتعن.

شكرتها غرايسي بالقول: "لقد أنجزت عملاً رائعاً. أظن أنني لن أراك قبل الزفاف. أشتاق إليك فعلاً".

طمأنتها فيكتوريا: "سأصل قبل بضعة أيام لمساعدتك". ثم تعانقتا مجدداً، وغادرت فيكتوريا، وهي تشعر بالامتنان لأنها عائدة إلى نيويورك. كانت عطلة نهاية أسبوع طويلة جداً. لم تكن مريعة، ولم تحصل هفوات، لكنها لم تستمتع بها أيضاً. الذهاب إلى لاس فيغاس ليس مفهومها عن تمضية الوقت الجيد. وأخبرها كولن مرات عدة أنّه مسرور لعدم وجوده هناك. تحدثت إليه عبر الهاتف، فيما انتظرت في المطار موعد رحلتها، وتواعدا على اللقاء في شقته. إنها بحاجة إليها، فلديها مشروع كبير في المدرسة في اليوم التالي. إنها المسرحية المدرسية السنوية، وسيؤدون مسرحية "أني". الإنتاج ضخم، ووعدت بالمساعدة وراء الكواليس في ترتيب الديكور والأزياء، مثلما فعلت في الثانوية. لم تحضر التدريبات بالملابس الحقيقية في عطلة نهاية الأسبوع. لكنها واثقة بأنّ أحداً ما سيخبرها بما حصل. وحسبما رأت لغاية الآن، ستكون المسرحية رائعة. وأنجزوا تدريباً أخيراً بالملابس صباح يوم الاثنين. الافتتاح الكبير للأهل والضيوف

سيكون ليلة الاثنين. وأحد تلاميذها هو نجم العرض، وهو صاحب صوت يستحق برودواي. قال كولن إنه سيحاول المجيء.

لم تفرح يوماً برؤية شخص مثلما فرحت برؤيته في تلك الليلة. وذابت ارتياحاً بين ذراعيه. فقد كانت قلقة، وشعرت وكأنها كانت في مهمة طوال عطلة نهاية الأسبوع، محاولة تسيير الأمور بشكل جيد من أجل أختها، ولم تكن بعض الفتيات سهلات الإرضاء. فهنّ نساء شابات مدللات، ومعتادات على التصرف حسب أهوائهن. لكن، بالرغم من كل شيء، سارت الأمور على ما يرام. وخلد كولن معها إلى السرير بعدما استحما معاً. وبعد خمس دقائق نامت فيكتوريا، فغطاها وهو يبتسم ابتسامة رقيقة. لقد اشتاق إليها.

غادرا باكراً في صباح اليوم التالي. فلديها بعض الأمور الواجب إنجازها في مكتبها قبل أن تذهب إلى المسرح للمساعدة على التحضير للمسرحية. وبقيت هناك حتى الظهر فيما جرى التحضير، وتشغيل كل المقاطع الموسيقية. وكانت فيكتوريا تراجع المشاهد مع تلاميذها عندما تراجعت إلى الخلف، محاولة إفساح المجال أمام قطعة ديكور ضخمة يتم تمريرها، وعدم الارتطام بها. وقبل أن تتمكن من منع نفسها، وقعت عن المسرح واستلقت مسطحة على ظهرها. شهق الجميع في الوقت نفسه عندما رأوا ذلك يحصل، وفقدت وعيها لمدة دقيقة، ثم استعادت وعيها، وطمأنت الجميع بأنها بخير. لكنها لم تبدُ هكذا، إذ كانت شاحبة جداً. وعندما حاولت الوقوف، لم تستطع. وشعرت بألم كبير في ساقها، في زاوية غريبة من جسمها. أصرّت على أنها بخير، لكن هيلين ذهبت لإحضار السيد والكر وممرضة المدرسة، واتصلوا بالإسعاف. شعرت فيكتوريا بإحراج كبير عندما دخل رجال الإسعاف ووضعوها على حمالة. حاولت النهوض ولم تستطع، فقد أصيبت بضربة قوية على رأسها عندما وقعت. وفي سيارة الإسعاف، أخبروها أن ساقها قد تكون مكسورة، فقالت لهم إن هذا مستحيل لأنها لم تسقط بقوة، لكن هيلين التي رافقتها في سيارة

www.mlazna.com-RAYAHEEN

الإسعاف قالت إنها سقطت بقوة، وإنها سمعت رأسها يرتطم أيضاً. لذا أرادوا إجراء بعض الصور لرأسها.

"هذا غباء". قالت وهي تحاول أن تتحلى بالشجاعة، لكنها شعرت بالغثيان وكان ضغط دمها منخفضاً. اتصلت بكولن وأخبرته بما حصل، ووعدها بموافاتها إلى المستشفى فوراً. فقالت له إن هذا ليس ضرورياً.

"أعرف أنك تظنين أنك تستحقين ذلك أيتها الحمقاء. لكنني أحبك وسآتي. سأجدك عندما أصل إلى هناك". بدأت تبكي عندما قال ذلك. كانت خائفة، وارتاحت لأنه آتٍ، لكنها ما كانت لتطلب منه ذلك مطلقاً.

وجدها في غرفة الطوارئ عندما وصل. لقد رأوا في صورة الأشعة السينية أن ساقها مكسورة، بالرغم من أن الكسر بسيط ولا يحتاج إلى جراحة، وإنما يحتاج إلى جبيرة، مما بعث الارتياح في نفسها. وعانت من ارتجاج خفيف في الدماغ، وكل ما تحتاج إليه هو الراحة.

قال كولن بحزن: "حسناً، لقد عملت كثيراً في الصباح، أليس كذلك؟". كان قلقاً عليها، وإنما مرتاحاً لأن الأمور ليست أسوأ. ولم تقل ذلك، لكنها فرحت لأنها لم تؤذِ أنفها الجديد. وبعدما وضعوا الجبيرة على ساقها، أخذها كولن إلى المنزل، وجعلها ترتاح على وسادات فوق الأريكة. وأحضر لها حساء الفطر مع شطيرة طون. استعملت العكازين وقالوا لها إنهم سينزعون الجبيرة بعد أربعة أسابيع، أي قبل عشرة أيام تقريباً من زفاف غرايسي.

توجب على كولن العودة إلى وسط المدينة لحضور اجتماع في مكتبه لم يستطع إلغاءه، لكنه وعدها بالعودة بأسرع ما يمكن. شكرته، وقبّلها، وخرج مسرعاً من الباب، ثم اتصلت بهارلان في العمل وأخبرته بما حصل.

مازحها قائلاً: "أيتها البهلوانة". وضحكت، لكنها تألمت. قالوا لها إن الألم سيستمر بضعة أيام. اتصلت بغرايسي أيضاً، وأرسلت إليها هي وهاري الأزهار، وأحضر لها هارلان كدسة من المجلات عندما عاد إلى المنزل. بعد ساعة، وصل كولن وهو يحمل معه دجاجة مطهوة وخضاراً مشوية من مطعم سيتاريلا، وقبّل مريضته.

"عذراً. عدت بأسرع ما يمكنني. كنا نحاول تسوية القضية". شعرت بأنها ملكة محاطة بالحاشية؛ إذ دللها الجميع، وبقي معها كولن تلك الليلة. تألمت كثيراً، وأعطاها مسكنات الألم وفرك لها ظهرها في السرير.

شكرته قائلة: "أنت ممرض جيد. عذراً، هذا سخيف جداً".

"نعم، تصورت أنك فعلت ذلك عمداً". ابتسم لها. أسفت لأنها فوتت المسرحية، لكنها كانت متألمة جداً ممّا حال دون ذهابها، وشعرت بخيبة أمل كبيرة، وانزعجت لأنها مجبرة على استعمال العكازين. على الأقل، يفترض أن تزال الجبيرة قبل الزفاف إذا شفي الكسر جيداً. إنه صداع لم تكن بحاجة إليه. اتصلت بها أمها في تلك الليلة أيضاً، وتركت رسالة على بريدها الصوتي قائلة إنها آسفة بشأن ساقها.

ذهبت فيكتوريا إلى المدرسة في اليوم التالي، وساعدها كل التلاميذ على التحرك. جاءت هيلين وكارلا لرؤيتها في صفها، ومرّ إريك والكر ليلقي عليها التحية. فرح الجميع بعودتها، وقالوا إن مسرحية *آني* كانت رائعة. وفي نهاية اليوم، كانت متعبة فعلاً، واستقلّت سيارة أجرة للعودة إلى المنزل. أدركت في طريق عودتها إلى الشقة أنها لن تتمكن من ممارسة التمارين الرياضية خلال الشهر المقبل، وخافت من استعادة الوزن مجدداً. قالت ذلك لهارلان عندما عادت إلى المنزل. وأدركت أنها لن تستطيع أن تقي بقسمها لنفسها بأن تخسر خمسة وعشرين باوندا بحلول شهر يونيو، وأن تعيش حياتها، وتجد رجلاً تهتم به. أصبحت لديها حياة الآن، مع كولن، ولم تكن يوماً أكثر سعادة. لقد خسرت ثمانية عشر باوندا وتبدو رائعة. لكنها أرادت خسارة سبعة باوندات إضافية قبل الزفاف وسيكون الأمر صعباً الآن، بالتنقل على العكازين، وعدم القدرة على ممارسة التمارين الرياضية، والاستلقاء على الأريكة.

حذرها هارلان: "عليك الآن الانتباه إلى عدم تناول الطعام بجنون. امتنعي عن تناول البوظة والبسكويت والبيتزا والسكاكر والجبن القشدي. خصوصاً لأنك غير قادرة على التحرك جيداً".

قالت: "لن أفعل، أعدك". وبالرغم من أنها شعرت برغبة ملحة في تناول البوظة تلك الليلة عندما آلمتها ساقها إلا أنها لم تطلب البوظة، ولم تقترب من الثلاجة. تناولت حصتين من المعكرونة للعشاء، وكان طعمها رائعاً. وأقسمت على عدم فعل ذلك مجدداً. لن تتناول أطعمة دسمة خلال الشهر المقبل، وإلا فستبدو مثل المنطاد في حفل الزفاف، وستثبت أن والدها محق، وبأنه ميؤوس منها.

أخبرت كولن بمخاوفها، وقال لها إنه مهما ازداد وزنها في أثناء استعمال العكازين، فستستطيع خسارته مجدداً عندما تعود إلى ممارسة التمارين. وماذا سيحصل إذا لم تفعل؟

"لا حاجة إلى القلق بشأن ذلك. أنت امرأة جميلة، ومقاس الفستان ليس أمراً مهماً، بطريقة أو بأخرى".

قالت بحزن: "إنه مهم بالنسبة إليّ. ولا أريد أن أبدو مثل البقرة البنية في ذلك الفستان".

قال بحذر: "يبدو أنك لا تحبين ذلك الفستان مهما كان مقاسك. لا أتخيلك مرتدية ثوباً بني اللون". بالرغم من أنه ليس خبيراً في موضة النساء.

"ستراني قريباً". قالت بحزن وهي قلقة بشأن وزنها. أرادت تصور نفسها نحيلة. اشترت فستاناً من الشيفون باللون الأزرق الشاحب لعشاء ما قبل الزفاف، مع "بوليرو" فضي وصندل فضي عالي الكعب. كانت طلتها جميلة وبدت ممشوقة، وفرحت لذلك، لكن فستانها ليوم الزفاف لا يزال يزعجها. إنه غير ملائم لها البتة.

قال كولن بابتسامة ودودة: "يمكننا إجراء حفلة لحرق الفستان بعد الزفاف. أنا أحبك في فستان من الخيش، ولذلك لا تقلقي". ابتسمت له، وقبّلا بعضهما. بقيا في شقتها لبضعة أيام إلى أن شعرت بالتحسن، ثم ذهبا إلى شقته، لأن هذا أسهل بالنسبة إليه، وأقرب إلى مكتبه.

تطرق معها إلى موضوع مهم بعد ظهر يوم أحد في منزله؛ أي بعد أسبوعين من كسر ساقها. "ما رأيك في أن ننتقل للعيش معاً في منزل واحد

في أحد الأيام؟ يمكننا البحث عنه هذا الصيف". حتى الآن، كانا لا يزالان يتنقلان بين شقتيهما. إنهما يتواعدان منذ خمسة أشهر، وأصبحت علاقتهما متينة جداً بحيث شعرا بأنهما مستعدان للقيام بهذه الخطوة، ورؤية ما سيحصل لاحقاً. "ما رأيك في ذلك؟". حتى الآن، عندما كان يستعد لمحاكمة ويعمل حتى وقت متأخر، كان يبقى في منزله. أما بقية الوقت خلال الأسبوع فكان يمضيه معها، فيما تذهب هي إلى منزله في عطلات نهاية الأسبوع.

قالت بهدوء: "يبدو هذا جيداً". وانحنت وقبّلته. كان قد وقّع على جبيرتها ست مرات، وهارلان مرتين، وأضاف جون اسمه بالأحمر. وقام كل ولد في المدرسة بتوقيع اسمه عليها مرة واحدة على الأقل. قالت هيلين إنها الجبيرة الأكثر زخرفة في نيويورك، وبدت مثل معرض فني، أو مثال على الغرافيتي. "أحببت هذه الفكرة كثيراً". قالت فيكتوريا بشأن فكرة العيش معه.

"وأنا أيضاً. هل سيغضب جون وهارلان؟". سألها بقلق.

"لا. أعتقد أنهما بخير الآن، ويستطيعان تحمل نفقات الشقة من دوني. قد يحبان الحصول على مساحة إضافيّة". أومأ برأسه. أراد كولن أن يبدأ البحث في أواخر شهر يونيو وبداية شهر يوليو.

أخبرا هارلان وجون بذلك بعد بضعة أيام عندما عادا إلى الشقة. فقال هارلان إنه لم يتفاجأ، إذ كان يتوقع شيئاً كهذا، أو إعلاناً لخطوبتهما. قال ذلك وهو ينظر إلى كولن باحتيال، فاكتفى هذا الأخير بالضحك وابتسم لفيكتوريا. لم يتحدثا بعد عن هذا الموضوع، بالرغم من أنه خطر في باله. وقالت أخته الشيء نفسه، وأرادت لقاء فيكتوريا هذا الصيف. هناك وقت، ولا حاجة أبداً إلى أن يستعجل أي منهما. إنهما يستمتعان بما لديهما. لقد انتظرا ذلك وقتاً طويلاً، وهما يستمتعان الآن بكل لحظة. وتعرّفت أخته إلى أحدهم أيضاً. لم يتعرف إليه كولن بعد، لكنه بدا مثالياً لها. إنه طبيب أرمل لديه ولدان صغيران، وقالت أخته إنهما ظريفان جداً، ويبلغان من العمر

خمسة أعوام وسبعة أعوام على التوالي. للحياة طريقتها أحياناً. يبدو أن المثل القائل إن كلّ قدر لديها غطاؤها صحيح فعلاً، إذا انتظر المرء كفاية وكان صبوراً. أصبحت فيكتوريا الآن واثقة من ذلك بشدة. اتفقا على بدء البحث عن شقة معاً مباشرة بعد زفاف أختها، عندما تتخلى عن الجبيرة والعكازين وتستطيع التحرك بحرية. حينها ستكون لديه استراحة بين المحاكمات، وستكون هي قد حصلت على إجازة نهاية العام الدراسي. إنها تتحرق شوقاً لذلك.

نزعت فيكتوريا جبيرتها بعد ثلاثة أيام من إقفال المدرسة أبوابها استعداداً لاستقبال فصل الصيف. كانت ساقها ضعيفة ومترهلة قليلاً. لكن، عليها الخضوع لعلاج فيزيائي وممارسة التمارين، مثلما قالوا، لتقويتها. تستطيع وضع كل وزنها على ساقها، لكنها لم تكن قوية. ولا تستطيع الإفراط في التمارين الرياضية بعد. عليها إنجاز العلاج الفيزيائي أولاً.

لم تقل أي شيء لأي كان، لكن يوم نزعت الجبيرة، دخلت حمامها وقاست وزنها، وما إن فعلت ذلك حتى جلست على حافة المغطس وانفجرت في البكاء. لقد انتبهت، ولكن ليس كثيراً. كانت هناك بعض أطباق المعكرونة في الليالي التي ألمتها فيها ساقها، واحتاجت فيها إلى أطعمة مريحة، وبعض البيتزا، والبوظة بين الحين والآخر، والجبن ورقاقات البسكويت المملحة، والبطاطا المهروسة، وبعض أرغفة اللحم اللذيذة التي أحضرها هارلان إلى المنزل من المطعم. تراكم كل شيء فوق بعضه. هكذا، وبسبب عجزها عن الحركة، وعدم قدرتها على ممارسة التمارين في النادي الرياضي، استعادت سبعة باوندات من الباوندات الثمانية عشر التي خسرتها. هكذا، بدلاً من خسارة خمسة وعشرين باونداً للزفاف، خسرت أحد عشر باونداً فقط. عرفت أنها تستطيع التخلص من ثلاثة أو أربعة باوندات إضافية إذا حاولت بكد واعتمدت حمية غذائية من شايات الأعشاب الخاصة قبل الزفاف. هكذا، سترتدي الآن فستاناً غير جميل، ولا يلائمها، وستكون بدينة. جلست هناك وبكت، وفيما كانت تبكي دخل كولن الحمام.

بدا قلقاً. "ماذا حصل؟ هل تؤلمك ساقك؟".

قالت وهي غاضبة من نفسها: "لا، بل مؤخرتي. استعدت سبعة باوندات بسبب ساقي المكسورة". كانت محرجة من الاعتراف له، لكنه رآها وهي تبكي ولذلك أخبرته.

قال: "ستخسرينها، ومن يبالي". ثم خطرت له فكرة. "سأرمي هذا الميزان. لا أريد أن تكون كل حياتك مقيدة بوزنك. تبدين رائعة. أنا أحبك. وإذا اكتسبت خمسة باوندات أو خسرت عشرة، فمن يهتم؟ أنا لا أهتم".

"أنا أهتم". قالت بتعاسة، ومسحت أنفها بمنديل ورقي، وهي لا تزال جالسة على حافة المغطس.

قال كولن: "هذا مختلف. إذاً، افعلي ذلك من أجلك وليس من أجلي. فأنا لا أهتم. أحبك مثلما أنت، ومهما كان مقاسك". نظرت إليه مبتسمة.

قالت: "كيف كنت محظوظة بالعثور عليك؟ أنت أفضل ما حصل لي في نادٍ رياضي".

قال كولن: "استحققنا بعضنا، لأننا عشنا تعيسين لوقت طويل. لذا، نحن نستحق أن نكون سعيدين". وانحنى لتقبيلها.

أضافت: "ومحبوبين". ثم قبّلها مجدداً، ووقفت وأخذها بين ذراعيه.

"بالمناسبة، متى ستغادرين إلى لوس أنجلوس؟". عرف أن الوقت بات قريباً، بعد أن نزعت جبيرتها. هذا ما كانت تنتظره، إضافة إلى الضوء الأخضر من الطبيب. وقد حصلت عليه الآن.

قالت فيكتوريا منتهدة: "خلال يومين. أكره المغادرة قبلك، لكن غرايسي قالت إنها تحتاج إليّ".

حذرها: "لكن، انتبهي من والديك. فهما يعضان". وضحكت. إنه محق. "الأمر شبيه قليلاً بالسباحة بين أسماك القرش. وسأذهب إلى هناك يوم الخميس قبل الزفاف. حاولت الذهاب في وقت أبكر، لكنني لم أستطع. عليّ أن أحاول تسوية هذه القضية إذا أمكن قبل أن أغادر".

قالت بشجاعة: "سأكون بخير". وقبّلها مجدداً.

www.mlazna.com-RAYAHEEN

في النهاية، أمضت فيكتوريا عطلة نهاية الأسبوع معه في نيويورك، وغادرت يوم الاثنين إلى لوس أنجلوس. ويفترض أن يصل كولن بعد ثلاثة أيام. طمأنته بثقة بأنها تستطيع مواجهة عائلتها بمفردها ثلاثة أيام؛ فقد تعايشت معهم طوال ثلاثين عاماً تقريباً.

لاقتها غرايسي في المطار، وأوصلتها إلى المنزل. قالت إن كل مرافقاتها قد وصلن. وقد تمت تجربة الفساتين وتعديلها وكانت كلها رائعة. تم تنظيم الطعام. وكذلك الأزهار. اختاروا الموسيقى التي سيضعونها في دار العبادة وحفلة الاستقبال، واستأجروا الفرقة الموسيقية. أحبت فستانها، وتولت فيرا وانغ إنجازه في النهاية. راجعت كل لائحة مستلزماتها، وكان كل شيء جيداً، ثم تذكرت أن أختها لم تجرب فستانها بعد.

قالت غرايسي بنظرة قلقة: "يجدر بك تجربته عندما نعود إلى المنزل. هل تظنين أنه سيحتاج إلى تعديل؟". ونظرت إلى فيكتوريا الجالسة قربها في السيارة. بدت لها على حالها، لكن لا يمكن التأكد دوماً.

قالت فيكتوريا، وهي تبدو محبطة: "لا، لست أكثر نحافة مما كنت قبلاً".

قالت غرايسي بتردد: "أقصد أكثر بدانة". وهزت فيكتوريا رأسها. هذا هو رأيهم فيها، مثل جبل يتزايد حجمه باستمرار، فهو لا يصغر أبداً وإنما يكبر دوماً. لقد خسرت باوناً واحداً منذ أن نزعت الجبيرة، ولكن ليس أكثر من هذا. فهي لم تكن تمارس التمارين الرياضية ليحدث فرق، حتى من دون كربوهيدرات.

وعندما وصلتا إلى هناك، كانت أمهما في المنزل، تتحقق من لائحة الهدايا. كانت هناك كومات من الفضة والكريستال في علب مزخرفة، وتحولت غرفة الطعام عندهم إلى مستودع.

كان والدها في المكتب، ولم تره فيكتوريا إلا في الليل. وعندما رأته، عانقها وقال إنها تبدو جيدة. برأيه، الصحة الجيدة تعني دوماً البدانة والضخامة. شكرته، وقالت إنه يبدو جيداً أيضاً، ودخلت الغرفة الأخرى. لم

تكن قد رأته منذ أن التقى كولن في نيويورك. وتذكرت تعليق كولن بشأن أسماك القرش وضرورة الابتعاد عنها.

نجحت في إبقاء الماء صافياً طوال ثلاثة أيام إلى حين وصول كولن. ثمة عشاء عائلي في تلك الليلة، لكلتا العائلتين، وكان جيداً. وحفلة ما قبل الزفاف ستقام في اليوم التالي في النادي الخاص بآل وايلكس. أمّا حفل الزفاف فسيقام في نادي السباحة والتنس الذي يقصده آل داوسون، في حديقة عملاقة، وتحت خيمة كبيرة كلفت ثروة. وتمت دعوة أربعمئة وخمسين شخصاً.

في الصباح الذي يفترض فيه وصول كولن، جلست فيكتوريا لبضع دقائق مع أختها وسألتها لمرة واحدة وأخيرة إن كانت تريد المضي قدماً في ذلك، وإن كانت تثق بهاري. وقالت لها إن كان الجواب نعم، فهي تعدها بعقد الصلح معها إلى الأبد. فنظرت إليها غرايسي برزانة وقالت إنها واثقة.

سألتها: "هل أنت سعيدة؟". لم تكن تبدو كذلك، بل بدت متوترة جداً، وكلما كان هاري برفقتها، كانت تفعل المستحيل لإرضائه. وإذا تزوجت به، فستكون حياتها على هذا النحو منذ الآن فصاعداً. هذا ما يستحقه برأيه. واستاءت فيكتوريا من أجل غرايسي.

أجابت غرايسي: "نعم، أنا سعيدة". فتنهدت فيكتوريا، وأومأت برأسها.

قالت فيكتوريا: "حسناً. هذا كل ما أريده لك. ويمكنك القول له نيابة عني إنه إذا جعلك يوماً تعيسة، فسأقتله بنفسي". وضحكت غرايسي بعصبية، فقد عرفت أن أختها تقصد ذلك فعلاً.

قالت غرايسي بجدية: "لن يفعل ذلك. أعرف أنه لن يفعل!". بدت وكأنها تحاول إقناع نفسها.

"أتمنى أن تكوني محقة".

لم تتطرق فيكتوريا إلى الموضوع مجدداً، وارتاحت عندما وصل كولن. بذل هاري كل جهد ممكن للتأثير فيه، وكان كولن مهذباً معه، لكن

فيكتوريا لاحظت أن كولن لم يستلطفه؛ ولا هي أيضاً. لكنهما مجبران على محادثته وتقبّله الآن. للأفضل أو الأسوأ.

كان عشاء ما قبل الزفاف ضخماً جداً، أعده أضخم مطعم في لوس أنجلوس، وحضره كل الأشخاص المهمين. كان آل وايلكس في غاية اللباقة، وبذلوا جهدهم لجعل آل داوسون يشعرون بأنهم في بيتهم، وقالوا كل الأشياء اللطيفة عن غرايسي. إنها شابة طيبة، لكنهم قالوا إنهم يعتبرونها الزوجة المثالية لابنهم. وتحدث جيم داوسون مراراً وتكراراً عن مقدار حبه لهاري. كانت هناك العديد من الكلمات في العشاء، بعضها جميل وبعضها الآخر مضجر جداً. ستلقي فيكتوريا كلمة أيضاً، لكنها ستفعل ذلك في الزفاف، بصفتها أختها الكبرى ومرافقة الشرف.

بدت فيكتوريا جميلة في فستان الشيفون الأزرق الشاحب الذي اشترته لهذه المناسبة. وهنأها كولن مرات عدة. احتسى والدها عدداً لا بأس به من كؤوس الشراب، وعندما جاء إلى فيكتوريا وكولن بعد انتهاء عشاء ما قبل الزفاف بعد أن بدأ الناس بالمغادرة، بدا صوته أجشّ، وعرفت فيكتوريا أن هذا دليل سيئ عموماً، فهو سيسخر منها على الأرجح. أرادت تحذير كولن فيما اقترب والدها منهما، لكنها لم تملك الوقت الكافي للقيام بذلك. فقد وقف أمامهما قبل أن تستطيع التفوه بكلمة.

قال وهو ينظر إلى كولن كما لو أن عمره أربعة عشر عاماً ويخرج مع فيكتوريا للمرة الأولى: "إذاً، لقد قمت بخيار جيد. فيكتوريا هي ابنتنا الذكية، أمّا غرايسي فهي ابنتنا الجميلة. من المثير دوماً التواجد مع نساء ذكيات". لم تره يتحدث إلى كولن قبل الآن. وهذا أول هجوم لسمكة القرش هذه الليلة، وهناك دم في الماء. إنه دمها كالعادة. نظر إليه كولن بلطف فيما وضع ذراعه حول كتفي فيكتوريا وشدها إليه. أحست بقوته وهو يمسك بها، وبحمايته. ولمرة واحدة في حياتها، شعرت بالأمان. فهي تشعر دوماً بهذا الإحساس معه، وبالحب.

قال كولن بتهذيب: "أخشى أنني لا أوافقك الرأي سيدي".

"بشأن النساء الذكيات؟". بدا والدها متفاجئاً. لا يتحدى أحد آراءه عادة، مهما كانت مشينة أو غير ملائمة أو مهينة. لا يتحداه أحد.

"لا، بشأن الجمال والذكاء في عائلتك. أقول إن فيكتوريا تملك الصفتين معاً، أي الجمال والذكاء. أنت تقلل من قيمتها. أليس كذلك؟". تجمد والدها لدقيقة، ثم أومأ برأسه، وهو لا يعرف بماذا يجيب. كادت فيكتوريا تضحك، وشدت بصمت على يد كولن دليل شكر. لكن والدها لم يقبل التوقف عند هذا الحد. فهو لا يحب ألاّ يوافقه أحد، أو أن يعيقه في أثناء السخرية من ابنته.

أطلق ضحكة جوفاء، وهذه علامة سيئة أخرى مألوفة، ثم قال: "من المذهل كيف تنتقل الجينات بين الأجيال، أليس كذلك؟ تبدو فيكتوريا تماماً مثل جدتي، ولطالما كانت كذلك، وهي لا تشبهنا أبداً. حتى إنها تملك بنية جدتي ولون بشرتها وأنفها". أمل إحراجها، لأنه عرف كم كرهت أنفها طوال حياتها. إنه انتقامه منها بسبب الحماية التي وفرها لها كولن. ببراءة، انحنى كولن وتأمل أنف فيكتوريا، ثم استدار نحو والدها بذهول.

قال كولن بصراحة: "يبدو لي شبيهاً جداً بأنف أختها وأمها". وهذا صحيح طبعاً، بفضل الدكتورة شوارتز، لكن كولن لا يعرف ذلك، وتوردت فيكتوريا خجلاً. بدا والدها منزعجاً ونظر إليها عن كثب، واعترف لنفسه، وليس لكولن، بأن أنفها يشبه فعلاً أنف غرايسي وأمها.

تمتم: "غريب. كان يبدو مثل أنف جدتي. لكنها فتاة بدينة مثل جدتي". ولمعت عيناه. إنه الوصف الذي كرهته منذ أن كانت طفلة.

سأل كولن مبتسماً: "هل تقصد أنها طويلة؟".

"نعم طبعاً". تراجع والدها للمرة الأولى، ومن دون أي تعليق إضافي عاد إلى الحشود. كانت سخريته لاذعة أكثر من أي وقت مضى، لكنها لم تفعل فعلها هذه المرة. بدا جلياً لوالدها أن فيكتوريا لا تبالي، وأن كولن يحبها. لقد خسر والدها قوة نكاته الساخرة إلى الأبد. تنهدت فيكتوريا فيما راقبته وهو يبحث عن أمها ويقول لها إن الوقت قد حان للمغادرة.

قالت فيكتوريا لكولن بهدوء: "شكراً لك". كانت تود مواجهة والدها بنفسها، لكنها لا تزال تخاف من ذلك. إذ يستلزم ذلك الكثير من الشجاعة. ربما ستفعل ذلك في يوم ما، ولكن ليس الآن.

وضع كولن ذراعه حولها فيما توجها إلى المرأب حيث السيارات والليموزين. وقال وهو يبدو منزعجاً: "لا أصدق أن هذا الحقير يقول مثل هذه الأشياء عنك. ما قصة الأنف؟". وانفجرت فيكتوريا في الضحك فيما انتظرا السيارة والسائق اللذين استأجرهما كولن لتلك الليلة.

"خضعت لعملية تجميل للأنف خلال الميلاد. كان ذلك حادث السيارة الذي تعرّضت له عندما التقيتك". قالت وهي تبدو محرجة لأنها أبقت الأمر سراً عنه لغاية الآن. لكنها لا تريد إخفاء أي أسرار عنه؛ ليس الآن أو لاحقاً. أرادت أن تكون واضحة معه، وارتاحت. "كرهت أنفي، وكان يسخر منه دوماً. لذا، قمت بتجميله. لم أخبرهما قطّ، وإنما أخبرت غرايسي فقط. لم ينتبه إليه هو أو أمي عندما رأيتهما في نيويورك، ولا الآن". ابتسم كولن لاعترافها، وبدا مذهولاً: "أكانت تلك عملية تجميل للأنف عندما التقيتك؟ ظننت أنه حادث سيارة مريع".

قالت: "كان أنفي الجديد". وهي تبدو نصف فخورة ونصف خجولة.

تأمله لدقيقة مع ابتسامة عريضة. لقد شرب مقداراً جيداً من الشراب هو أيضاً، وإلا ما كان ليواجه والدها. فهو لا يفعل ذلك عادة. لكن سخريته من فيكتوريا أزعجت كولن كثيراً. قال لها: "إنه أنف جميل جداً. أحبه".

قالت ضاحكة: "أظن أنك ثمل". أحبت تحديه لوالدها.

"في الواقع، أنا ثمل. ولكن ليس إلى درجة الخطورة". توقف لتقبيلها، ثم وصلت السيارة مع السائق وصعدا إليها. إنه يقيم معها في المنزل، ولذلك سيصادفان والدها مجدداً. لكنهما ما إن وصلا حتى دخلا غرفتها بسرعة. وكان كولن متعباً جداً بحيث نام في غضون خمس دقائق، فيما استلقت فيكتوريا قربه لبعض الوقت، ثم ذهبت لرؤية غرايسي في غرفتها.

أدخلت رأسها عبر الباب، وكانت غرايسي جالسة على سريرها وهي تبدو تائهة قليلاً. دخلت فيكتوريا الغرفة وجلست قربها، مثلما كانتا تفعلان عندما كانتا صغيرتين. "هل أنت بخير؟".

قالت وهي تبدو قلقة: "نعم. أنا متوترة بشأن الغد. أشعر بأنني ذاهبة إلى عائلته وسأخسر عائلتي". لم تعتبرها فيكتوريا خسارة، لكنها عرفت أن غرايسي تعتبرها كذلك. فقد أحبت والديها، وهما أحباها.

طمأنتها فيكتوريا: "لن تخسريني. لن تخسريني أبداً". عانقتها غرايسي من دون التفوه بأي كلمة. بدت غرايسي وكأنها على وشك البكاء، لكنها لم تبك. ولم تكفّ فيكتوريا عن التساؤل ما إن كانت تعيد النظر بشأن هاري. يجدر بها ذلك. لكنها لن تعترف حتى لو فعلت. قالت فيكتوريا بهدوء: "سيجري الزفاف على ما يرام". لكن الزواج لن يكون كذلك لسوء الحظ، أو هذا ما اعتقدته فيكتوريا على الأقل.

قالت غرايسي وهي تغير الموضوع: "استلطفت كولن. إنه رائع فعلاً، وأظن أنه يحبك كثيراً". تسهل رؤية ذلك، لأنه يعتني بها كثيراً، وينظر إليها بعشق كما لو أنه الرجل الأكثر سعادة في العالم.

قالت بسعادة: "أنا أيضاً أحبه كثيراً".

"هل تظنين أنك ستتزوجين به". بدا لها ذلك محتملاً، وابتسمت فيكتوريا.

"لا أعرف. لم يسألني. لا يزال الوقت باكراً جداً. نحن سعيدان هكذا الآن. سننتقل للعيش في شقة واحدة هذا الصيف". إنهما يتحركان ببطء، فيما غرايسي على وشك أن تصبح امرأة متزوجة خلال ساعات قليلة. بدت لها أختها صغيرة جداً للقيام بمثل هذه الخطوة الكبيرة، خصوصاً مع هاري الذي سيتحكم بكلّ جانب من جوانب تفكيرها وحياتها. حزنت فيكتوريا عليها. لكنها قالت إن هذا ما تريده، وإنها تريد أن تكون معه.

قالت غرايسي فجأة مع نظرة ذنب: "آسفة بشأن الفستان البني. كان يجدر بي اختيار شيء يلائمك بصورة أفضل. لكنني أحببت الفستان. كان

www.mlazna.com-RAYAHEEN

يجدر بي التفكير فيك". تأثرت فيكتوريا لأن غرايسي أدركت ذلك وأخبرتها، فعانقتها دليلاً على مسامحتها إيّاها.

"لا بأس، سأنتقم منك عندما أتزوج. وسأختار لك شيئاً تبدين بشعة فيه". ضحكتا وتحدثتا لبعض الوقت، ثم عانقتها فيكتوريا وعادت إلى غرفتها. شعرت بالأسف على أختها الصغيرة، وأحست أنها لن تعيش حياة سهلة. ستعيش حياة مليئة بالمال طبعاً، ولكنها ليست بالضرورة حياة جيدة. كل ما تستطيع فعله الآن هو تمني الأفضل لأختها. إن كلاً منهما مسؤولة عن حياتها.

استلقت فيكتوريا على السرير قرب كولن، وابتسمت له، ثم عانقته ونامت. وللمرة الأولى في حياتها، شعرت بالأمان في منزل والديها.

الفصل 26

صباح يوم الزفاف، كان المنزل يعج بالحماسة والنشاط منذ لحظة الاستيقاظ من النوم. تم تحضير مائدة الفطور في المطبخ ليتناول الناس طعامهم. أخذت فيكتوريا وكولن فطورهما إلى الحديقة كي لا يعترضا طريق أحد. وكان يتم ترتيب أظفار يدي غرايسي وقدميها في غرفتها. وجاء مزين الشعر لترتيب شعر كل النساء في المنزل. كل ما أرادته فيكتوريا هو جديلة فرنسية بسيطة، ولذلك كانت الأولى في تصفيف شعرها.

تم تحديد موعد الزفاف في تمام السابعة مساءً، لكن الناس جاءوا وغادروا طوال اليوم. حضرت كل المرافقات في وقت الغداء، ولم تستطع فيكتوريا الاقتراب من أختها، ولذلك تركتهن بمفردهن وفعلت ما في وسعها لمساعدة أمها. لكن، بدا كل شيء تحت السيطرة. وتم تعليق فستان زفاف غرايسي في غرفة أمها، وتم تحويل والدها إلى غرفة الضيوف لارتداء ملابسه، وبدا الجميع منهمكين. تلقّوا مليون اتصال هاتفي، وتطوع كولن لفتح الأبواب والإجابة على الهاتف. اختفى والد فيكتوريا لبرهة ثم عاد، لكنه لم يقل أي كلمة لفيكتوريا طوال اليوم، أو لكولن. لقد حصل على جرعته من الدواء في الليلة الفائتة، وفرحت فيكتوريا. لقد حان الوقت، وفعل كولن ذلك جيداً، بلباقة وتهذيب. وبفضل حمايته لها، سيفكر والدها مرتين قبل أن يهاجمها.

عند الساعة الخامسة، بدأ العد العكسي. أنجز مزين الشعر تصفيف شعر غرايسي. وانتهت كل المرافقات من الاستعداد. وعند الساعة السادسة، ارتدين فساتينهن. وأخذت فيكتوريا نفساً عميقاً وارتدت فستانها،

وتولت إحدى المرافقات إقفال السحاب لها، فيما تولت مرافقة أخرى إمساكه بإحكام في أثناء ذلك، وحبست فيكتوريا أنفاسها. لم تنظر إلى المرآة فهي تعرف كيف يبدو عليها. بالكاد استطاعت التنفس، حتى مع الوزن الذي خسرته، وكان ثدياها مضغوطين بإحكام وخارجين من الفستان. فالفستان ضيق جداً، وأغلق السحاب بصعوبة. عرفت فيكتوريا كم يبدو الفستان بشعاً عليها، لكنها لا تبالي. أحبها كولن، وإذا لم يكن هذا هو الفستان المثالي لها، فليس هذا مهماً. عثرت على حذاء من الساتان البني متناغم مع الفستان وانتعلته. كان الكعب عالياً، وبدت فجأة مثل امرأة طويلة جداً، وإنما امرأة جميلة. شعرت خلال العام الماضي وكأنها أصبحت نفسها، ليس فقط بسبب كولن، وإنما بسبب الجهود التي بذلتها لتحرير نفسها من الماضي ومن الأضرار التي أحدثها. لقد حصلت على كولن لأنها كانت مستعدة له. لقد أنجزت التغييرات حين وصل، ولم تكن التغييرات بسببه. شعرت فجأة بأنها واثقة من نفسها، حتى في الفستان الذي لا يلائمها. بدت جميلة، وساطعة من الداخل. وضعت القليل من مستحضرات التجميل، ولم يكن لون الفستان بشعاً جداً مع بشرتها الشاحبة.

ذهبت إلى أختها، وكانت أمها تساعد غرايسي على ارتداء الفستان الأبيض المخرم. ارتدت أمها فستاناً من التافتا البيج داكن اللون مع سترة، وبدت أنيقة ورزينة. لا تزال امرأة جميلة. تنسى فيكتوريا ذلك أحياناً. ولحظة وقع الفستان الأبيض العملاق فوق جسم غرايسي الصغير، بدت مثل أميرة. كانت تضع خاتم الخطوبة الذي بدا مثل منارة، وقرطي الأذنين الماسيين اللذين أهداها هاري إيّاهما. وأعطتها أمه قلادة من اللآلئ الكبيرة مع مشبك ماسي كهدية للزفاف. بدت صغيرة جداً لتضع كل هذه المجوهرات، وتذكرت فيكتوريا كيف كانتا تلعبان لعبة التبرج عندما كانتا صغيرتين، لكن غرايسي بدت جميلة. إنها العروس المثالية. وعندما دخل والدها بعد دقائق قليلة، راح يبكي. أربكته رؤيتها في فستان زفافها. فلطالما كانت صغيرته، وستبقى هكذا دوماً. وهي صغيرة فيكتوريا أيضاً. نظرت

غرايسي في أرجاء الغرفة إلى أفراد عائلتها، وكانت على وشك البكاء أيضاً، لكن أمها حذرتها من عدم فعل ذلك كي لا تفسد تبرّجها. شعرت غرايسي وكأنها تغادرهم إلى الأبد، وتنتقل إلى عالم غير مألوف. إنه شعور مخيف، ولا سيّما بالنسبة إلى فتاة شابة مثلها. بدت ضعيفة وهشة وطفلة صغيرة في فستان الزفاف، ورتبت لها أمها الوشاح فوق رأسها.

ساعدتها فيكتوريا وأمها على نزول الدرج، وأمسكتا ذيل الفستان. ثم استقلّت غرايسي السيارة مع والدها للذهاب إلى دار العبادة والزواج بهاري. تجمد والدها فيما انطلقت السيارة، وانحنت غرايسي وقبّلته. فهي تملك والداً لم تعرفه فيكتوريا قطّ، وكانت تود الحصول عليه. لكنها تملك الآن كولن عوض ذلك.

ثم صعدت فيكتوريا وأمها إلى السيارة التي كانت في انتظارهما لأخذهما إلى دار العبادة. غادر كولن قبل برهة وستراه هناك.

وعند الوصول إلى دار العبادة، حصل كل شيء بترتيب منظم. سبقت المرافقات غرايسي وهن يرتدين فساتينهن البنية الأنيقة، ومشت فيكتوريا في الممر مباشرة قبل غرايسي. نظرت إلى كولن عندما مرّت أمامه، وابتسم لها، وبدا فخوراً بها. ورافق والدهما غرايسي بخطوات رزينة ومدروسة.

تبادلا قسم الزواج، ووضع هاري محبساً ماسياً في إصبع غرايسي، ثم تم إعلانهما زوجاً وزوجة. قبّلا بعضهما فيما بكت فيكتوريا، وعادا للخروج عبر الممر وهما يبتسمان. لقد حصل الأمر؛ لقد انتهى. الزفاف الذي أصابهم بالجنون طوال سنة بات على وشك الانتهاء. وكان حفل الاستقبال مذهلاً مثلما أراد أهلها، ومثلما حلمت به غرايسي. جاءت غرايسي لتقبيل فيكتوريا عند بدء حفل الاستقبال، وبعد التقاط الصور وتقبل التهاني. أرادت دقيقة مع أختها الكبرى.

"أريد فقط أن أقول لك إنني أحبك. شكراً على كل ما فعلته لي طوال حياتي. لطالما اعتنيت بي، حتى عندما كنت شريرة أو غبية... شكراً لك... أحبك... أنت أفضل أخت في العالم".

"وأنت أيضاً، وسأكون دوماً موجودة من أجلك. أحبك صغيرتي... وأتمنى أن تكوني سعيدة".

"وأنا أيضاً". قالت بهدوء، لكنها لم تكن واثقة مثلما أرادت فيكتوريا. إذا لم ينجح الأمر، فسيعالجانه وسيعرفان ماذا يفعلان. لا يمكن معرفة ما سيحصل مسبقاً، مهما حاولت بكدّ.

جلس كولن بالقرب من فيكتوريا في حفل الاستقبال، جلسا إلى طاولة طويلة مع كل مرافقي ومرافقات العروسين. ألقت فيكتوريا كلمتها، وصفق لها الجميع. رقصت هي وكولن طوال الليل. وقطع هاري وغرايسي الكيك. ورقصت فيكتوريا مع والدها مرة واحدة. بدا وقوراً ووسيماً في سترته الرسمية وربطة عنقه السوداء. ولأول مرة، لم يصدر تعليقات بشعة بشأنها؛ وإنما فقط رقصا، ثم سلمها إلى كولن مجدداً. إنه زفاف جميل. وكانت غرايسي عروساً فاتنة. وارتاحت فيكتوريا، لأنهما الليلة على الأقل – وربما إلى الأبد إذا كانا محظوظين – كانا سعيدين. لا مجال لمعرفة ما إذا كانت هذه السعادة ستدوم، لهما أو لأي كان. كل ما يمكن فعله هو تمني الأفضل.

كانت ترقص مع كولن عندما أعلنَ أن غرايسي سترمي الباقة، وطُلِب من كل النساء العازبات التجمع على ساحة الرقص. وقفت غرايسي على كرسي، منتظرة فعل ذلك، وبدأت كل النساء العازبات بالاقتراب. مرّت والدة فيكتوريا أمام فيكتوريا فيما كانت على وشك الانضمام إليهن ووجهت إليها نظرة معارضة.

"دعيهن يحصلن عليها عزيزتي. كلهن أصغر منك، وسيتزوجن جميعاً يوماً ما. أمّا أنت فلا تعرفين إن كنت ستتزوجين". بعبارة واحدة، قضت على كولن كاحتمال حقيقي، وأخبرتها أنه ليس من المحتمل فقط أن تبقى عانساً، وإنما أنها لا تستحق الباقة أيضاً. إنها مجدّداً لا تستحق شيئاً، وغير محبوبة لأنهما لم يحبّاها قطّ. أحست فيكتوريا بأنها تنسحب إلى الخلف، فيما لوحت لها غرايسي للاقتراب إلى الأمام، لكن رسالة أمها كانت قوية. رأى كولن أمها تقول لها شيئاً ما، ولاحظ النظرة على وجهها

بعد ذلك، لكنه كان بعيداً جداً ليسمع ما قالته. مهما كان، رأى أن الكلام قد حطمها، ولاحظ أنها تنهار من الداخل، فيما وقفت وأرخت ذراعيها، وبانت غرايسي مستعدة لرمي الباقة. كانت تراقب أختها الكبرى فيما فعلت ذلك، ووجهت إليها الباقة تحديداً بذراع قوية، فطارت الباقة عبر الحشود مثل الصاروخ المتوجه مباشرة إلى فيكتوريا، لكن كلمات أمها ضربتها بقوة. تجمدت فيكتوريا ولم تستطع رفع ذراعها، ووقف كولن هناك وهو يراقبها، مثلما فعلت غرايسي التي رغبت في أن تلتقطها. كل ما عليها فعله هو مدّ يدها والتقاطها، فقط إذا وثقت بأنها تستحقها. شعر كولن بألم كبير بسبب الألم الذي شعرت به، وقال بصوت عالٍ الكلمات التي كان يفكر فيها. قال لفيكتوريا: "أنت رائعة!". وبالرغم من أنها لم تستطع سماعه، إلاّ أنها بدت كما لو أنها قد سمعته. فقد ارتسمت ابتسامة على وجهها، وفي جزء من الثانية مدت يدها والتقطت الباقة. حملتها عالياً وصفق لها الجميع، وكان تصفيق كولن الأعلى على الإطلاق. نظرت إليه فيكتوريا في تلك اللحظة، ورفع لها إبهاميه، فيما رفع هاري زوجته عن الكرسي وصعدا إلى الأعلى لتبديل ملابسهما، فهما سيغادران إلى باريس على متن طائرة والده تلك الليلة.

شق كولن طريقه عبر الحشود للوصول إلى فيكتوريا، وكانت تبتسم له عندما وصل إليها. لم يعرف بعد ما قالته لها أمها، لكنه عرف أنه مؤلم، وهو لا يريد أن يعرف هذه المرة. كل ما أراد فعله هو حمايتها من هذه الجروح إلى الأبد. كانت لا تزال تحمل الباقة.

قال: "سنستعملها بطريقة جيدة في أحد الأيام". وأخذ منها الباقة ووضعها على الطاولة، ثم أخذها إلى حلبة الرقص وحملها بين ذراعيه وهما يرقصان. إنها امرأة جميلة، ولطالما كانت كذلك. لكنها لم تكن تعرف ذلك سابقاً، والآن صارت تعرف. وفيما نظرت إليه، عرفت تماماً كم هي محبوبة.

www.mlazna.com-RAYAHEEN